من خطب المسجد الحرام

توجيهات وذكرى

تأليف

صالح بن عبد الله بن حميد

"المجموعة الثالثة"

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

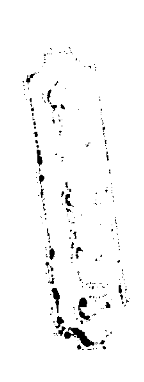
دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

توجيهات وذكرى

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ.



دار التربية والتُراث
مكّة المكرّمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضّياء
جدّة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن شر الشيطان وشركه.. من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد ضل وغوىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتح الله به قلوباً غلفاً، وأعيناً عميا، وآذاناً صُمّا، صلى الله عليه وآله وصحابته ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه هي المجموعة الثالثة من (توجيهات وذكرى.. من خطب المسجد الحرام) وأسأل الله أن ينفعني بها وسابقتها وإخواني - وحسبي منهم دعوة صالحة ونصيحة صادقة - كما أسأله سبحانه أن يجعلها خالصة لوجهه موافقة لمرضاته وأن يسدد الجميع للعلم النافع والعمل الصالح إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

صالح بن عبدالله بن حميد

مكة المكرمة

الأربعاء ٢١/ ١٠ /١٤١٨هـ



حلاوة الإيمان

الخطبة الأولى

الحمدُ لله ملأَ بنور الإيمانِ قلوبَ أهلِ السعادةِ، فأقبلتْ على طاعةِ ربِّها منقادة، فحقَّقُوا حُسنَ المعتقدِ وحسنَ العملِ وحسنَ الرضا وحسنَ العبادةِ. أحمده سبحانهُ واشكرهُ وقد أذنَ لمن شكره بالزيادةِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُبلِّغُ صاحبَها الحسنىٰ وزيادةً. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المخصوصُ بعمومِ الرسالةِ وكمالِ السيادةِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فيا أيها الناس أوصيكُم ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجلَ فتقواه خيرُ زادٍ، وهي نِعمَ العُدّةُ ليومِ المعادِ.

أيها المسلمون: يجدُ المتبصِّرُ في أمورِ الحياةِ وشؤونِ الأحياءِ يجدُ فئاتٍ من الناس تعيشُ ألواناً من التعبِ والشقاءِ، وتنفثُ صدورُها أنواعاً منَ الضجرِ والشكوىٰ، ضجرٌ وشقاءٌ يعصفُ بالأمانِ والإطمئنانِ، ويُفْقِدُ الراحةَ والسعادةَ، ويتلاشىٰ معهُ الرضىٰ والسكينةُ. نفوسٌ منغمسةٌ في أضغانِها وأحقادِها وبؤسِها وأنانيتِها، ويعودُ المتبصرُ كرةً أخرىٰ ليرىٰ فئاتٍ من الناس أخرىٰ قد نَعِمَتْ بهنيءِ العيشِ وفيوضِ الخيرِ، كريمةً على نفَسِها، كريمةً على الناسِ، طيبةَ القلبِ سليمةَ الصدرِ طليقةَ المُحيَّا. ما الذي فرَّق بين هذينَ الفريقين؟ وما الذي باعدَ بين هاتين الفئتين؟ إنه الإيمانُ وحلاوةُ الإيمانِ.

«ذاقَ طعمَ الإيمانِ من رضيَ باللهِ رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ رسولاً»[1]. بذلك أخبرَ الصادقُ المصدوقُ عليه الصلاة والسلام كما أخبر أن **«ثلاثاً مَنْ كنَّ فيهِ وجدَ حلاوةِ الإيمانِ أن يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يكرَه أن يعودَ في الكفرِ بعد إذْ أنقذَهُ اللهُ منه كما يكرهُ أنْ يُقْذَفَ في النارِ»**[2].

أيها الإخوةُ: للإيمانِ طعمٌ يفوقُ كلَّ الطعومِ، وله مذاقٌ يعلو على كلِّ مذاقٍ. ونشوةٌ دونَها كلُّ نشوةٍ.

حلاوةُ الإيمانِ حلاوةٌ داخليةٌ في نفسٍ رضيةٍ وسكينةٍ قلبيةٍ تسريْ سريانَ الماءَ في العودِ، وتجري جريَانَ الدماءِ في العروقِ. لا أرقَ ولا قلقَ ولا ضيقَ ولا تضييقَ بل سعةٌ ورحمةٌ، ورضىً ونعمةٌ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٧٠]، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ١٢].

الإيمانُ باللهِ هو سكينةُ النفسِ، وهدايةُ القلبِ، وهو منارُ السالكينَ وأملُ اليائسينَ، إنه أمانُ الخائفينَ ونصرةُ المجاهدينَ. وهو بُشرىٰ المتقينَ ومنحةُ المحرومين. الإيمانُ هو أبُ الأملِ وأخُ الشجاعةِ وقرينُ الرجاءِ. إنه ثقةُ النفسِ ومجدُ الأمةِ وروحُ الشعوبِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٢ ـ ح٣٤)، وأحمد (١/ ٢٠٨).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١/ ٧٧ ـ ح١٦) واللفظ له، ومسلم (١/ ٦٦ ـ ح٤٣).

وأول منافذِ الوصولِ إلى حلاوةِ الإيمانِ وطعم السعادةِ الرضىٰ باللهِ عزَّ وتباركَ رباً مدبراً فهو القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، رحمٰنُ الدنيا والآخرةِ ورحيمُهما، قيومُ السمواتِ والأرضينَ، خالقُ الموتِ والحياةِ والأكوانِ. مسبغُ النعم، يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ وكاشفُ السوءِ. أعطىٰ كلَّ شيءٍ خلقَهَ ثم هدىٰ، سوَّىٰ الإنسانَ ونفخ فيهِ من روحِه، أطعمُه من جوعٍ، وكساهُ من عريٍّ، وأمنهْ من خوفٍ، وهداه من الضلالةِ، وعلَّمه من بعدِ جهالةٍ.

إيمانٌ بالله تستسلمُ معه النفسُ لربِّها، وتنزعُ إلى مرضاتِه، تتجردُ عن أهوائِها ورغباتِها، تعبُده سبحانه وترجوهُ وتخافهُ وتتبتلُ إليه، بيده الأمرُ كلُّه، وإليهِ يُرجعُ الأمرُ كلُّه، رضيً باللهِ ويقينٌ يدفعُ العبدَ إلى أن يَمُدَّ يديه متضرعاً مخلصاً: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(١).

ومذاقُ الحلاوةِ الثاني ـ أيها الأخوةُ ـ الرضىٰ بالإسلام ديناً، دينٌ من عندِ اللهِ أنزلَه على رسولِه ورضيُه لعبادِه ولا يَقْبَلْ ديناً سواه.

اسمعوا إلى هذا التجسيد العجيبِ للرضىٰ بدين اللهِ؛ غضبَ عمرُ بن الخطابِ رضي اللهُ عنهُ على زوجتهِ عاتكةَ فقال: لها: واللهِ لأسُوأنَّكِ. فقالتْ لهُ: أتستطيعُ أن تصرِفَنيْ عن الإسلامِ بعد إذ

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٢ ـ ح٤٨٦)، والنسائي (٣/ ٢٤٩)، وأبوداود (٢/ ٦٤ ـ ح١٤٢٧)، والترمذي (٥/ ٤٨٩ ـ ح٣٤٩٣) وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (١/ ٩٦)، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٢ ـ ح٣٨٤١).

هداني اللهُ إليه؟ فقال: لا. فقالت: أيُّ شيءٍ تسوءُني إذنْ؟؟؟ الله أكبرُ إنها واثقةٌ مطمئنةٌ راضيةٌ مستكينةٌ مادام دينُها محفوظاً عليها حتىٰ ولو صُبَّ البلاءِ عليها صباً.

بل إن إزهاقَ الروحِ مستطابٌ في سبيل اللهِ على أي جنبٍ كان في اللهِ المصرعُ. الإسلام منبعُ الرضاء والضياءِ ومصدرُ السعادةِ والاهتداءِ.

ومذاقُ الحلاوةِ الإيمانيةِ الثالثُ: الرضىٰ بمحمدٍ ﷺ رسولاً ونبياً. محمدٌ الناصحُ الأمينُ والرحمةُ المهداةُ والأسوةُ الحسنةُ فلا ينازعُه بشرٌ في طاعةٍ، ولا يزاحمُه أحدٌ في حكمٍ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

الرضىٰ بمحمدٍ ﷺ اهتداءاً واقتداءاً. وبسنته استضاءةً وعملاً.

أيها الإخوةُ: إذا صحَّ الإيمانُ ووقرَ في القلبِ فاضَ على الحياةِ، فإذا مشىٰ المؤمنُ على الأرضِ مشىٰ سويًّا، وإذا سار سار تقيًّا، ريحانةٌ طيبةٌ الشذَىٰ، وشامةٌ ساطعةٌ الضياءِ. حركاتهُ وسكناتُه إيمانيةٌ مستكينةٌ: «**فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمعُ به، وبصرهُ الذي يبصرُ به، ويده التي يبطشُ بها، ورجلَه التي يمشي عليها، ولئن سألنيْ لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»(١).

من ذاق حلاوة الإيمان طابَ عيشُه، وعرفَ طريقهُ، ومن عرف طريقَهُ سارَ على بصيرةٍ، ومن سارَ على بصيرةٍ نال الرضىٰ وبلغَ المَقْصِدَ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٣٤٨ ـ ح٦٥٠٢)، وأحمد (٦/٢٥٦).

نعمْ يمضيْ في سبيلِه لايباليْ بما يَلقَىٰ فبصرُه وفكرُه متعلقٌ بما هو أسمىٰ وأبقىٰ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

هل رأيتَ ـ رحمك اللهُ ـ زيًّا ومَنْظراً أحسنَ وأجملَ من سمتِ الصالحينَ؟؟.

وهل رأيتَ ـ وفقكَ اللهُ ـ تعباً ونصباً ألذَّ من نعاسِ المتهجدين؟؟.

وهل شاهدتَ ـ حفظكَ اللهُ ـ ماءً صافياً أرقَّ وأصفىٰ من دموعِ النادمينَ على تقصيرِهم والمتأسفين؟؟؟.

وهل رأيتَ ـ رعاكَ اللهُ ـ تواضعاً وخضوعاً أحسنَ من انحناءِ الراكعينَ وجِبَاهِ الساجدين؟؟؟.

وهل رأيتَ ـ عافاكَ اللهُ ـ جنةً في الدنيا أمتعَ وأطيبَ من جنةِ المؤمنِ وهو في محرابِ المتعبدين؟؟؟ إنه ظمأ الهواجرِ ومجافاةَ المضاجعِ فيالذةَ عيشِ المستأنسين؟؟؟.

هذه حلاوتهم في التعبدِ التحنُّثِ.

أما حلاوتُهم في سبْح الدنيا وكدِّها وكدحِها. فتلكَ عندُهم حلاوةٌ إيمانيةٌ تملأُ الجوانَحُ بأقدارِ اللهِ في الحياةِ. اطمئنانٌ بما تجري به المقاديرُ، رضىً يسكنُ في الخواطرِ فيُقْبِلُ المؤمنُ على دنياه مطمئناً هانئاً سعيداً رضياً. مهما اختلفتْ عليه الظروفُ وتقلبتْ به الأحوالُ والصروفُ. لا ييأسُ على ما فات ولا يفرحُ بطراً بما حصَّلَ. إيمانٌ ورضىٰ مقرونٌ بتوكلٍ وثباتٍ، يعتبرُ بما مضىٰ ويحتاطُ للمستقبلِ ويأخذُ بالأسبابِ، لايتسخطُ على قضاءِ اللهِ،

ولا يتقاعسُ عن العملِ، يستفرغُ جهدهُ من غيرِ قلقٍ، شعارُه ودثارُه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود: ٨٨]. موقنٌ أن «**ما أصابهَ لم يكنْ ليخطئَه، وما أخطأهُ لم يكن ليصيبَه**»(١). لو اجتمعَ أهلُ الأرضِ والسمواتِ على نفعه بغيرِ ما كُتبَ له فلن يستطيعوا، ولو اجتمعوا على منعِه عما قُدِّرَ له فلن يبلغوا. لا يُهلكُ نفسه تحسراً، ولا يستسلمُ للخيبةِ والخذلانِ. معاذ الله أن يتلمسَ الطمأنينةَ في القعودِ والذلةِ والتخاذلِ والكسلِ، بل كلُّ مساراتِ الحياةِ ومسالِكها عندُه عملٌ وبلاءٌ وخيرٌ وعدلٌ وميدانٌ شريفٌ للمسابقاتِ الشريفةِ. جهادٌ ومجاهدةٌ في رباطةِ جأشٍ، وتوكلٍ وصبرٍ. ظروفُ الحياةِ وابتلاءاتُها لا تكدر له صفاءاً ولا تزعزُ له صبراً «**عجباً لأمرِ المؤمنِ أمرُه كلُّه خيرٌ إن أصابته سراءُ شكرَ فكان خيراً لهُ، وإن أصابته ضراءُ صبرَ فكان خيراً له، ولا يكونُ ذلك إلا لمؤمنٍ**»(٢).

بالإيمان الراسخِ يتحررُ المؤمنُ من الخوفِ والجبنِ والجزعِ والضجرِ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

«**لا مانعَ لما أعطىٰ ربُّنا ولا مُعطيَ لما منعَ ولا ينفعُ ذا الجدِّ منه الجدُّ**»(٣).

---

(١) مأخوذه من حديث أخرجه الترمذي (٤/ ٣٩٣ ـ ح٢١٤٤) وقال: حديث غريب، وأبوداود (٤/ ٢٢٥ ـ ح٤٦٩٩، ٤٧٠٠)، وابن ماجه (١/ ٣٠ ـ ح٧٧)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٩٩٥ ـ ح٢٩٩٩)، وأحمد (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري (٢/ ٣٧٨ ـ ح٨٤٤)، ومسلم (١/ ٣٤٧ ـ =

و﴿ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠].

حلاوةٌ ورضا تقومُ في حياةِ الكفاح على هذهِ الأصولِ والمبادىءِ؛ إذا أُعطيَ تقبَّلَ وشكرَ، وإذا مُنِعَ رضىَ وصبرَ، وإذا أُمرَ ائتمرَ، وإذا نُهيَ ازدجَرَ، وإذا أذنبَ استغفرَ.

بهذا الإيمان وبهذا المذاق ينفكُّ المؤمنُ من ربقةِ الهوىٰ ونزعاتِ النفس الأمارةِ بالسوءِ وهمزاتِ الشياطينِ وفتنِ الدنيا بنسائِها ومالِهاَ وقناطيرِها ومراكبِها وسائرِ مشتهياتِها وزينتِها، سعادةٌ وحلاوةٌ ملؤُها القناعةُ. سعادةٌ وحلاوةٌ يُتَباعَدُ بها عن الشحِّ والتقتيرِ والبخلِ والإمساكِ، وينطلقُ في معاني الكرمِ والإيثارِ والعطاءِ.

إن في حلاوةِ الإيمانِ ترطيباً لجفافِ المادةِ الطاغيةِ، وحداً من غُلواءِ الجشعِ والجزعِ، وغرساً لخلالِ البرِّ والمرحمةِ. ومن ثَمَّ تتنزَّلُ السكينةُ على القلوبِ وتغشىٰ الرحمةُ النفوسَ:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: ١٢٣].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

= ح٤٧٧، ٤٧٨).

حلاوة الإيمان

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ لا مانعَ لما أعطىٰ، ولا معطيَ لما منعَ أحمده سبحانه وأشكرهُ فضلهُ مُرتجىٰ وفي عفوهِ الطمعُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له منحَ الخيرَ وللمكروه دَفَعَ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه دعا إلى الحقِّ وجاهدَ في اللهِ وأشاد منارَ الإسلامِ ورفَعَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ الإيمانِ والرضىٰ والتقىٰ والورعِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الفزع.

أما بعد فاتقوا الله رحمكم الله فالسعيدُ من خاف يومَ الوعيدِ وراقبَ ربَّه واتقاهُ فيما يبدىءُ وما يعيدُ.

أيها المسلمون: من ضعُفَ إيمانُه يَضجُّ من البلاءِ لأنه لا يعرفُ المبْتَلِي، ويخافُ السفرَ لأنه لا زادَ له، ويَضِلُّ الطريقَ لأنه لا دليلَ معهُ.

فيالخسارةَ المستوحشينَ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٢٢].

من فقد الإيمان انفرطَ أمرُه وانحلَّ عِقْدُه، يقولُ ويفعلُ من غيرِ رقيبٍ، ويسيرُ في دنياهُ من غيرِ حسيبٍ، سيرتُهُ مطبوعةٌ بطابَعِ الأَثرةِ والأنانيةِ. معدومُ الثقةِ بنفسِه وبالناسِ يَحِلُّ التدابرُ عندَهُ محلَّ التراحمِ، والتفرقُ محلَّ التعاونِ.

بغيرِ الإيمانِ وحلاوةِ الإيمانِ يعودُ الناسُ وحوشاً ضاريةً، يقطعونَ حِبالَهم مع اللهِ ومع الناسِ، انقادوا لنفوسِهم الأمارةِ بالسوءِ واجتالتُهم شياطينُ الجنِّ والإنسِ.

والحضارةُ المعاصرةُ بماديَّاتِها المغرقةِ وتقنياتِها الجافةِ خيرُ شاهدٍ على أن السعادةَ والحلاوةَ لا تحقِّقُها شهواتُ الدنيا ولا ماديَّاتُها، لا ترىٰ المرءَ فيهم إلا منهوماً لا يشبعُ، شهواتُه مستعِرةٌ ورغباتُه متشعِّبَةٌ، يجرهُ الحرصُ على الخِصامِ فيَشقىٰ ويُشقِي، ويغرسُ العداوةَ والعداونَ حيثما حلَّ وارتحلَ.

لقد أورثتهم حياتُهم هذه أمراضاً نفسية، واضطرباتٍ اجتماعيةً، وتقُلباتٍ فكريةً، كان مفزعُهم إلى المخدراتِ والمهدئاتِ والعيادات النفسيةِ والعلاجات العصبيةِ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله وآمنوا بربّكم وأطيعوا رسولَكم واستمسكوا بدينِكم (رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ رسولاً ونبياً).

بين حب الله والحب في الله

الخطبة الأولى

الحمد لله أَلَّفَ بين قلوب المؤمنينَ فأصبحُوا بنعمتِهِ إخواناً، ونزع الغلَّ من صدورِهِمْ فكانوا في الدنيا أصحاباً وفي الآخرةِ خلاناً، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تبلغني لديه زلفىٰ ورضواناً. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه تصديقاً به وإيماناً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه وأتباعِه على دينه قولاً وعملاً وعدلاً وإحساناً.

أما بعد: فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، اتقوه حقَّ التقوى، اتقوه ما استطعتم، وتقربوا إليه، أَحِبُّوا ربَّكم من كلِّ قلوبِكمْ.

فمحبتُه سبحانه منزلةٌ عليا، ومرتبةٌ عظمىٰ تَنَافَسَ فيها المتنافسون، ومن أجلها شَمَّر المتسابقون، وبرَوْح نسيمها تروح العابدون.

محبة الله قوتُ القلوبِ، وقرةُ العيونِ، وبهجةُ النفوسِ، من رُزقها ذهب بشرف الدنيا والآخرة، ومن حُرِمَها فهو في دياجيرِ الظلماتِ بل في عداد الأموات.

محبةُ اللهِ دلتْ عليها الفطرُ، وجُبلتْ عليها النفوسُ، وأدركتْها العقولُ السليمةُ، بل لقد تنزَّلتْ بها الكتبُ، ودعت إليها الرسلُ:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وكيفَ لا تُدرِكُها العقولُ، ولا تُقْبِلُ عليها الفطرُ، وما من نعمةٍ في الوجودِ إلا وربُّنا مُسْديْها، وما من إحسانٍ في الدنيا والآخرةِ إلا ومولانا قد أولاه، وهو الذي يرفعُ البأساءَ ويكشفُ الضراءَ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣]. هو أكرمُ الأكرمين، وأجودُ الأجودين، يعطي قبل أن يُسألَ، ويعطي فوقَ المؤمَّلِ، يشكرُ القليلَ من العملِ، ويُنمِّيه، ويغفرُ الكثير من الزَّلَلِ ويمحوهُ، يحبُّ الملحِّينَ إليه، ومن لم يسألْه يغضبْ عليه، يسترُ على عبدِه، والعبدُ لا يستر نفسه، ويرحمُهُ حيثُ لا يرحمُ العبدُ نفسَهُ، أرسلَ لهدايتِهِ الرسلَ، وأنزلَ من أجله الكتبَ، بلْ يَنزِلُ سبحانه كلَّ ليلةٍ وينادي: «**هلْ من سائلٍ فأُعطيَهُ، هل من مستغفرٍ فأغفرَ له، هل من داعٍ فاستجيبَ له**»[1] وذلك كلَّ ليلةٍ.

من أحقُّ بالحبِّ من هذا البرِّ الرحيمِ، من أحق بالحمدُ ومن أحق بالذكرِ والشكرِ، أجودُ من سُئِلَ وأوسع من أعطىٰ.

معاشر الأحبة: هذه المحبةُ الساميةُ، وهذا الشرفُ السامقُ تُغذِّيْه شعبُ الإيمان، وتنمِّيْه التقلبات بين سراء غامرةٍ وضراءَ مُدْبرةٍ والعيشُ في مراحلِ الجهادِ والمجاهدةِ والصبرِ والمصابرةِ.

فربُّكَ يحبُّ المتقينَ، ويحبُّ المحسنينَ، ويحبُّ الصابرين، وهو يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين، ويحب المتوكلين، ويحبُّ

---

(١) أخرجه البخاري (فتح الباري ٣/ ٣٥ ـ ح١١٤٥)، ومسلم (١/ ٥٢١ ـ ح٧٥٨).

الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله الصلاةُ، ويحبُّ من العملِ ما داومَ عليه صاحبُه، ويحبُّ ان تؤتىٰ رخصُه، كما يحبُّ أن تؤتى عزائمُه.

وهو لا يحبُّ الفسادَ، ولا يحبُّ الكافرين، ولا يحبُّ الظالمين، ولا المعتدين، ولا يحبُّ من كان مختالاً فخوراً ولا من كان خواناً أثيماً.

حبُّ اللهِ لا ينالُه إلا المصْطَفَوْن من عباده. والتلذُّذُ بحبِّ اللهِ ليس متاحاً لكلِّ أحدٍ، ولكنه فضلٌ وسُموٌّ يتخيَّرُ اللهُ له من يشاءُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

نعم أيها الأحباب ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من ذا يستطيعُ أن يفرضُ على الله حبَّه ـ تعالى الله ـ ولكنَّه يمنُّ بحبِه على من يشاء.

غير إنه سبحانه لا يُضِيعُ زُلْفَىٰ من تودَّدَ إليه، وهو يعطي من تعرَّضَ لعطائه، ويهبُ الخير للأيْدي الممتدَّةِ إليْه.

أما من أدبرَ وتولىٰ فلا نصيبَ سوى الطردِ والهوان.

فحبُّ الله لا يرتبطُ بعواطفَ شخصيةٍ، ولا بروابطَ نسبيةٍ، ولا بعلائقٍ ماديةٍ، ولكنّهُ يعلو ويهبطُ بمقدار القربِ والبعدِ من المولى عزَّ وتبارك: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ﴾ [هود: ٤٦].

أيها الإخوة في الله: وحين يُرزقُ العبدُ محبةَ الله فإن ذلك ينعكسُ على سلوكِهِ لِيصْطَبِغَ بحياتِه التزاماً بالأوامرِ، وبعداً عن النواهي، يحبُّ ربَّه، ويتلقىٰ أوامِرَه بالحفاوة والإعظامِ والتنفيذِ،

ولاؤه لله، يعيشُ في أرض الله سلماً لأوليائه حرباً على أعدائه: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

حين يُرزقُ العبدُ حبَّ الله فإنه يُثْمِر عندَه الحبَّ في الله، فمن حلاوة الإيمان «**وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله**»[(١)].

إذا قوي حبُّ العبد لربِّه فتراه يحبُّ كلَّ من يقومُ بحقِّ الله في علم أو عملٍ، تراهُ يحبُّ كلَّ من فيه صفةٌ مرضيةٌ عند الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦].

هذه الثمرة من الحبِّ ليست شعاراً أجوفَ لكنها إخاءٌ روحيٌّ وتعاقدٌ على الوفاءِ بتعاليمِ الإسلامِ وتحكيمِ شرائعِه وإبلاغِ هدايتِه.

في مجتمع الحبِّ في الله المُلْتقِى على شعائرِ اللهِ يقومُ إخاءُ العقيدةِ مقامَ إخاءِ النسبِ، صلتُهُ النسبِ محكومةٌ بحقائقِ الإسلامِ ومناهجه ومباهجه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أواصرُ الحبِّ الصادقِ في اللهِ هي التي جمَعتْ أبناءَ الإسلامِ، وأقامت دولتَهُ، ورفعتْ رايتَهُ، وفيها جاهدتْ الأمةُ وصبرَتْ وصابرتْ.

إخاءٌ خالصٌ للهِ وودٌّ قائمٌ على الإيمان بالله، وترابطٌ يَشدُّهُ حبلُ الله:

---

(١) متفق عليه. البخاري (١/ ٩١ - ح٢١)، ومسلم (١/ ٦٦ - ح٤٣) واللفظ له.

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

تلونت عواطفُهم الإنسانيَّةُ بالحبِّ في اللهِ والبغضِ في اللهِ حبٌّ وبغضٌ تبعاً لما يصيبُ الإسلامَ وأهْلَهُ من خيرٍ أو شرٍ يحبّون أهلَ التقوىٰ الصلاحِ، ويكرهونَ أهلَ الإلحادِ والمبتدعاتِ، يمنعونَ الأذىٰ عن إخوانِهم، يردُّون عنهم عادياتِ الزمن.

مدينةُ رسولِ اللهِ ﷺ احتضنتْ الإسلامَ وأهلَ الإسلام على حبِّ اللهِ، فكان الإيثارُ والسماحةُ والنَّدىٰ، والمساواةُ والمواساةُ، فشاعَ الحبُّ ونبتَ الاحترامُ وسادتْ التضحياتُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴾ [الحشر: ٩] إنه إخاءُ الحبِّ في الله وليس إخاءَ المنافعِ الزائلةِ والغاياتِ الدنيَّةِ.

أيها الإخوة: وهذا الحبُّ كما يكون بين الإخوانِ والرفاقِ المتعاصرينَ فإنه يحملُ طابعَ الاستمرارِ والبقاءِ ما بقيَ الإيمانُ، فلا يقتصرُ هذا الحبُّ على أبناءِ الجيلِ، ولكنه حبُّ الخلفِ الصالحِ للسلفِ الصالحِ، فتحسُّ الأمةُ برابطةٍ علويةٍ تجمُعها بسلفِها وتشدُّها إليها: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠].

كم من إمام نحريرٍ وعالمٍ فذٍ وعابدٍ صالحٍ لم نر أشخاصَهم ولا صورَهم طويتْ قلوبُ الأمةِ على محبتَّهم والحماسِ لهم ولأمثالِهم وللمَجيْدِ من تاريخِهم، وما ذلك إلا لأن الأبصارَ والبصائرَ تعلقتْ بمواهبِهم الجليلةِ، وخصائصِهم المتميزةِ، وَصَلنا بهم الدينُ ووثَّقنا بهم الحبُّ في اللهِ لا نريدُ منهم ولا يريدون منا جزاءً ولا شكوراً.

ها هو الإمام البخاري يضيقُ عليه بلدُه فيخرجُ منها فينشُرُ عِلمَه في بلادِ اللهِ الواسعةِ وكان الجزاءُ الألهيُّ أن أباعبدالله البخاري كرَّمته الأمصارُ والأعصارُ منذ ظهرَ إلى بقيةِ الدَّهرِ: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [ص: ٤٩]، وقبلهُ شيخُهُ الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ خرجتْ بغدادُ كلُّها وراءَ جنازَتِهِ.

تَلْتَفُّ الأمةُ في سلَفِها وخلَفِها حول رجالاتِ الإسلامِ من الأئمَّةِ والفقهاءِ والعبادِ الصلحاءِ الذين أناروا الطريقَ بالعلمِ والصلاحِ والجهادِ، وحبَّبُوا إلى الناسِ ربَّهم وشرحوا صدورَهُم بذكرِهِ.

موقفُ الحبِّ هذا ـ أيها الإخوة ـ ليس لأجيالِ السلفِ من الخلفِ ولكنَّه محفوظٌ كذلك لأجيالِ المستقبلِ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ونبيُّكم محمدٌ ﷺ يقول: «**وَدِدْتُ أنَّا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أو لسنا إخوانك يارسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١/٢١٨ ـ ح٢٤٩) واللفظ له، وابن ماجه (٢/١٤٣٩ ـ ح٤٣٠٦)، والنسائي (١/٩٤)، وأحمد (٢/٣٠٠)، ومالك (١/٢٩ ـ ح٢٨).

هذه بعض آثارِ هذه المحبةِ في الدنيا وعلى النَّاسِ، أما في الآخرةِ عند المليكِ المقتدرِ فاسمعوا هذه الكوكبة من مشكاةِ النبوةِ، أخرج مسلم وغيرُه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول اللهُ تعالىٰ يومَ القيامةِ: أين المتحابون بجلالي؟ اليومَ أظِلُّهم في ظلي يومَ لا ظلَّ إلا ظلِّي**»(١). وجاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله: رجلٌ يحبُّ القومَ ولمَّا يلحقْ بهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**المرءُ مع من أحبَّ**»(٢). وفي الحديث المتفق عليه: «**من السبعة الذين يظلُّهمُ اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: رجلان تحابَّا في اللهِ اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه**»(٣).

وإن من عبادِ الله أُناساً ما هُمْ بأنبياءَ ولا شهداءَ يغْبِطُهمُ الأنبياءُ والشهداءُ بمكانهم من اللهِ، قالوا: يارسول اللهِ تخبرُنا من هم. قال: «**هم قومٌ تحابُّوا في الله على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموال يتعاطونها**»(٤).

اللهم إنا نسألُك حبَّك وحبَّ من يحبُّك، وعملاً يبلغُنا حبَّكَ، اللهم ارزقنا حبَّك وحبَّ من يحبُّك، اللهم ما رزقتنا مما نحبُّ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٨ ـ ح٢٥٦٦)، وأحمد (٢/ ٢٣٧، ٣٣٨، ٣٧٠، ٥٣٥)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٥٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٥٧٣ ـ ح٦١٧٠) واللفظ له، ومسلم (٤/ ٢٠٣٤ ـ ح٢٦٤٠).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٢/ ١١٥ ـ ح٦٨٠٦)، ومسلم (٢/ ٧١٥ ـ ح١٠٣١)، ومالك (٢/ ٩٥٢).

(٤) أخرجه أبوداود (٣/ ٢٨٨ ـ ح٣٥٢٧) وصححه الألباني.

فاجعله قوةً لنا فيما تحبُّ، وما صرفتَ عنا مما نحبُّ فاجعله انصرافاً إلى ما تحبُّ، اللهم آمين يارب العالمين.

بين حب الله والحب في الله
الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ويرضى ربنًّا، أحمده سبحانه وأشكره، تحبَّبَ إلى عباده بالنِّعم، وقام بأرزاقِهم، فما لأحدٍ منهم عنهُ غِنىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له البقاءُ ولمن سواه الفَنا، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ إلى الهدى ودين الحق أرشدنا، وعلى المحجة البيضاءِ أوقَفَنا، صلى الله وسلم وبارك علينه وعلى آله وأصحابه ساروا على نهجِه وتقرَّبوا إلى الله بحبِّه فكانوا أئمتَنا وقدوتَنا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الفنا.

أما بعد: فاتقوا الله أيها الناس، وأحبوا ربّكم لما يَغذُوكم من نعمِه ويُنَزِّلُ لكم من رزقِهِ.

واعلموا أن من تمام محبته محبَّةَ ما يحبُّه وكراهةَ ما يكرهُه، فمن أحبَّ شيئاً مما كرهَهُ اللهُ، أو كرِه شيئاً مما يحبُّه اللهُ لم يكمُل توحيدُه ولم يتمحضْ تصديقُه، وكانَ فيه من الشرك الخفيِّ بحسَبِ ما كرههَ مما أحبَّه اللهُ، وبحسب ما أحبَّه مما كرههُ اللهُ.

واعلموا أن من أعظم الأسباب الجالبة لمحبة الله قراءة القرآنِ بالفهِم والتَّدبُّرِ، والتقربَ إلى اللهِ بالنوافلِ بعد الفرائضِ.

وفي الحديث القدسي: «ما تقرب إلى عبدي بشيء أحبَّ إلى

مما افترضتُه عليه، ولا يزالُ عبدي يتقربُ إلى بالنوافلِ حتى أحبَّه»[1].

وداومُوا ذكرَهَ باللِّسانَ والقلبِ والعمَلِ، والزموا الجدَّ والصدقَ في تقديمِ ما يحبُّه ربكم على ما تحبُّه أنفسكمُ في الظاهرِ والباطنِ.

وأديموا النَّظَرَ في نعمِ الله وإحسانِه، وكرمِه وجودِه، وأظهروا الصدقَ في الأنكسارِ والخضوعِ والتذللِ بين يديه، وصدقَ المناجاة وتخيَّر الأوقاتِ الفاضلةِ، ومجالسَّة الصالحين، ومجانبةَ أسبابِ البعدِ والحرمانِ من المعاصي والمنكراتِ وقرناءِ السوءِ.

فكلُّ هذه مما يجلبُ محبةَ الله ويوصلُ إلى قربِه. فاتقوا الله رحمكم الله.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٣٤٨ ـ ح٦٥٠٢)، وأحمد (٦/٢٥٦).

عزنا في إسلامنا
الخطبة الأولى

الحمد للهِ أكملَ لنا الدينَ وأتمَّ علينا النعمةَ وجعلنا أهلَ الإسلام في الناس خيرَ أُمَّة. أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ وكان بُشرىٰ للمؤمنين ونُذراً للمخالفين ولجميع العالمينَ رحمةً. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له وأشهدُ أن سيدَّنا محمداً عبده ورسوله كَمُلَ به بناءُ النبوةِ وخُتِمَ به ديوانُ الرسالةِ ونمتْ بِبِعثتهِ مكارمُ الأخلاقِ محاسنُ الأفعالِ، فالفلاحُ لمن تبعَهُ والخزيُ والخسارُ لمن عصاهُ وخالف أمره. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه كانوا على الحقِّ أعلاماً وللهدى أئمةً، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ: اتقوا اللهَ حقَّ تقاتِهِ اتقوا اللهَ مااستطعتُم واحذروا غضبَهَ ومقتَهَ فكم أغدقَ خيراً وكشفَ ضُرّاً وسترَ عيباً ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠].

أيها الإخوة المسلمون: لا حياةَ لأمةِ الإسلام إلا بالإسلام، بقاؤها مرهونٌ بالمحافظةِ عليه، وفناؤُها راجعٌ إلى التفريطِ فيهِ، تدومُ بداومهِ في قلوبِها وتضمحلُّ باضمحلالهِ من نفوسِها وديارِها. إنه دستورُها ونظامُها بل هو عزُّها وحياتُها.

دينٌ كاملٌ في مبناهُ، وافٍ في معناهُ، سامٍ في مغزاهُ، لاترىٰ فيه عوجاً ولا أمتاً. دينٌ نسبهُ اللهُ إلى نفسهِ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وأكملهُ لنبيِّهِ، ورضيه لخلقه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

لا يقبلُ اللهُ التدينَ بسواهُ، ولا يرضىٰ أن يُعبدَ بغير مقتضاهُ، لا ينجو المكلفُ بغير اتباعِهِ، من آمن به اهتدىٰ ومن أعرضَ عنه لم يقبلِ اللهُ منه صرفاً ولا عدلاً: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

أيها الإخوةُ: لقد عاشَ الدينُ بأحكامهِ قروناً متطاولةً، طوَّفَ في الآفاقِ شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، نزل السهولَ والوديانَ، واقتحمَ الصحاري والجبالَ، وحلَّ بالمدنِ والأريافِ لاقىٰ مختلفِ العاداتِ والتقاليدِ، وتَقلَّبَ في شتىٰ الظروفِ والبيئاتِ، عاصر الرخاءَ والشدةَ، والفقرَ والغنىٰ، وصاحبَ الأمنَ والخوفَ، والقوةَ والضعفَ واجهَ الأحداثَ في جميعِ هذه الأطوارِ، وحكمَ وأفتى في كلِّ هذه الأدوارِ، فكانت له اليدُ الطولىٰ والسلطانُ الممدودُ لم يَعجَزْ عن قضيةٍ ولم تُعْجِزْهُ نازلةٌ.

الرحمةُ غايتهُ، واليسرُ مسلكُهُ، والحقُّ منهجهُ، ماقَصُرَ عن حاجةٍ ولا قَعَدَ عن الوفاءِ بمطلبٍ.

عقيدةُ التوحيدِ فيه سبيلُ القوةِ، ودعوةُ الإخاءِ منهُ سبيلُ التعاونِ، ومبدأُ المساواةِ عنده سبيلُ العدلِ، والبرُّ في وصاياه سبيلُ المحبةِ، والسلام في تعاليمهِ أصلُ العلاقاتِ. وكلُّ أولئكَ مبادىءُ معلومةٌ من هذا الدينِ بالضرورةِ لا موضعَ فيها لتأويلٍ أو تعسفٍ.

دينٌ أنزله اللهُ عز وجلَّ بعلمِه على نبيِّه محمدٍ ﷺ، لم يضعْهُ البشرُ، ولم تنشئْهُ التقاليدُ والمجتمعاتُ. ما يضعهُ البشرُ محلُّ العجزِ والقصورِ، يتأثرُ بمؤثراتِ المكانِ والزمانِ، والحالِ والثقافةِ، ويخضع لتقلُّباتِ الهوىٰ والمزاجِ ومؤثراتِ الوراثةِ والعواطفِ.

هذا الدينُ أنزلهُ اللهُ الذي له الخلقُ والأمرُ ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكهُ ربُّ الناسِ ملكُ الناسِ إلهُ الناسِ.

لم يضعهُ البشرُ حتى يُخْضعوهُ لغاياتِهم ومشتهياتِهم ولكنه نزلَ من عند اللهِ ليرتقيَ به المجتمعُ وينصاعَ لهدايتهِ وتوجيههِ، فكلمةُ الإسلامِ هي العليا ليقوم الناسُ بالقسطِ وتتحققَ مصالحُ العبادِ في المعاشِ والمعادِ.

غايةُ دينِ اللهِ إقامةُ الحقِّ والعدلِ المطلقِ بين الناسِ جميعاً. تحقيقُ الإخاءِ بينهُم وصيانةُ دمائِهم وأعراضِهم وأموالِهم وعقولِهم، كما هو صيانةٌ لدينهِم وأخلاقِهم.

لايغلبُ فيه قانونٌ على اقتصادٍ، ولا مادةٌ على أخلاقٍ، ولا دُنيا على دينٍ، إنه قضاءٌ واقتصادٌ، وروحٌ وأخلاقٌ، ودينٌ ودنيا.

أحكامهُ وتشريعاتهُ جامعةٌ بين الثباتِ والسعةِ، ثباتٌ في الأصولِ والمقاصدِ يستعصىٰ على الذوبانِ والميوعةِ والخضوعِ لكلِّ تغييرٍ. وهو في ذاتِ الوقتِ واسعٌ ذو مرونةٍ بفروعِهِ ووسائلِهِ، يتكيفُ ويواجهُ التطورَ ويلائمَ كلَّ وضعٍ يعلمُ ذلك ويقولُ به الراسخون في العلمِ والفقهِ.

يصوِّبُ الخطأَ، ويقوِّمُ المعوجَّ، ويهدي للتي أقومُ لكنه لا يذوبُ

أو يسوغُ أو يبررُ.

هدايةٌ للعالمينَ أجمعينَ، ورحمةٌ للناسِ كافةً؛ لا يختصُّ بجنسٍ من البشرِ ولا يُحدُّ بإقليمٍ من الأرضِ. بل هو للإنسانِ من حيثُ هو إنسانٌ للأبيضِ والأسودِ، والعربيِّ والعجميِّ المشرقيِّ والمغربيِّ فلا عنصرية ولا عصبيةَ ولا طبقيةَ ولا مذهبيةَ. الناسُ فيه سواءٌ، متساوون في حقوقِهم وواجباتِهم، مكلفون حسبَ قدراتِهم، عبيدٌ لربٍّ واحدٍ، وأبناءٌ لأبٍ واحدٍ. أبطلَ الدينُ بينهم فوارقَ الجنسِ واللونِ واللغةِ والأرضِ والطبقةِ والمالِ والجاهِ والسلطانِ.

في ظلِّ الإسلامِ تربَّىٰ الفردُ الحرُّ الكريمُ، يؤمنُ بربِّه ويعتزُّ بدينِه ويشعرُ بكرامتِه ويثقُ بحقِّه في حياةٍ آمنةٍ كريمةٍ عادلةٍ لا سلطانَ فيها لغيرِ الحقِّ ولا استعلاءَ لغيرِ الشرعِ ولا فضلَ إلا بالتقوىٰ.

لقد حررَ دينُ اللهِ العقولَ من الخرافاتِ والأوهامِ والظلمِ والقسوةِ.

نعم ـ أيها الإخوةُ ـ لقد رفعَ الإسلامُ مستوى المسلمينَ الأخلاقيَّ الثقافيَّ، أقام فيهم قواعدَ النظامِ الاجتماعيِّ والوحدةِ الاجتماعيةِ في نظامِ أسريٍ عجيبٍ في برِّ والدينِ، ومودةٍ زوجيةٍ، وصلةٍ للأرحامِ.

وفي العلاقاتِ العامةِ نصحٌ بناءٌ، وصدقٌ في الرأيِ في أدبٍ جمٍ، وقصدٍ حسنٍ، وسترٍ للعيوبِ، وبعدٍ عن الفضائحِ، ولم تبْنَ قاعدةُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ والنصحِ لكلِّ مسلمٍ إلا على هذا الأساسِ المكينِ المتينِ.

لقد أوجدَ الإسلامُ في أتباعهِ فيما أوجَدَ توازناً عجيباً بينَ الإذنِ بالمتاعِ الحسنِ والتحذيرِ من الإغراقِ في الملذاتِ، لقد علَّمهم دينهُم أن يواجهوا صعابَ الحياةِ ويتحملوا أثقالَها وبلاءَها بلا شكوىٰ ولا مللٍ، كما علمهم أن يأخذول بأسبابِها وسننِها في عزيمةٍ وتوكلٍ.

أما على مستوى العلاقاتِ الإنسانيةِ والدوليةِ فبناؤُها على أصل التسامحِ والجدالِ بالتي هي أحسنُ، حتى في أعظمِ حالاتِ الشدةِ والعدوانِ، بل حتى في ساعاتِ اشتعالِ الحروبِ حتى قال كاتبٌ غيرُ مسلمٍ:

(الحقَ أن الأممَ لم تعرفْ فاتحينَ متسامحينَ مثلَ المسلمين ولا ديناً سمحاً مثلَ دينِهم لم يحملِ المسلمونَ شعباً ولا أمةً بطريقِ الإكراهِ على اعتناقِ الإسلامِ، وقد كانوا قروناً عدةً يملكون من القوةِ والنفوذِ ما يُغريهم بذلكَ لولا سلطانُ الشريعةِ فوق رؤوسِهم ووازعِ الإيمانِ في صدورِهم، ولكن الشعوبَ دخلتْ في دينِ اللهِ ولم تخرجْ منه لِما رأوا من الحقِّ والرحمةِ والعدلِ حسنِ المسلكِ).

وكاتبٌ منهم آخرُ يقول: (إن المسلمينَ وحدَهم هم الذين جمعوا بين الغيرةِ لدينِهم وروحِ التسامحِ نحو أبناءِ الأديانِ الأخرىٰ إنهم مع امتشاقِ[1] الحسامِ لنشرِ دينِهم تركوا من لم يرغبُوا فيه على ديانتِهم، لقد أُعفيَ البطارقةُ والرهبانُ وخدمُهم من الجزية، وحرَّم نبيُّهم قتلَ الرهبانِ لعكوفِهم على العباداتِ، ولم يمسَّ عمرُ

---

(١) امتشاق الحسام أي سل السيف.

ابن الخطابِ النصارىٰ بسوءٍ حين فتحَ بيت المقدسِ في حين ذبح الصليبيونَ ـ والكلامُ لا يزالُ للكاتبِ منهم ـ المسلمينَ وحرقوا اليهودَ بلا رحمةٍ حين دخلوا بيتَ المقدسِ. لقد نجحَ الإسلامُ حين فشلتِ الدياناتُ الأخرىٰ في مزجِ الإيمانِ العميقِ بالتسامحِ الدينيِّ). اهـ كلامه.

وكأنكم أيها الإخوةُ تقولون لهذا الكاتبِ وقومهِ: هل الحالُ معادٌ في ديارِ البوسنةِ والهرسكِ؟.

أيها الإخوة في الله:

إن هذا الدينَ نعمةٌ وبركةٌ، ونظامٌ وقوةٌ مع حسنِ معتقدٍ وجمالٍ في الطبعِ وكرمٍ في الخلقِ توازنٌ وتكاملٌ وشمولٌ لا يوجدُ له نظيرٌ في أي بقعةٍ من بقاعِ العالمِ يسكنها رجلٌ أبيضُ أو أسودُ.

إن قواعدَ الإسلامِ ومبادئَه وأحكامَه وتوجيهاتِهِ تكفلُ للعالمِ نظامَه وسلامةَ وللمجتمعِ وحدتَه وقوتَه وللفردِ سعادتَه وكرامتَه مهما تطاولَ الأمرَ وتغيرَ الحالُ.

وإن ما يعرفُ بديهياً في حقائقِ الإسلامِ وتعاليمهِ من زمنٍ بعيدٍ يعتبر أمانيَّ كثيرَين ممن يعيشونَ في ظلالِ النظمِ الأُخرىٰ حتى عصرِنا هذا.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكُم اللهُ واعلموا أنه لن يجمعُ شعوبَ الإسلامِ ولن يعيدَ إليها عزَّها وكرامتَها إلا صدقُ تمسكِها بدينِها وحسنُ معتقدِها بإسلامِها فلن يُصْلحَ آخرُ هذه الأمةِ إلا بما صَلحَ به أولُها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

عزنا في إسلامنا

الخطبة الثانية

الحمد للهِ هدانا للإسلام، أحمده سبحانهُ وأشكرُه حمداً وشكراً يستجلبان مزيدَ الإنعام. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له له الملكُ القدوسُ السلامُ. وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه جاء بالكتابِ والحكمةِ فشرعَ الشرائعَ وبيَّنَ الأحكامَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أكملَ صلاةٍ وأعظمَ بركةٍ وأزكى سلامٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ وأوثقَ العرىٰ كلمةُ التقوىٰ وخيرَ المللِ ملةُ إبراهيمَ وأفضلَ السننِ سنةُ محمدٍ عليهما الصلاةُ والسلامُ، وخيرَ الأمورِ عوازمُها وشرَّ الأمورِ محدثاتُها وأعمى العمىٰ الضلالةُ بعد الهدىٰ وخيرَ الزادِ التقوىٰ فاتقوا الله رحمكم الله.

أيها الإخوةُ: يقولُ شمسُ الدينِ الحافظُ ابنُ القيِّم رحمه الله في وصفِ الشريعةِ المطهرةِ: حَسْبُ العقولِ الراجحةِ والآراءِ الفاضلةِ أن تُدركَ حسنَها، وتشهدَ بفضلِها، فما طرقَ العالمَ شريعةٌ أكملُ ولا أجلُّ ولا أعظمُ منها، فهي نفسُها الشاهدُ والمشهودُ له، والحجةُ والمحتجُّ له، والدعوىٰ والبرهانُ. أعظمُ نعمةٍ أنعمَ اللهُ بها على عبادِهِ، وما أنعمَ عليهم بنعمةٍ أجلَّ من أن هداهُم لها وجعلَهم من أهلِها، ارتضاها لهم وارتضاهم لها.

هذه هي الشريعةُ في نصاعتِها ونضارتِها وفضلِها وعظمتِها.

ثم انظروا وفقكم اللهُ إلى الإمام المفسرِ قتادةَ بن دعامةَ رحمهُ اللهُ وهو يصفُ حالَ العربِ قبل الرسالة وهو يتلوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

يقول قتادة:

كان هذا الحيُّ من العربِ أذلَّ الناس ذُلّاً. وأشقاهُ عيشاً وأبينَهُ ضلالةً وأعراه جلوداً وأجوعَه بطوناً بينَ فكيّ أسدِ فارسَ والرومِ، لا واللهِ ما في بلادهِم يومئذٍ شيءٌ يحسدونَ عليهِ، من عاش منهم عاشَ شقياً ومن مات رُدِيَ إلى النارِ، يُؤكلون ولا يأكلون. والله ما نعلم قبيلاً[1] يومئذٍ من حاضر الأرضِ كانوا فيها أصغرَ حظاً وأضعفَ شأناً منهم حتى جاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالإسلام فورَّثكُم به الكتابَ وأحلَّ لكُم به دارَ الجهادِ، ووضعَ لكم به الأرزاقَ، وجعلكم به ملوكاً، وبالإسلامِ أعطى اللهُ ما رأيتُم فاشكروا نعمتُه فإن ربّكم منعمٌ يحبُّ الشاكرينَ، وإن أهلَ الشكرِ في مزيدٍ من اللهِ، فتعالىٰ ربنا وتبارك.

---

(١) أي جماعة أو قبيلة.

نظرات في سورة العصر
الخطبة الأولى

الحمدُ لله جعل كتابَه إلى كل خيرٍ هادياً، ومن كل داء شافياً، وعما سواه مُغنياً وكافياً، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، قام بالحق داعياً، وكان للتوحيد حامياً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً متوالياً.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي ـ عباد الله ـ بتقوىٰ اللهَ، فالموصِي بها كثير، والعاملُ بها قليل.

أيها المسلمون: القرآنُ كتابُ الله العزيز، المصدرُ الأول، والمرجع المقدم في كل عصرٍ وفي كلِّ أمر، يُرْجعُ إليه لتُسْتَقىٰ منه المعارفُ الحقَّه، والعلومُ الصحيحة، يُرْجعُ إليه لينضبط المسلم في مسيرته، ويحفظ نقاء فطرته. في القرآنِ العظيم تحقيقُ الحياةِ الفاضلةِ في قضايا الفردِ والأمةِ، علميةً وعمليَةً، اجتماعيةً وسياسيةً، في العلاقاتِ والنُّظمِ، وفقهِ التنظيماتِ الدستوريةِ والاقتصاديةِ والعلاقاتِ الدَّوليةِ.

القرآن كتابٌ من ربنا لا ريبَ فيه، ما شانه نقصٌ ولا شابَه زيادة، هو المرجع الموثق: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]، استوعبَ حقائقَ النبوةِ الأولى، وقدم خلاصةَ هداياتها: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩].

لقد حمل القرآنُ العظيمُ بين دِفَّتَيْهِ الشُّهودَ التاريخيَّ بما قص من أخبار الماضين، والشهودَ الحضاريَّ بما تجسد من سيرةِ سيِّدِ المرسلين ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وبما تمثل من أحوال خير القرون المفضلين. وحَمَل الشهودَ المستقبلي بما أَصَّلَ من قواعدَ، وأسَّسَ من مبادىءَ، ورسم من معالمَ، وكلَّف من نظرٍ وتدبرٍ في سننِ اللهِ والأنفسِ والآفاقِ.

يجب أن يتأكَّد كلُّ مُسلم وكلُّ عالمٍ وكلُّ رجلِ دعوةٍ، كما يجب أن يعلم كلُّ مخالفٍ وجاحدٍ ومُتَنكِّرٍ أن أي محاولةٍ للإصلاحِ تتجاوزُ القرآن أو تهجرُه أو تَتَخطَّاهُ فهي محاولةٌ خاسئةٌ خاسرةٌ، أبصارُ أصحابِها كليلةٌ، وبصائرُهم صَدِئةٌ.

ومع هذا ـ أيها الإخوة ـ فإن واقعَ كثير من المسلمينَ من قرآنِهم مُؤرِّقٌ، وعلاقةَ كثيرٍ منهم بكتابهم يَحْكمها نوعٌ من الهجرِ خطيرٌ، ويسودُها نصيبٌ من العقوقِ كبيرٌ، وكأنهم قد حذوَا حذو أهل الكتاب: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨].

إن أعداءَ الإسلامِ جادُّونَ في فتنة المسلمين عمَّا أُنزل إليهم لِيَتَطلَّعوا إلى مناهج أخرىٰ، ويتعاملوا مع مبادىءَ غيرِ ملةِ الإسلامِ: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

يا أهل القرآن: ومن أجل مزيدٍ من الاعتبارِ والنَّظرِ هذه وقفةُ تَأمُّلٍ وتدبرٍ مع سورةٍ من سور القرآن الكريم، سورةٍ من أقصر سوره، سورةٍ ذاتِ آياتٍ ثلاثٍ، جمعتْ علومَ القرآنِ وغاياتِهِ،

تضمَّنتْ جميعَ مراتبِ الكمالِ الانساني؛ من الإيمانِ الصادقِ، والعملِ الصالحِ، والإحسانِ إلى النفسِ، والإحسانِ إلى الغير. في هذه السورة العَظيمة، يتمثلُ نهجُ الإسلامِ وطريقُه، وتبرزُ معالمُه وأركانِه.

هذه السورةُ الكريمةُ تؤكِّدُ أنه ليس إلا طريقٌ للنجاة واحدٌ على امتدادِ الزمانِ في جميع الأعصارِ، وامتدادِ الإنسانِ في كلِّ الأمصارِ، ليس هناك للربحِ إلا سبيلٌ واحدٌ.

تقول بعضُ الرواياتِ؛ كما أخرجَ الطبرانيُّ في الأوسطِ والبيهقيُّ في الشُّعبِ: إن الرجلينِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدُهُما على الآخر هذه السورة[1]. إنها سورةُ العصرِ. يقول الله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

الصلاحُ وسبيلُ الاصلاحِ يرتكزُ على معالمَ أربعةٍ: الإيمانُ والعملُ الصالحُ، والتواصيْ بالحقِّ، والتواصيْ بالصبرِ.

بُدئت السورةُ بالقسمِ بالعصرِ، وهو الدَّهرَ كلُّه أو جزءٌ منه وسِرُّ القَسَمِ بالدَّهرِ أو بجزءٍ منه في هذه السورةِ أو غيرها من الضحى والفجَرِ والليلِ والنهارِ والصبحِ والغسقِ لاشتمال ذلك على أصنافِ العجائبِ. يشتمل على بديعِ التكوينِ الربَّاني، الدالَّ على عظيمِ قدرتِه سبحانه وسعة علمه، فالدُّهرُ أيامُ الله، يُجْرِي فيها بحكمتهِ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. انظر المجمع (١٠/ ٢٣٦)، والبيهقي في الشعب.

ما يشاء من الخلقِ والرزق،والإحياءِ والإماتة، والإعزازِ والإذلالِ، والخفضِ والرَّفعِ، قدرٌ يَنْفُذُ، وآيةٌ تظهرُ، أمةٌ تذهبُ وأخرى تأتي، دولةٌ تعلو وأخرى تهبطُ، ليلٌ يعقبه نهارٌ، ونهارٌ يطرده ليلٌ. موجودٌ شبيهٌ بالمعدوم ومتحركٌ يضاهي السَّاكنَ، بجريانِ الليلِ والنهارِ؛ تنتظم مصالحُ العالم على أكملِ ترتيبٍ وأتمَّ نظامٍ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ ﴾ [النبأ: ١٠ ـ ١١].

الزمنُ والعصرُ وعاءُ الإنسانِ وظرفُهُ، تجري فيه أعمالُهُ، ويقعُ فيه ما يرجو من سعادةٍ وما يخشى من خسارٍ. فيه يقوم الناسُ إلى زروعِهم وتجاراتِهم، وأرزاقِهم وأسواقِهم.
ذلكم هو العصر الذي أقسم الله به.

أما المقسمُ عليه، فخسارةُ الإنسانِ كلِّ إنسانٍ؛ الأحمرِ والأسودِ، في الشرقِ وفي الغربِ، من الشمالِ ومن الجنوبِ. كلُّ هؤلاءِ ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٣٩]، ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨]. خسرانُ الكفرِ والضلالِ والعصيانِ، تفسدُ فِطَرُهُم وتسُوءُ مقاصِدُهم.

ولا ينجوْ ولن ينجوَ إلا من استكملَ أسباب النجاةِ التي دلت عليها السورةُ الكريمةُ.

وأولُها الإيمانُ باللهِ وبما جاء من عندِ اللهِ؛ عبادةً لله وخضوعاً، فهو سبحانه القويُّ الأعلىٰ. الإيمانُ الحقُّ يودع في القلبِ نوراً، ويورثُ في الرُّوح طُمأنينَةً ويملأُ النفسَ أُنْساً، فيزولُ الخوفُ والاضطرابُ كما ينتفي الكبرُ والاستعلاء.

حينما تصفوْ النفوسُ بالإيمانِ فإن المشاعرَ تَصفوْ وتَعلوْ، وتُحسُّ بكرامتِها على اللهَ، فَتَجزِمَ بمراقبة ربِّها عليها، واطلاعِهِ على مكنوناتِ صدورِها وضمائِرِها.

الإيمان هو الأصل الذي يُنْبِتُ فروعَ الخيرِ ويَنْشُرُ ثِمارَ الصَّلاحِ وترتبطُ به جميعُ مسالكِ الحياةِ الطَّيبةِ.

الإيمانُ الحقُّ هو برهانُ سلامةِ الفطرةِ، إذا فُقِدَ فسدتِ الحياةُ وفسدَ الإنسانُ. بفقد الإيمان لا يصحُّ عملٌ ولا تستقيمُ حالٌ ولو كان على ظاهرِه مسحةُ صلاحٍ أو بَريقُ منفعةٍ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

أما العملُ الصالحُ فهو ثمرةُ الإيمانِ، وهو صورته الخارجيةُ. إن الإيمانَ هو الدافعُ الصحيحُ للحركةِ المباركةِ، والعملِ الصالحِ، والعناءِ الشامخِ، والتعميرِ الراسخِ..

إن الإيمانَ ليس إنكماشاً ولا سلبيةً ولا انزواءً، والنوايا الطيبةُ، والمقاصدُ الحسنةُ وحدَها لا تكفي، فالإيمانُ آثارُهُ حركةٌ خيِّرةٌ ومسيرةٌ بانيةٌ.

أما التواصي بالحقِّ وبالصبرِ فهو ركنُ الرابطةِ بين أبناء المجتمعِ وأفرادِ الأمةِ. التواصيْ بالحقِ والصبرُ عليه هو منهجُ أمةِ الإسلامِ، أمةِ الخيرِ الشاهدةِ على الأممِ، القيِّمةِ على أهلِ الأرضِ، أَمةِ الحقِّ والعدلِ.

أمةٌ متواصيةٌ حارسةٌ للحقِّ متواصيةٌ به ومتواصيةٌ بالصبرِ عليه.

إن التواصيَ بالحقِّ ضرورةٌ لبقاءِ الأُمةِ. ومردُّ ذلك ان النهوضَ بالحقِّ مسئوليةٌ ثقيلةٌ، والمعوقاتُ كثيرةٌ، وهوى النفوس أعظمُ، وتقديرُ المصالحِ وتشابُكُها، واختلافُ التصوراتِ واَختلالُها، وتدَخُّلُ أهلِ الجورِ والظلمِ والهوىٰ، كلُّ ذلك يحتِّمُ لزومَ التواصي بالحقِّ، والتذكيرِ به، والتعاونِ الجادِّ على تحقيقه، والاستمساكِ به. مضموم إلى ذلك التواصيْ بالصبرِ، فالصبرُ مطيَّةٌ لا تَكْبُوْ، صبرٌ على الأذى والمشقة وتبجُّح أهلِ الباطلِ وانتفاخِ أهلِ الشرِ، صبرٌ على طولِ الطريقِ وبطءِ الحركةِ وتعدُّدِ المراحلِ، صبرٌ على انطماسِ بعضِ المعالمِ وبُعْدِ المقصدِ وعلوِّ الهمةِ.

وقد جاء اللفظُ القرآنيُّ: (وتواصوا)، ولم يقلْ (أوصوا) تأكيداً للمسؤليةِ الجماعيَّةِ، فالنجاةُ إنما تناطُ بحرصِ كلِّ فردٍ من أفرادِ الأمةِ على الحقِّ في نفسهِ ودعوتِهِ إليه غيْرَهُ.

والحقُّ والإيمانُ والعملُ الصالحُ كلُّ أولئكِ لا تقومُ إلا بالحراسةِ المجتمعةِ المتواصيةِ المتكافئةِ المتضامنةِ.

إن شرطَ النجاةِ من الخسرانِ والسلامةِ من الضياعِ أن يعرف الناسُ الحقَّ، ويُلْزِمُوا به أنفُسَهم، ويُمَكِّنوه من قلوبِهم وأعمالِهِم، ثم يُوصي به بعضُهم بعضاً.

إنهم إن لم يفعلوا ذلك فقد عرَّضُوا أنفُسَهم لسبيل الخاسرين. فالخسرانُ قرينٌ لكل عملٍ لا إيمانَ معه، وهو قرينٌ لكلِّ أمةٍ لا تأخذ بمبدأ التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

نظرات في سورة العصر

الخطبة الثانية

الحمد لله أوضح السُّبلَ، ورَفَعنا بالقرآنِ العظيمِ إلى أعلى المُثُلِ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَّنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أفضلُ الأنبياءِ والرسلِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعي ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فاتقوا الله رحمكم الله.

قال العلامة شمسُ الدين ابن القيم رحمه الله إن الأخذ بهذه السورةِ يَقُودُ إلى بلوغِ درجاتِ الكمالِ الإنسانيِّ، ويتحققُ ذلك بأن يكونَ المرءُ كاملاً في نفسِهِ، مكملاً لغيره. فكمالُه بنفسِهِ بإصلاح قوَّته العلميةِ والعمليةِ، فالقوةُ العلميةُ بالإيمانِ والقوةُ العمليةُ بالعملِ الصالحِ، وتكميلُهُ غَيْرَهُ بتعليمِهِ إيَّاهُ، وصبرِه عليْه، وحثِّه على العلمِ والعملِ.

وكلُّ ذلك أخذٌ بالحقِّ ، وانقيادٌ له، وتوجيهٌ إليه، واسداءٌ للنصحِ، ومحبةٌ للناصحين.

ورحم اللهُ الإمامَ الشافعيَّ فقد قال: (لو ما أنزل اللهُ حجةً على خلقه إلا هذه السورةَ لوسعتهم).

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، وأقرأوا كتابَ ربِّكم واتلوه حقَّ تلاوتِه، ثم صلوا وسلموا على نبيكم محمد رسول الله فهو النعمة المسداة والرحمة المهداة.

زهد وعفة

الخطبة الأولى

الحمد لله المبدىءِ المعيدِ، ذي العرشِ المجيدِ، الملكُ ملكهُ والخلقُ خلقُه يحكمُ ما يشاءُ ويفعلُ ما يريد. أحمدُه سبحانُه واشكرُه وأتوبُ إليهِ وأستغفرُه وأسألُهُ من فضلِه المزيدَ. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُه أقامَ أعلامَ الملةِ وأشادَ إركانَ التوحيدِ، منصورٌ بربِّ العزةِ فحازَ المجدَ التليدَ، ومازاده ذلكَ إلا تواضعاً وما كان في الدنيا إلا زاهداً يأكلُ ما يجدُ ويرفأُ[1] ثوبهُ ويخصفُ نعلهَ ويحلبُ شاته وقال: **«إني ابن امرأة تأكلُ القديدَ»**[2].

صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آلهِ وأصحابِه والتابعينَ ومن تبعهم بإحسان من سائر العبيد.

أما بعدُ: أيها الناسُ اتقوا الله ربَّكُم فتقواه عُدَّةُ يومِ المعادِ، وتمسكوا بكتابِ ربِّكم وسنةِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ فالتمسكُ بهما جهادٌ من أعظم الجهادِ. والزموها كلما تكاثرتْ الأهواءُ وتشعَّبتْ السبلُ واستشرىٰ الفسادُ.

---

(١) يرفأ ثوبه: يُصلح ما تمزق منه بالخياطة.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١١٠٠ ـ ح٣٣١٢)، والحاكم (٢/ ٤٦٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

أيها الإخوةُ المسلمون: تضمَّن الإسلامُ فيما تضمَّنَ طائفةً من الارشاداتِ المتصلةِ بحياةِ المسلمِ الخاصةِ. ارشاداتٍ تُرتِّبُ شؤونَه النفسيَّة والبدنيَّة، آدابٌ تتعلقُ بمطعمهِ ومشربهِ وملبسهِ ومسكنه. بل إنها تهذيبٌ لآمالهِ وتوجيهٌ لتطلعاته في الحياةِ كلِّها. تعليماتٌ وآدابٌ تحفظُهُ من الجنوحِ إلى الرهبانيةِ المغرقةِ وتقيهِ من الوقوعِ في أوحالِ الماديةِ الجشعةِ.

وسطيةٌ بين رهبانيةٍ لا تطيقُها النفسُ ويتعذبُ بها الجسدُ وبهيميةٍ قاتلةٍ قائمةٍ على عبثِ الشهواتِ ومطاوعةِ الأهواءِ.

وبموجبِ هذه التوجيهاتِ وبمقتضىٰ هذه الآدابِ فإن المسلمَ يقسِمُ آمالهَ ورغائبه على معاشهِ ومعادهِ ويطلبُ الخيرَ لنفسهِ في يومهِ وفي غدهِ. إنه تحقيقٌ للسعادةِ في الدارين، والنعمةِ في الحياتين. ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢]، ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا . . ﴾ [القصص: ٧٧].

ومن أجلِ مزيدِ بسطٍ لهذا المعنىٰ وإيضاحٍ لذاتِ المقصودِ تأمَّلوْا ـ رحمكم الله ـ هذه القصةَ التي جرتْ على مائدةِ محمدٍ ﷺ، وتأملوْا معها التفسيرَ النبويَّ الكريمَ فلقد أضافَ رسولُ الله ﷺ ضيفاً كافراً فأمرَ له بشاةٍ فحلبتْ فشربَ من حِلابها، ثم أُخرىٰ فشربه ثُمَّ أخرىٰ فشربه حتى شربَ حلابَ سبعَ شياهٍ، ثم إن هذا الضيفَ أصبحَ فأسلمَ فأمرَ له رسولُ اللهِ ﷺ بشاةٍ فشرِبَ حِلابَها،

ثم أخرى فلم يَستتِمَّها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أن المؤمنَ ليشربُ في معىً واحدٍ والكافرَ يشربُ في سبعةِ أمعاءٍ**»[1]. أخرجَ هذا اللفظ مسلمُ رحمه الله في صحيحهِ من خبرِ أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الإخوةُ: إن ذلكم الرجلَ انتقل من الجاهليةِ إلى الإسلام وحينما انتقلَ عرف الربَّ وفهم التكاليفَ فأخذت همتُه إلى الآخرةَ تترقىٰ. نعم لقد ارتفعتْ همتُه لتأسيسِ حياةٍ أعزَّ وأعلىٰ وأغلىٰ. فكان أن عزَفَ عن دنايا أهل الدنيا ومشتهياتِ البطونِ.

وهكذا في توجيهاتِ الإسلامِ وآدابهِ ميزانُ الوسطِ والاعتدالِ ومفهومُ الزهدِ والعفةِ والقناعةِ.

في هذا الميزان: ملذاتُ الطعام والشرابِ ورغائبُ النفوسِ العاجلةِ أنزلُ قدراً من أن يتفانىٰ الناسُ فيها على النحوِ البهيميِّ الشائنِ.

أيها الإخوةُ: إن التوسطَ لبُّ الفضيلةِ. والتوسطُ في حقيقتهِ أن تملكَ الحياةِ لتُسخرَها في بلوغِ المثلِ العليا، وليس من التوسطِ أن تملكَ الحياةِ ثم تسخرُها للمشتهياتِ والرخيصةِ.

لاشك أيها الإخوة. إن للجسدِ مطالبَ أجمعَ العقلاءُ على لزوم تحقيقِها، كما أجمعوا على أن في انتقاصِها إضراراً به، وذمُّ الحياةِ الماديةِ إنما يقصدُ به بطنةُ المترفينَ وبَشَمُ الممعودينَ[2].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٩/ ٤٤٦)، ومسلم (٣/ ١٦٣٢ ـ ح٢٠٦٣) واللفظ له.

(٢) بَشِم من الطعام ـ بشماً: أكثر منه حتى اتَّخَمَ وسئمه، والممعود: هو من فسدت معدته فلم تستمرىء الطعام، والمراد: أن معدته صارت لا تستمرىء الطعام بسبب كثرته والاسراف فيه.

ولزيادةٍ في فهمِ الوسطِ والتوسطِ في هذا البابِ فهذه وقفةٌ قصيرةٌ مع مفهومِ الزهدِ القرينِ والنظيرِ للعفةِ والقناعةِ.

إن الزهدَ ليس بتحريم الحلالِ ولا بإضاعةِ المالِ، ولكن الزهادة في الدنيا ألَّا تكونَ بما في يديْك أوثقَ مما في يدِ اللهِ، وأن يكون حالُك في المصيبةِ كحالكَ إذا لم تصبْ بها، وأن يكون مادُحك وذامُك في الحقِّ سواءً هكذا قال السلفُ. ويُعلِّقُ على ذلك الحافظُ ابنُ رجبٍ رحمهُ اللهُ فيقول: كلُّ هذه من أعمالِ القلوبِ لا من أعمالِ الجوارحِ، ولهذا قيلَ: لا نشهدْ لأحدٍ بالزهدِ فإن الزهدَ في القلبِ، وعليه فإن مبنىٰ الزهدِ على قاعدتين عظيمتينِ إحداهما: الثقةُ بما عند اللهِ، ثانيهما: اليأسُ مما في أيدي الناس.

وشمسُ الدين ابنُ القيمِ رحمه الله يقولُ: ليس المرادُ بالزهدِ في الدنيا خلوَّ اليدِ والقعودَ صفراً، وإنما المرادُ اخراجُها من القلبِ بالكليةِ فلا يلتفتُ إليها ولا يَدعُها تساكنُ قلبَه وإن كانتْ في يده. فليس الزهدُ أن تتركَ الدنيا من يدكَ وهي في قلبِكَ، وإنما الزهدُ أن تتركَها من قلبكَ وهي في يدِكَ، والقلبُ المعلقُ بالشهواتِ لا يصحُّ له زهدٌ ولا ورعٌ. ليس الزهدُ الرضا بشظفِ العيشِ والذلِّ والاستكانةِ والابتذالِ والخضوع المصطنعِ، وليس هو بهجر الناس والبعدِ عن معتركِ الحياةِ، لكنه قصدٌ في الطلبِ وزهدٌ في الحظوظِ والرغباتِ.

أيها الإخوة: إن الزهدَ معنى شريفٍ، إنه حالةٌ من الرضا والتوكلِ والعملِ. رضاً يرتفعُ به عن التسخطِ على ما ليسَ في

اليدِ، وتوكلٌ يتقي به الحرصَ المهلكَ على المكنونِ في الغيبِ، عملٌ وكدحٌ تحصلُ به العفةُ والاستغناءُ.

الزهدُ ـ يا طلابَ الزهدِ ـ أن يكون لك من هُمُومِكَ الجادةِ وهمتِك العاليةِ ما هو أعلى وأغنىٰ، ولك من أَشْغالِك وانشغالِك ما هو أنفعُ وأجدىٰ.

الزهدُ ـ يا أهلَ الزهدِ ـ أن تشيحَ بوجهِك وتربأَ بنفسكَ عما لا يُهمُّكَ من أفعالِ السوءِ ومقالاتِ السوءِ وفضولِ الحديثِ والعملِ، فلك من همِّكَ ما يصرفُك، وعندكَ من شأنِك ما يغنيكَ.

الزهدُ ـ في أسمى معانيهِ ـ يحفظُ عليكَ اهتماماتِك فلا توزِّعُها مجاناً يعبثُ بها كلُّ هملَ ممن لا قضيةَ له ولا عملٌ.

أهلُ الزهدِ هم أهلُ التقىٰ والخشيةِ، أعفُ الناسِ ألسناً، وأكثرُهم لفراغهِ شَغْلاً.

نعم إنهم أعزُّ أنفساً، وأشمُّ أنوفاً، وأعلى رؤوساً. إن الزهدَ على حقيقتهِ هو مجاهدةُ النوازعِ الفاسدةِ، والانانياتِ المفرطةِ، واللؤم في الطبعِ، والتعديْ والتحديْ وحبِّ الظهورِ وسوءِ الغرورِ.

. إن أزماتِ الناس والعالمِ لم تنشأْ إلا من غيابِ هذا المفهومِ الناصعِ. لم تنشأ إلا من الأَثَرَةِ المفرطةِ والتحاسدِ والبغيِ والاستعلاءِ المستبدِّ والتدخلاتِ الجائرةِ. ومن أجل هذا فإن من قلَّ زهدُه عظمتْ الدنيا في عينهِ فأحبَّ المدحَ وكرِه الذمَّ وربَّما تركَ كثيراً من الحقِّ خشيةَ الذمِّ واقتحم كثيراً من الباطلِ رجاءَ المدحَ.

والحَظُوْا ـ حفظكم الله ـ هذه الصورةَ التطبيقيةَ المعاصرةَ لتربطوا بين حقيقةِ الزهدِ وسموِّ الهدفِ وعلوِّ الهمةِ وأنواعِ الاهتماماتِ.

إنها صورة باهتةٌ لبعضِ الشبابِ وقد جعل من جسمهِ ولباسهِ محطَّ زينةٍ يسيرُ بها في الناس يرتقبُ نظراتِ الإعجابِ تنهالُ عليه من هنا وهناكَ. إن هناك فتيَانًا أغْرارًا يقضون الساعاتِ الطوالِ في البيوتِ وغيرِ البيوتِ وأمامَ المرايا وغيرِ المرايا ليس لهم من همٍّ ولا عملٍ إلا استكمالُ وجاهتِهم وللاطمئنانُ إلى أناقتِهم ولو أنهم كُلِّفُوا ببذلِ هذا الوقتِ في تَزوُّدٍ من علمٍ أو جدٍّ في عملٍ أو تفقهٍ في دينٍ أو اشتغالٍ بدعوةٍ لنفروا ونكصوا. إنهم يحسَبُون أتساقَ الملابسِ على الأجسادِ عنوانَ الكمالِ وعلامةُ الرجولةِ ألا ساء ما يَحسبون.

وفي مقابل ذلك فليس من المطلوبِ القصدُ إلى الملابسِ الرثةِ والهيئةِ المتبذلةِ أو لبسِ المرقَّعاتِ وارتداءَ الخرقِ البالياتِ كما يظنُّ بعض جهلةِ المتعبدين.

انصتوا إلى هذا الجوابِ الحكيم من الفقيهِ الزاهدِ الصحابي الكريمِ عبدِالله بن عمر رضي الله عنهما فقد سأله سائلٌ عما يلبسُ من الثيابِ فقال: البس ما لا يزدريكَ فيه السفهاءُ ولا يعيبكَ به الحكماءُ.

وأوضحُ من ذلك وأصدقُ قولُ نبيِّنا محمدٍ عليه الصلاة والسلام: **«ما على أحدِكم إن وجَدَ سعةً أن يتخذَ ثوبينِ ليومِ الجمعةِ غير ثوبيْ مهنتِهِ»**[1].

---

(1) أخرجه أبوداود (١/ ٢٨٢ ـ ح١٠٧٨)، وصححه الألباني، وأخرجه ابن ماجه (١/ ٣٤٩ ـ ح١٠٩٦) واللفظ له، ومالك في الموطأ (١/ ١١٠ ـ ح١٧).

هذا هو الزهدُ وذلكم هو الوسطُ، وهذا هو مفهومُ العفةِ والقناعةِ الرضا وأخذِ المرءِ مما يجدُ.

إن التجمّلَ وحسنَ السمتَ في إسلامنا محبوبٌ مرغوبٌ، ولكنه ذو علامةٍ فارقةٍ عمن يزخرِفُ ظاهرَ بدنِه ويهملُ باطنَه.

ومرةً أخرىٰ أيها الأخوة أين هذا الاعتدالُ من بدعِ عالمِ اليوم التى لا تنتهي؟؟ فللصيفِ عندهم لباسٌ، وللشتاءِ زيٌّ، ولباسُ الخريفِ غيرُ الربيعِ. وملابسُ الليلِ لا تصلحُ للأصيلِ وهندامُ الصباحِ لا يناسبُ العشيِّ. وهذا شططٌ سمجٌ يفرضُه على مجتمعاتِ الشرقِ والغربِ النساءُ وعبيدُ النساءِ وأشباهُ النساءِ، وهو هوسٌ يبرأ الإسلامُ منهُ، ويتنزهُ عنهُ العقلاءُ فضلاً عن الأتقياءِ.

وبعدُ أيها الإخوة: فإن كِفْلاً من ضياعِ الأمةِ وتصدعِ المجتمعِ يرجعُ إلى الجهلِ بهذه الحقائقِ وغيابِ هذه المفاهيمِ ضياعُ العفةِ والقناعةِ وتشويهُ مفهومِ الزهدِ واندراسُ وضاءَتِهِ ونصاعتِهِ.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واعرفوا الحقائقَ من الزيوفِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

[الأعراف: ٣١ ـ ٣٣].

زهد وعفة

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم في شأنهِ، الدائمِ في سلطانِه، أحمده سبحانه على جزيل برِّه وإحسانِه، وأشكره على سوابغِ كرمِهِ وامتنانِه، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تُبَلِّغُ إلى رِضوانِه، واشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله أشاد منار الإسلامِ وأحكمه في بنيانِه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِهِ وأتباعهِ وأعوانِه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد

أيها الإخوة: أن ترويضَ النفس بمستوىً من المعيشةِ يتحققُ به الكفافُ ويُبْعِدُ بصاحبِه عن الفضولِ أعونُ شيء على العزةِ ورفعِ الهامةِ والهمةِ ونيل رضا المولىٰ تباركَ وتعالىٰ.

إن قدرةَ الواجدِ على ضبطه نفسَهَ وقدرةَ من قُدِرَ عليه رزقُه على التحكمِ في إرادتِهِ. محاربةٌ لرذائلِ الشَّرَهِ والطمعِ، وقوةٌ على البذلِ في وجوهِ الحقِّ.

وذلكم لا يُحدُّ بحدٍ ولا يَدخُلُ تحت ضبطٍ فالناسُ تختلفُ في طبقاتِها وعيشِها، واللهُ فضَّلَ بعضَهم على بعضٍ، وجعلَ بعضَهم لبعضٍ سُخرياً وحدُودُ الكفايةِ يختلفُ باختلافُ الطبائعِ والأحوالِ والبيئاتِ.

غير أن المجرِّبينَ قد علموا انه لا يتفقُ طمعٌ في الدنيا مع

الانتصارِ للمثل العليا، ولا يجتمعُ الحرصُ لاعلاءِ كلمة اللهِ مع الحرصِ على الاستكثارِ من المغانم.

ولقد علموا أن الدنيا حينَ تكونُ غايةً فهي مذمومةٌ وحينَ تكون وسيلةً إلى الحقِّ والخيرِ فهي مُتَمدحَةٌ، ولقد جاء في الخبر: «**إن الدنيا حلوةٌ خَضِرةٌ، فمن أخذها بحقِّها بوركَ له فيها، ورُبَّ متخوضٍ فيما اشتهتْ نفسُه ليسَ له يومَ القيامةِ إلا النارُ**»[1].

وصدق الله العظيم: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ ﴾ [الليل: ٥ ـ ١١].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله وأقيموا الدينَ واستقيموا على الشرعِ واعبدوا ربّكم وافعلوا الخيرَ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٦) والترغيب والترهيب (٤/ ١٦٢).

كفالة اليتيم

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ لا يقولُ إلا حقًّا، ولا يَعِدُ إلا صِدقاً، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعبَّدا ورقّاً، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، أنبلُ الناس خُلقاً وأصدُقُهم نُطقا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فاتقوا اللهَ عباد الله فإن تقوى ربِّكم عليها المعوَّلُ، والزموا سنةَ نبيِّكم محمدٍ صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصدرُ الأولُ.

أيها المسلمون: الأمةُ مكلفةٌ برعايةِ مصالِحِها وحقوقِها، مأمورةٌ بالتعاونِ فيما بينها على البرِّ والتقوىٰ، والمودةِ والنُّصرةِ. التفاضلُ فيما بينها بالتقوىٰ والعملِ الصالحِ، والتسابقِ في البرِّ والمعروفِ، والتنافسِ في الفضلِ والإحسانِ.

ودينُ الإسلام أثبتَ لها حقوقاً وواجباتٍ في فِئاتِها وطبقاتِها. إنها حقوقٌ وواجباتٌ ثابتةٌ، مقرونةٌ بحقِّ اللهِ سبحانه في الإفرادِ بالعبادة:

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ

بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ . . . الآيات إلى آخر الحقوق العشرة في قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قوله سبحانه في مقام آخر: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ في سبع عشرة آية مختتمة بقول الحق سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ . . ﴾.

حقوقٌ عُظمىٰ، ووصايا كبرى، التقصيرُ فيها من الكبائر، والتفريطُ فيها من الموبقاتِ. حقوقٌ للوالدين والأقربين، واليتامى والمساكينِ، وأبناءِ السبيل والجيرانِ، والأصحابِ والأغرابِ.

وهذه وقفةٌ ـ معاشرَ الأحبةِ ـ مع حقٍّ من هذه الحقوقِ تضمنتْه هذه الآياتُ الكريماتُ، حقٌّ عظيمٌ يتأكد التذكيرُ به، والمسلمون بمشكلاتِهم ومحنِهم يتزايدُ فيهم صاحبُ هذا الحقِّ وتتنوع في تكاثره الأسبابُ، إنه حقُ اليتيم؛ يتيمِ أفغانستانَ، ويتيمِ البوسنةِ والهرسكِ، ويتيمِ الصومالِ، اليتيمِ المسلمِ في كلِّ مكانٍ.

أيها الإخوةُ: ومن أجلِ ابرازِ محاسنِ الإسلام، والتذكيرِ بسبْقِهِ في هذا الميدانِ وكلِّ ميدانٍ، تحسنُ الإشارةُ إلى تعاظمِ النفاقِ الدوليِّ المعاصرِ حولَ حقوقِ الإنسانِ. لقد أعلنوا عن هذهِ الحقوقِ حين كانَ الدبُّ الأحمرُ الشيوعيُّ فَاغِراً فاهُ ليلتقمَ ديموقراطيتَهم، وما تسيطرُ عليه من أرزاقِ الناس وأسواقِ العالم. يا تُرىٰ من هو هذا الإنسانُ الذي نادوا بحقوقِه؟ وأظهروا التعاطفَ معه؟؟.

إن المتبصرَ يرى أَناسِيَّ كثيراً تُهدرُ حقوقُهم في أحضانِ دعاةِ هـذه الحقـوقِ وبيـن ظَهْرانَيْهِـم، يـا تُـرىٰ مـا حـالُ أهـلِ البـوسنةِ والهرسك؟؟.

إن كثيراً من هذه الشعوبِ بواقعِ حالِها وما يجري أمامَ أعينِها تدركُ أن هذه أغلظُ كِذْبَةٍ في دعاوىٰ ديموقراطيتِهم، وأكبرُ تشويهٍ في رمز حريتِهم.

إن الإنسانَ المقصودَ أعلاهُ، هو عندهم جنسٌ من الموادِّ الخام يُولدُ ليُستَثمرَ أو يُستهلَك. في مقياسِهم لكلِّ لونٍ من البشرِ قيمتُه، ولكلِّ ملةٍ من المللِ حسابُها.

القويُ عندهم له حقٌّ وليس عليه واجبٌ، والضعيفُ عليه واجبٌ وليس بإزائِه حقٌ.

وليُعلمْ حقَّ العلمِ أن الرعايةَ الدقيقةَ للحقوقِ لا تتحققُ على وجهِها بمجردِ قانونٍ من عندِهم يُصدَرُ، أو دستورٍ مُلزمٍ، فكم من تشريعاتٍ وُضِعتْ، ومعاهداتٍ أُبْرِمتْ، وظلَّ السلبُ والنهبُ على أيدي اللصوصِ يسطون بقوتِهم وتلاعبِهم، ويستطيلون بمكرِهم وتلوُّنِهم.

لا يمنعُ إلا التقوىٰ الصادقةُ والوازعُ الدينيُّ الخالصُ. إن مظلَّةَ العدالةِ في الإسلامِ تحمي الضعافَ، وتَحنُوا على الصغارِ، وتحفظُ حقوقَهم، وتنظمُ علاقاتِهم، فلا يُسْتَذلُّ ضعيفٌ لضعفِه، ولا يُعْتدىٰ على عاجزٍ لعجزِه.

ولقد ذلتْ ولسوفَ تذلُّ كل أمة تُضيِّع ضعيفَها ويتيمَها، وتجعلُ من نفسِها مَسْبَعةً لا يعيشُ فيها إلا الوحوشُ الضاريةُ، أو الثعالبُ الماكرةُ.

إذا كان الأمرُ كذلك أيها الأخوةُ: فَحسْبُ اليتامىٰ أن يكونَ أُسْوتُهم محمداً ﷺ فتلك ـ وربِّك ـ هي الإنسانيةُ بجلالتِها، وهي الحقوقُ باسمى معانِيها.

وحسبُ الأوصياءِ أن يعلموا أن يُتْمَ محمدٍ ﷺ قد رعاه ربُّه وتولاَّه، فآواهُ وهداهُ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦].

وحسبُ كافلِ اليتيم أن يكونَ مع النبيِّ ﷺ في جناتِ عدنٍ كهاتين، وأشارَ عليه الصلاةُ والسلامُ بأصبعهِ السبابةِ والوسطىٰ[1].

وقد يَرغبُ مُحبُّ الخيرِ أن يعرفَ السرَّ في بلوغ الكافلِ هذه المنزلةَ العظيمةَ، والرتبةَ الشريفةَ ليكون قريناً لنبيِّه ﷺ في المقامِ العظيمِ.

يقولُ أهلُ العلمِ: إن محمداً ﷺ كتبَ الله على يديه هدايةَ قومٍ كانوا في ضلالٍ مبينٍ، قام عليهم، وأصلحَ شأنَهم، علَّمهم وأرشدَهم، ودلَّهم على الحقِّ والطريقِ المستقيمِ.

وكذلك كافلُ اليتيمِ، يحفظُ يتيمَه في حالِ صِغَره لا يعقلُ ولا يفقه، فيدلُّه ويهديه، ويهذِّبهُ ويربِّيه، فإذا ما بلغَ مبلغَ الرجالِ، كان رجلاً سوياً، محفوظَ الحقوقِ، موفورَ الكرامةِ، مع ما يتحمل الكافلُ من تبعاتِ الوصايةِ والرعايةِ، وشؤونِ التربيةِ وحسنِ العنايةِ، وما يَحُفُّ بذلك من تقوىٰ ونزاهةٍ وعفافٍ.

هذه هي الإنسانيةُ، وهذه هي حقوقُها في دينِ اللهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٠ ـ ح٦٠٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٧ ـ ح٢٩٨٣).

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن لليتيم حَظّاً موفوراً في نصوصِ الكتابِ والسنةِ، رعايةً وحِفظاً، وتربيةً وتأديباً، وعنايةً شديدةً في الكفِّ عن إيذائه وقهرِه، وزجرِه أو نهرِه.

لقد تنزلتْ الآياتُ في حقِّه في أوائلِ ما تنزلَ من القرآنِ المكيِّ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى: ٩]، ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: ١، ٢]، ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ [الفجر: ١٧]، ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ . .﴾[البلد: ١١ ـ ١٥].

وفي الحديثِ: «**إني أُحَرِّجُ حقَّ الضعيفين اليتيم والمرأةِ**»[(١)]. وفي حديثٍ عند مسلم: «**كافلُ اليتيم لهُ أو لغيرِه أنا وهو كهاتين في الجنةِ**». قال الإمامُ ابنُ بطالٍ: حقٌّ علىٰ من سمعَ هذا الحديثَ أن يعملَ به ليكونَ رفيقَ النبيِّ ﷺ في الجنةِ. ولا منزلةَ في الآخرةِ أفضلُ من ذلك.

وكان ابن عُمرَ رضي الله عنهما لا يجلسُ على طعامٍ إلا على مائدتهِ أيتامٌ.

أيها الإخوةُ المسلمون: اليتيمُ فردٌ من أفرادِ الأُمةِ ولَبِنَةٌ من لَبِنَاتِها. غيرُ اليتيمُ يرعاهُ أبواهُ، يَعيشُ في كنفِهما تُظَلِّلُه روحُ الجماعةِ، يُفيضُ عليه والداه من حنانِهما، ويمنحانِه من عطفِهما،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٣٩)، والحاكم (١/ ٦٣) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن ماجه (٢/ ١٢١٣ ـ ح٣٦٧٨) وحسنه الألباني.

ما يجعلهُ ـ بإذنِ اللهِ ـ بشراً سوياً، وينشأُ فيه إنشاءً متوازناً.

أما اليتيمُ فقد فَقَدَ هذا الرَّاعيَ، فأَحسَّ بالعُزلة، ومال إلى الإنزواءِ، يَنْشُدُ عَطْفَ الأبُوةِ الحانيةِ، ويَرْنُو إلى من يَمسَحُ رأسَه، ويُخَفِّفُ بُؤسَه، يتطلعُ إلى من يُنسيه مرارةَ اليُتْمْ والآمَ الحرمان. كم من أُمٍّ لأيتامٍ يَحُوم حَولَها صِبْيَتُها وأعَيْنُهم شاخصةٌ نَحْوَها، لعلهم يجدون عندها إسعافاً.

وإنْ شِئتُم أن تذرفوا الدَّمعَ ساخناً فاذكروا ساعةَ الاحتضارِ وَدُنوِّ الأجلِ، وتذكروا حالَ الصِّبْيةِ الصِّغارِ والذُّريةِ الضِّعافِ الذين يتركهم هذا المُحتَضَرُ وراءَه، يخشى عليهم صروفَ الحياةِ، وبلاءَ الدهرِ، يتمنى لهم ولياً مُرشداً يرعاهم كرعايتهِ، ويربيهم كتربيتهِ، يعوِّضهم برَّه وعطفَه.

من تذكَّرَ هذه الساعةَ، وعاشَ هذه الحالة، فَليَذكُرْ حالَ اليتيم: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء: ٩].

إن اليتيمَ إذا لم يجدْ من يستعيضُ به حنانَ الأبِ المُشفقِ والرَّاعيَ الرَّافقِ، فإنه سيخرجُ نافرَ الطَّبعِ، وسيعيشُ شاردَ الفكرِ، لا يحسُّ برابطةٍ، ولا يَفِيْضُ بمودةٍ.

وقد ينظرُ نظرَ الخائفِ الحذرِ، بل قد ينظرُ نظرَ الحاقدِ المتربِّصِ، وقد يتحولُ في نظرتهِ القاتمةِ إلى قوةٍ هادمةٍ.

أيها المسلمون: مِنْ خيارُ بيوتِ المسلمينَ بيتٌ فيه يتيمٌ يُحْسَن إليه.

خَفْضُ الجناحِ لليتامىٰ والبائسينَ دليلُ الشهامةِ، وكمالِ

المروءةِ. «صنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ»[1]، وتحفظُ من المِحَنِ والبلايا. إن كنت تشكو قسوةً في قلبِكَ فَأَدْنِ منك اليتامىٰ وأمسحْ على رؤوسِهم، وأجلِسْهَم على مائدتِك، وألِنْ لهم جانِبَك.

إذا رجوتَ أَنْ تَتقي لَفْحَ جهنَّمَ فارحم اليتامىٰ وأَحْسِن إليهم ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الدهر: ٨ ـ ١١].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه ﷺ....

(١) وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر» أخرجه الطبراني (٨/ ٣١٢) من حديث أبي أمامة وحسنه البيهقي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

كفالة اليتيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله دلَّ على الحقِّ ورفعَهُ، ونهىٰ عن الباطلِ ووضعَهَ، أحمدُهُ سبحانهُ وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، لا مانعَ لما أعطاهُ ولا معطيَ لما منعَهُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، حازَ من الفضلِ والشرفِ أكملَهُ وأجمَعَهُ، صلى الله وسلَّمَ وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثرَهُ واتبَعَهُ.

أما بعدُ. لا تقومُ الحقوقُ على وجهِها ولا يُحفظُ للناس أشياؤُهم إلا حينَ يأخذونَ كتابَ ربِّهم بقوةٍ، يرجونَ وعدَهُ، ويخافونَ وعيدَه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠]، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [النساء: ٢] أي: إثماً عظيماً.

لقد تَحرَّجَ الذين عندهم أيتامٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ حين سمعوا هذهِ القوارعَ فعزلُوا طعامَ الأيتامِ وشرابَهم، فصاروا يأكلون مُنْفردينَ، ويعيشونَ مُنعزلِيْن، وامتنعَ آخرونَ من كفالةِ الأيتام تحرُّجاً وتعفُّفاً، وكان هذا موضعَ حرجٍ آخر، فعزلُ اليتيم ونبْذُهُ في ركن من أركان البيتِ وفصْلُه عن أترابِه من الأطفالِ له الأثرُ السيءُ في تربيتِه وضياع مالِه، فسألوا رسولَ الله ﷺ فنزلَ القرآنُ مجيْباً لهم: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٢٠]

ولقد رُفعَ الحَرجُ بتوجيهٍ عميقٍ وهدفٍ عالٍ: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ إن الغايةَ هي إصلاحُ اليتيم، إصلاحٌ بكلِّ معاني الإصلاحِ، من التهذيبِ والتربيةِ والتنشئةِ على الدينِ والعلمِ والخلقِ القويم. وهذا أعظمُ وأهمُّ من الاشتغالِ باصلاح المالِ وحدَه، وكلٌّ من الإصلاحينِ مطلوبٌ: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ إنهم إخوانُكم وشأنُ الأُخوَّةِ المساواةُ والمخالطةُ في الكسبِ والمعاشِ، مخالطةً في أخوةٍ صادقةٍ مبنيةٍ على المسامحةِ وانتفاءِ مظنةِ الطَّمع.

أما إذا فسدتِ النوايا واستُغِلَّ ضعفُ اليتيمِ وقلةُ ادراكِه، فقد جاء الوعيدُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾.

وكم من نُظَّارٍ على أوقافٍ، وأصياءَ على أيتامٍ انزلقوا في الشبهاتِ ثم ترقَّوا إلى المحرماتِ فغلَبَتْهم أطماعُهم حتى أصبحَ واحدُهم غنياً من بعد فقرٍ، قاسياً من بعد لينٍ، فويل لهم، ثم ويلٌ لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، وفي الحديث «**أربعٌ حقٌّ على الله ألا يدخلَهُم الجنةَ ولا يذيقِهَمْ نعيمَها: مدمنُ خمرٍ وآكلُ ربا وآكلُ مالِ اليتيمِ والعاقُّ لوالديه**»[١].

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ وأدوا لذوي الحقوق حقوقَهُم واحفظوا أماناتِكُم وقُوا أنفسُكم وأهليكم ناراً.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٧/٢) وقال صحيح الإسناد، قال الذهبي: إبراهيم قال النسائي: متروك. وفي الترغيب والترهيب قال: رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد قال الحافظ: فيه إبراهيم بن خيثم بن عراك، وهو متروك. وقال الألباني: ضعيف جداً.

اصلاح ذات البين

الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرور أنْفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُ الله ورسولُه، بعثهُ بالهدى ودينِ الحق، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فاتقوا اللهَ أيها المسلمون. اتقوه وأصلحوا ذات بينِكم وأطيعوا اللهَ ورسوله إن كنتم مؤمنين.

أيها المسلمون: لو قلَّبَ البصيرُ النظرَ في العالمَ من حولِه، هذا العالم بقواتِهِ وتقنيَّاتِهِ ونظمه ومبادئه، ثم رجع بصرَهُ إلى الواقعِ وما يغصُّ به من مشكلاتٍ، وما ينوءُ به من ويلاتٍ على مستوى كثير من الدولِ والشعوبِ والأفرادِ لوجدَ أن أصحابَ هذه القُوىٰ ومُلاَّكَ هذه التقنياتِ لا يُصرِّفُهم إلا مصالحُ ذاتيَّةٌ، ولا يبعثُهم إلا أنانياتٌ مستحكمةٌ، قستْ قلوبُهم، وفسدتْ بواطنُهم، وخبُثتْ نياتُهم، ولو حَسُنَ لفظهُم ولانتْ ألِسنتُهُم، ورقَّتْ ابتساماتُهم. بل إن حالَهم وواقعَ أَمرِهم حبُّ السوءِ لغيرهم والميلُ إليه وتوسعتُه والدعوةُ إليه.

من الذي وراءَ الحربِ الطاحنةِ غيرِ المتكافئةِ في البوسنةِ والهرسكِ؟

ومن هو المتخاذلُ في شأن الفئاتِ المتناحرةِ المتهالكةِ في الصومالِ؟ من الذي يزرعُ المشكلاتِ الطائفيةَ، وينمي النعراتِ القوميةِ؟ ويوزعُ الاتهاماتِ الانتمائيةِ، ويغذِّيْ الأحقادَ العنصريةَ؟ وسائر المشكلاتِ الدوليةَ والإقليميةَ؟ إنهم الذين يعملون على نشر الشرِّ بين الناس، وقلما يعملون على حلِّ المشكلاتِ والغضِّ عن الغلطاتِ، ودَمْح الزلاتِ، تراهم يتركونَ المختلفينَ حتى يستفحلَ أمرُهُم، ويشتدَّ خصامُهم، وإنهم في كثيرٍ من المواقفِ قادرونَ على الإصلاحِ واطفاءِ الفتنِ ولكنهم لا يفعلون، بل يقدِرُون في كثير من الأحيانِ على تحديدِ ما يترتبُ على فسادِ ذاتِ البينِ ثم لا يصلحون، وقد يهدِّؤُن بعض المناطق الساخنةِ إلى حين.

والأشدُّ والأنكىٰ أن يُرىٰ من خلالِ تحركاتِهم ووسائِلِ إعلامِهم من يلهبُ نارَ العداوةِ ويوقدُ سعيرَ البغضاءِ وكلَّما خبتْ نارُها أوقدوا أوارَها.

ويضمُّ إلى هذا السوءِ حالٌ أسوأُ، تلكم هي المكاييلُ المتباينةُ التي يكيلون بها حين ينظرونَ في مشكلات العالمِ يكيلون بها، وهم يتحدثون عن محكمة العدلِ الدوليةِ، وحقوق الإنسانيةِ بالسويةِ.

أيها الإخوة في الله: في هذا الخِضمِّ، ومن بين أمواجِ هذا البحر المتلاطم يجملُ الحديثُ ويحسنُ التذكيرُ بشيء من مزايا دين محمدٍ ﷺ، لعلَ الشاردين من قومِنا يرجعون.

إنه الحديث عن إصلاح ذاتِ البينِ. إصلاحُ ذات البين بما يُذْهِبُ وغَرَ الصِّدورِ ويجمعُ الشملَ ويضمُّ الجماعةَ ويزيلُ الفرقةَ. الإصلاحُ بين الناس في دين اللهِ مبعثُ الأمنِ والاستقرارِ، ومنبعُ الألفةِ

والمحبةِ، ومصدرُ الهدوءِ والطمأنينةِ. إنه آية الاتحاد والتكاتُفِ، ودليل الأُخُوةِ، وبرهانُ الإيمانِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

الصلحُ خيرٌ تهبُّ به على القلوبِ المتجافيةِ رياحُ الأنس ونسماتُ النَّدىٰ، صلحٌ تسكنُ به النفوسُ ويتلاشىٰ به النزاعُ، الصلحُ نهجٌ شرعيٌ يصانُ به الناسُ وتحفظُ به المجتمعاتُ من الخصامِ والتفككِ. نهجٌ يمسكُ عن الاندفاع وراءِ الحميةِ الجاهليةِوالنظراتِ القاصرةِ، والحماساتِ الانفعاليةِ.

بالصلح تُسْتَجْلبُ الموداتُ،وتُعْمرُ البيوتاتُ،ويُبَثُّ الأمنُ في الجنبات..ومن ثَمَّ يتفرغُ الرجالُ للأعمالِ الصالحةِ، يتفرغون للبناءِ والإعمارِ بدلاً من إفناءِ الشهورِ والسنواتِ في المنازعاتِ، والكيدِ في الخصوماتِ، وإراقةِ الدماءِ، وتبديدِ الأموالِ، وإزعاجِ الأهلِ والسلطاتِ

هذا هو الاصلاح ـ أيها الأحباب ـ أما المصلحون والساعون في الاصلاح، فرجالٌ نبلاءٌ شَرُفَتْ نفوسُهم وصفَت قلوبُهم وصحتْ عزائمُهم وأشرقتْ ضمائرُهم، شخصياتٌ كريمةٌ بعيدةٌ عن الانفعالاتِ النفسيةِ، والرواسبِ الشعوريةِ، والملابساتِ المشبوهةِ، حريصون على حفظ الأسرارِ وكتمانِ ما يكدِّرُ أو يشوشُ، متنزهون عن الرغبةِ في غلبةِ طرفٍ على آخر، راغبون في خير الجميع. إنهم ذوو مروءاتٍ فضلاءُ، رائدُهم حكمةٌ عاقلةٌ، وكلمةٌ رزينةٌ، وتصرفاتٌ موزونةٌ، يحسنون الدخولَ كما يحسنون الخروجَ، يعينون المسؤولين، ويساعدون القضاة. الله أكبر يا عباد الله:

«**كل سلامي من الناس عليه صدقة كلُّ يومٍ تطلُعُ فيه الشمسُ قال: تعدلُ بين الاثنين صدقةٌ**»[1]. ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٤].

وأخرجَ أبوداودَ والترمذيُّ وابن حبانَ في صحيحه، وقال الترمذيُّ حديثٌ صحيحٌ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أُخبرَكم بأفضلَ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ**» قالوا: بلى يارسولَ اللهِ قال: «**إصلاحُ ذاتِ البينِ، فإن إفساد ذاتِ البينِ هي الحالقةُ**»[2]. وفي بعض الروايات: «**هي الحالقةُ لا أقولُ تحلقُ الشعرَ ولكن تحلقُ الدينَ**». وفي حديث حسنهُ الذهبي: «**أفضلُ الصدقةِ إصلاحُ ذات البين**». ويقول الإمام الأوزاعيُّ رحمه اللهُ: «ما خطوةٌ أحبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ من خطوةٍ في إصلاحِ ذاتِ البينِ».

وكم يبلُغُ النُّبْلُ ببعضِ الأفاضلِ ليضمَّ إلى حكمةِ عقلِه وحسنِ لفظِه بذلَ مالِه، من أجل أن تقرَّ الأعينُ بكسبِ ودِّ المتصالحين.

معاشر الإخوة: وميادينُ الإصلاحِ كثيرةٌ فكلَّما هبَّ نزاعٌ فهو قابلٌ للإصلاحِ. إنها ميادينُ واسعةٌ في الدماءِ والأموالِ والأقوالِ والأفعالِ وكلِّ مايقعُ فيه التداعِي والتنازعُ. إصلاحٌ على نَهج الشرعِ يرادُ به وجهُ اللهِ وابتغاءُ مرضاتِه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]. إصلاحٌ في

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٩ ـ ح١٠٠٩).

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٨٠ ـ ح٤٩١٩)، والترمذي (٤/ ٥٧٢ ـ ح٢٥٠٩) وقال: حديث صحيح، وأحمد (٦/ ٤٤٤)، وصححه الألباني.

نطاق جماعةِ المؤمنين وطوائفهم وفئاتِهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ..﴾ [الحجرات: ٩]، وإصلاحٌ في نطاقِ الأسرةِ وبيتِ الزوجية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]. ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

إصلاح بين الأفراد: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٨] إصلاح يعدلُ بين اثنين، ويجمعُ بين متهاجرينِ، ويقرِّبُ بين متظالمين، يقادان إلى صلحٍ لا يحلُّ حراماً ولا يحرِّم حلالاً.

كما يجري الإصلاحُ - أيها الأخوة - بين أصحابِ الحقوقِ في الوصايا والأوقافِ إذا انحرفت وصياهم وأوقافُهم عن مسلكِ الشرع المطَّهرِ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ [البقرة: ١٨٢].

أما طريقُ الإصلاحِ وأسلوبُه فيبدأ بكلمةٍ طيبةٍ، كلمةٍ طيبةٍ من رجلٍ عاقلٍ، ونبيلٍ لبيبٍ، يسره أن يسودَ الوئامُ بين الناس، كلمةٍ من رجلٍ قد امتلأ قلبُهُ صلاحاً، لا يريد إلا الإصلاحَ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٣٥].

استيقنوا أيها الإخوةُ: أن كثيراً من النفوس يكفي في إزالةِ شحنائِها كلمةٌ رقيقةٌ، ولمسةٌ رفيقةٌ تطفىءُ نارَ الحقدِ والضغينةِ، ويتلاشى معها الانفعالُ والشَّططُ، يبتعدُ بكلمتهِ عن التصريحِ، ويدخلُ في أبوابِ الكناياتِ والمعاريضِ، بل إن الشرع قد أفسَحَ

له المجالَ ليُبالغَ في الكلامِ ويُطنِبَ في الثناءِ ولو جافىٰ الحقيقةَ ودخلَ في دائرةِ الكذبِ، وهذا الصادقُ المصدوقُ عليه الصلاة والسلامُ يقول: «**ليس الكذَّابُ الذي يُصْلحُ بين اثنين**» أو قال: «**بين الناس فيقولُ خيراً ويَنْمي خيراً**»(١). وفي حديث آخرَ: «**لا يصلحُ الكَذِبُ إلا في ثلاثٍ: الرجلُ يكذبُ في الحربِ، والحربُ خدعةٌ، والرجلُ يكذبُ بين الرجلين ليُصلحَ بينهما، والرجل يكذبُ للمرأةِ ليُرْضيَها بذلك**»(٢).

واسمعوا رعاكم الله إلى هذه الطُّرفةُ العمرية: رُويَ أن رجلاً في عهد عمر رضي الله عنه قال لزوجته: نَشَدْتُكِ اللهَ هل تُحبينني؟ فقالت: أما إذا نشدَّتني اللهَ فلا أحبُّك. فخرج الرجلُ حتى أتى إلى عمر رضي الله عنه وأخبرهُ، فأرسل إليها عمرُ فقال: أنتِ التي تقولين لزوجل لا أحبك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين نشدَني بالله أفأكذبه؟ قال: نعم فاكذبيْه. ليست كلُّ البيوتِ تُبْنىٰ على الحبِّ، ولكنَّ الناس يتعاشرُون بالإسلام والإحسانِ. وأصدقُ من ذلك وأبلغُ قولُ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩] فليفقَهْ هذا المخدُوعون بِقَصَصِ الغرامِ ومايبثُ في وسائل الإعلامِ.

والإصلاحُ وإن كان سبيلُهُ الكلمةَ الطيبةَ، والتصرفَ الحكيمَ،

---

(١) متفق عليه. البخاري (٥/ ٣٥٣ ـ ح٢٦٩٢)، ومسلم (٤/ ٢٠١١ ـ ح٢٦٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٤)، وأبوداود (٤/ ٢٨١)، والترمذي (٤/ ٢٩٢ ـ ح١٩٣٩) دون قوله ليرضيها، ومسلم (٤/ ٢٠١٢ ـ ح٢٦٠٥) بمعناه.

لكنه قد يحتاجُ فيه إلى بذل أموالٍ، فَيَنْبَري مُوفقون من أصحابِ المروءاتِ والمكرماتِ ليَدْفعوا كريمِ أمَوالِهم وعزيزِ مدخراتِهم فيدفِنوا الشحناءَ، وينزعوا التشاجرَ، وتقديراً لهذا النبلِ واعترافاً بهذا الجميلِ فقد جاء التشريعُ ليخص هؤلاءِ بنصيبٍ من أموال الأغنياءِ من أجل الإعانةِ على سد هذا المرفقِ والحفاظِ على هذه المكارمِ فجعل في الزكاة نصيباً للغارمين، بل ذهب التشريعُ إلى إباحةِ المسألةِ لمن تحمَّلَ غرامةً في هذا البابِ تقديراً لعظمِ الفعلِ، واعترافاً بأهميةِ الدَّور، وحتى لا يُثْقلَ ساداتِ القومِ المصلحين حِمْلُ المغارم. حدَّثَ قبيصةُ بن مخارق الهلالي رضي الله عنه قال: تحمَّلتُ حمالةً (يعني غرامةً) فأتيتُ رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «**أقِمْ حتى تأتينا الصدقةُ فنأمرَ لكَ بها. ثم قال: ياقبيصةُ إن المسألةَ لا تحلُّ لأحدٍ إلا لثلاثةٍ: رجلٍ تحمَّلَ حمالةً فحلت له المسألةُ حتى يصيبَها ثم يمسك...**» **الحديث**[1].

أيها الإخوة: هذا هو نهجُ الإصلاحِ في الإسلامِ صدقٌ في التوجُّهِ، وإخلاصٌ لله، وإفشاءٌ للمودةِ، أين هذا من دعاوى أهل هذا العصرِ العريضةِ في حقوقهم ونظامهم العالمي الجديد الذي يفسدون في كثير منه ولا يصلحون. والله المستعان والله غالب على أمره...

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٢٢ ـ ح١٠٤٤)، وأبوداود (٢/ ١٢٠ ـ ح١٦٤٠)، والنسائي (٥/ ٨٨)، وأحمد (٣/ ٤٧٧).

اصلاح ذات البين

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفىٰ، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له شهادةً أرجوا بها لديه الزلفىٰ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المصطفىٰ صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أهل الصدق والوفا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعد: فأوصيكُم ونفسي - أيها المسلمون - بتقوى الله، فتقوى الله أقوم وأقوى، واستمسكوا من دينكم بالعروة الوثقى. أيها المسلمون: إن كثيراً من قضايا المحاكم ومخافر الشرطة وحوادث المستشفيات والسجون راجعٌ إلى التقصير في مبدءِ الإصلاح بين الناس حتى تفشى الشرُّ في كثير من المجتمعات، ونال البعيدَ والقريبَ، أُهلكت نفوسٌ وأُهدِرتْ أموالٌ وتمزقتْ أُسرٌ وغَرِقَتْ في أوحالِ القطيعةِ والعواقبِ الوَخيمةِ. فَجِدُّوا في الإصلاحِ وفقكُم اللهُ والتزموا مسالكَ الشرعِ.

أيُّها المصلحون الموفقون: أنتم تعلمون أن أقوم المسالكِ وأنْجعِ الوسائلِ التي تصفو بها القلوبُ، وتتطهرُ بها النفوسُ أن يجعلَ المرءُ من نفسهِ ميزاناً بينه وبين الآخرين فما يحبُّهُ لنفسِهِ يحبُّهُ لهم، وما يكرَهُهُ لنفسه يكرهُهُ لهم «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1].

---

(١) متفق عليه. البخاري (١/ ٧٣ - ح١٣)، ومسلم (١/ ٦٧ - ح٤٥).

ينضمُّ إلى ذلك إخلاصُ القصدِ لله، فلا يدخلُ في الصلح لشهوةٍ ذاتيةٍ، أو شهرةٍ اجتماعيةٍ، دافعُهُ ابتغاءُ مرضاةِ اللهِ، وحبُّ المؤمنين، والحرصُ على جمعِ كلمتِهم والجدُّ في تحرِّي العدلِ بينهم والصدقُ والإحسانِ إليهم، فلا يُلحظُ منه حيفٌ أو يَبْدرُ منه تعسفٌ.

كما ينبغي أن تعلم أيها المصلحُ الموفقُ: أن السعيَ في الإصلاحِ قد يحتاجُ فيه إلى الكتمانِ، فيكون إصلاحاً بطريق النَّجوى مع المتنازِعَين ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤].

إن من الناس من يصدُّه عن قبول الصلح والرضا بهِ اعلانُهُ وتحدُّثُ الناسِ به، ومنهم من يشترِطُ أنَ يكون خصمُهُ هو المبتدىءَ بطلبِ المصالحةِ، والجهرِ والاعلانُ في مثل هذا قد يفسدُ المساعيَ.

فاتقوا الله رحمكم الله وأصلحوا ذات بينكم.

الإصلاح بين الناس

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ شرحَ بفضلِهِ صدورَ أهلَ الأيمانِ بالهدىٰ، وأضلَ من شاءَ بحكمتهِ وعدلهِ فلن تجدَ له ولياً مرشداً. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه واستغفرُهُ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً وأحصىٰ كلَّ شيءً عدداً، وأشهدَ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً، وأشهد أن سيدَّنا ونبيننا محمداً عبده ورسوله كرُم أصلاً وطابُ مَحتداً. خصَّهُ ربُّه بالمقامِ المحمودِ وسماه محمداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آلهَ وأصحابِه هم النجومُ بهم يُهتدىٰ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتدىٰ.

أما بعدُ فأوصيكم أيهُّا الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، اتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينِكم وأطيعوا اللهَ ورسولهَ إن كنتم مؤمنين.

أيها المسلمون: أصلحوا ذاتَ بينِكم، فالاصلاحِ عنوانُ الإيمان في الإخوان: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠].

الاصلاحُ مصدرُ الطمأنينةِ والهدوءِ ومبعثُ الاستقرارِ والأمنِ، وينبوعُ الألفةِ والمحبةِ.

أيها الإخوةُ: لقد أقضَّتْ مضاجِعَ القضاةِ القضايا، وامتلأتْ كثيرٌ من السجونِ بالبلايا، ناهيك بما في مراكزِ الشرطةِ وأسِرَّةِ المشافي من المآسي. بل إن مشكلاتِ الأمةِ الكبرىٰ في الصومالِ

وأفغانستانَ، ومواقع من ديارِ المسلمين أخرىٰ تحتاجُ كلَّ الحاجةِ إلى الصالحين المصلحين.

ألا ينبريْ خيِّرون بمساعى حميدةٍ هنا وهناك ليطفئوا نارَ الفتنِ وينْزَعوا فتيلَ اللهبِ.

إن التنازعَ مفسدٌ للبيوتِ والأسرِ، مهلكٌ للشعوبِ والأممِ، سافكٌ للدماءِ مبددٌ للثرواتِ. ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] بالخصوماتِ والمشاحناتِ تُنْتَهكُ حرماتُ الدين، ويعمُّ الشرُّ القريبَ والبعيدَ. ومن أجلِ ذلك سمىٰ رسول الله ﷺ فسادَ ذاتِ البينِ بالحالقةِ، فهي لا تحلقُ الشعرَ ولكنها تحلقُ الدين.

إن الأمةَ تحتاجُ إلى إصلاحٍ يُدخلُ الرضا على المتخاصمْينَ، ويُعيدُ الوئامَ إلى المتنازعْين. إصلاحٌ تسكنُ به النفوسُ، وتأتلفُ به القلوبُ. إصلاحٌ يقومُ به عُصبةٌ خيِّرون، شرُفَتْ أقدارهم، وكَرُمتْ أخلاقُهم، وطابتْ منابتُهم، وإنهم بمثلِ هذه المساعي الخيِّرةِ يبرهنون على نبلِ الطباعِ، وكرمِ السجايا.

فئاتٌ من ذوي الشهامةِ من الرجالِ والمقاماتِ العليةِ من القوم، رجالٌ مصلحون ذَوُوْ خبرةٍ وعقلٍ وإيمانٍ وصبرٍ، يَخْبُرون الناسَ في أحوالِهم ومعاملاتِهم، حذَّاقٌ في معالجةِ أدوائِهم، أهلُ إحاطةٍ بنفوسِ المتخاصمينْ وخواطرِ المتباغضيَنْ والسعي بما يرضيْ الطرفَين.

أيُّها الأحبةُ: إن سبيلَ الإصلاحِ عزيمةٌ راشدةٌ، ونيةٌ خَيِّرةٌ، وإرادةٌ مصلحةٌ.

وبريدُ الإصلاح: حكمةُ المنهجِ، وجميلُ الصبرِ، وطيبُ الثناءِ،

سبيلٌ وبريدٌ يقومُ به لبيبٌ تقيٌ يسرُّهُ أن يسودَ الوئام بين الناس: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩].

أيها الإخوةُ: وللإصلاحِ فقهٌ ومسالكُ دلتْ عليها نصوصُ الشرعِ وسارَ عليها المصلحونَ المخلصون.

إن من فقهِ الإصلاحِ صلاحَ النيةِ، وابتغاءَ مرضاةِ اللهِ، وتجنُّبَ الأهواءِ الشخصيةِ والمنافعِ الدنيويةِ. إذا تحقق الإخلاصُ حلَّ التوفيقِ وجرىٰ التوافقُ وأنزلَ الثباتَ في الأمرِ والعزيمةَ على الرشد.

أما من قصدَ بإصلاحه الترؤسَ والرياءَ وارتفاعَ الذِّكرِ والاستعلاءَ فبعيدٌ أن ينالَ ثوابَ الآخرةِ، وحريٌ ألا يُحالفَ التوفيقَ مسعاه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

ومن فقهِ الإصلاحِ سلوكُ مسلكِ السرِّ والنجوىٰ. فلئن كان كثيرٌ من النجوىٰ مذموماً فإن ما كان من صدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحِ بين الناسِ فهو محمودٌ مستثنىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

أيُّها الإخوةُ: وهذا فقهٌ في الإصلاح دقيقٌ، فلعلَّ فشلَ كثيرٍ من مساعي الصلح ولجانِه بسببِ فشوِّ الأحاديثِ، وتسرُّبِ الأخبارِ، وتشويشاتِ الفَهومِ مما يفسد الأمورَ المبرمةَ والاتفاقياتِ الخيِّرةَ.

إن من الخيرِ في بابِ الإصلاحِ أن يسلكَ به مسلكَ النجوىٰ والمسارَّةِ فمن عرفَ الناسَ وخبَرَ أحوالَهم لاسيما فيما يجريْ بينهُم من منازعاتٍ وخصوماتٍ وما يستتبعُ ذلك من حبٍ للغلبةِ

وانتصارٌ للنفس أدرك دقةَ هذا المسلكِ وعمقَ هذا الفقهِ. إن من الناس من يأبَىٰ أن يسعىٰ في الصلح فلانٌ أو فلانةٌ، ومنهم من يأنفُ أن يعرفَ الناسُ أنه قد دخلَ في مصالحةٍ مع فلانٍ، وآخر يصرُّ على أن تكون المبادرةُ من خصمه. وتمشياً مع هذه المسالكِ السريةِ والتحركاتِ المحبوكةِ أذن الشارعُ للمصلح بنوع من الكذبِ في العباراتِ والوعودِ. «**فليس الكذابُ بالذي يُصلحُ بين الناس فيَنْمِيْ خيراً أو يقولَ خيراً**»[1] . هذا هو حديث رسول الله ﷺ وفي خبرٍ آخر عنه يقول عليه الصلاة والسلام: «**لا يصلحُ الكذبُ إلا في ثلاثٍ؛ رجلٌ يُصلحُ بين اثنينِ، والحربُ خدعةٌ، والرجلُ يُصلحُ امرأتَه**»[2] . ويقولُ نعيمُ بنُ حمادٍ: قلت لسفيانَ ابن عيينةَ: أرأيتَ الرجلَ يعتذرُ من الشيء عسى أن يكون قد فعله ويُحرِّفُ فيه القولَ ليرضي صاحبَهُ أعليه فيه حرجٌ؟ قال: لا. ألم تسمع قوله ﷺ : «ليس بكاذبٍ من قال خيراً أو أصلحَ بين الناس»[3] ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]. فإصلاحهُ فيما بينه وبين الناس أفضلُ إذا فعلَ ذلك للهِ وكراهةَ أذىٰ المسلمين، وهو أولىٰ به من

---

(١) متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٣ ـ ح٢٦٩٢)، ومسلم (٤/ ٢٠١١ ـ ح٢٦٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٤)، وأبوداود (٤/ ٢٨١)، والترمذي (٤/ ٢٩٢ ـ ح١٩٣٩) دون قوله: ليرضيها، ومسلم (٤/ ٢٠١٢ ـ ح٢٦٠٥) بمعناه.

(٣) هذه رواية بالمعنى للحديث المتفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .

أن يتعرضَ لعداوةِ صاحبِه وبغضِه فإن البُغضَةَ حالقةُ الدينِ، قلت: أليس من قال ما لم يكنْ فقد كذبَ؟ قال: لا؛ إنما الكاذبُ الآثمُ فأما المأجورُ فلا. اهـ.

فالمصلحُ يُخبرُ بما علمهُ من الخيرِ ويسكتُ عما علمهُ من الشرِّ والنقصِ.

وليَعلمْ محبُّو الإصلاح والساعون فيه ـ أثابهم اللهُ وأنجحَ مساعيَهم ـ أن الشرَّ لا يُطفأُ بالشرِّ كما أن النارَ لا تُطفأُ بالنارِ ولكنه بالخيرِ يُطفأُ، فلا تسكنُ الإساءةُ إلا بالإحسانِ، ولهذا فقد يحتاجُ المتنازعان إلى أن يتنازلا عن بعضِ الحقِّ فيما بينهما.

وإن من البصرِ بأحوالِ الناس أن يعلمَ أصحابُ المروءاتِ من المصلحين؛ أن النفوسَ مجبولَةٌ على الشحِّ وصعوبةِ الشكائِم[1] مما يستدعي بذلاً في طولِ صبرٍ وأناةٍ؛ فربُّكم يقول: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ [النساء: ١٢٨]. إنها النفوسُ الشحيحةُ التي تحملُ صاحبَها وغيرَها على ما تكرهُ.

ولكن في مقابلِ هذه النفوس الشحيحةِ يترقىٰ أصحابُ المروءاتِ من المصلحين الأخيارِ ليبذُلوا ويَغرْموا، نعم يبذلون الوقتَ والجهدَ، ويصرفونَ المالَ والجاهَ، ولقد قدَّر الإسلامُ مروءتَهم، وحفظ لهم معروفَهم، فجعل في حسابِ الزكاةِ ما يحملُ عنهم غرامتَهم ـ باركَ الله فيهم ـ لئلا يُجْحِفَ ذلك بساداتِ

---

(١) الشكيمة: فلان ذو شكيمة إذا كان صارماً حازماً صعب الانقياد، وصعوبة الشكائم: صعوبة الانقياد.

القومِ المصلحين.

أيُّها الإخوةُ في الله: وميدانُ الصلح واسعٌ عريضٌ؛ في الأفرادِ والجماعاتِ والأزواجِ والزوجاتِ، والكفارِ والمسلمينَ، والفئاتِ الباغيةِ والعادلةِ، في الأموالِ والدماءِ، والنزاعِ والخصوماتِ.

ومن أجل ذلكَ فقد عَظُم ثوابهُ، وكبرُ أجرُه، فهو أفضل من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ، فقد قال عليه الصلاةُ والسلامُ لأصحابه يوماً: «**ألا أخبرُكم بأفضلِ من درجةِ الصيام والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله؛ قال: إصلاح ذاتُ البينِ، فإن فساد ذاتِ البين هي الحالقةُ، لا أقول تحلقُ الشعرَ ولكن تحلقُ الدِّينَ**»[1]. ولقد باشرَ الصلحَ بنفسِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ حين تنازعَ أهلُ قباءٍ، فندب أصحابه وقال: «**اذهبوا بنا نُصلحْ بينهم**»[2].
وخرجَ عليه الصلاة والسلامُ للإصلاحِ بين أناسٍ من بني عوفٍ حتى تأخرَ عن صلاةِ الجماعةِ[3].

والإمامُ الأوزاعيُّ رحمه اللهُ يقول: «ما خَطوةٌ أحبُ إلى الله عزَّ وجلَّ من خَطوةٍ في إصلاحِ ذاتِ البين».

إذا كان الأمر كذلك أيُّها الإخوةُ: فمن ذا الذي لا يقبلُ الصلحَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٢ ـ ح٢٥٠٩ وقال: حديث صحيح دون قوله «لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» وأشار الترمذي إلى ضعفها، وأخرجه أبوداود (٤/ ٢٨٠ ـ ح٤٩١٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٤)، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٤ ـ ح٢٦٩٣).
(٣) متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٠ ـ ح٢٦٩٠)، ومسلم (١/ ٣١٦ ـ ح٤٢١).

ولا يسعىٰ فيه، ليسوا إلا أناساً قد قستْ قلوبُهم، وفسدتْ بواطنُهم وخبُثَتْ نيَّاتُهم؛ حتى كأنهم لا يحبون إلا الشرَّ، ولا يسعون إلا في الفساد، ولا يَجْنحونَ إلا إلى الظلمِ.

والأشدُّ والأنكىٰ أن ترىٰ فئاتٍ من الناس ساءتْ أخلاقُها وغَلُظَتْ أكبادُها، لا يكتفون بالسكوتِ والسكونِ بل في أجوائِهم يستفحلُ الخصامُ ويقسوا الكلامُ وما أشبه هؤلاءِ بأعداءِ الإسلام وأهلِ النفاقِ، إنهم يلهبون نارَ العداوةِ ويوقدونَ سعيرَ البغضاءِ كلَّما خبتْ نارُ الفتنِ أوقدوها. ولا غَرو بعد ذلك أن تضيعَ الحقوقُ وتُهدرَ الحرماتُ ويَرِقَّ الدينُ وتُنزعُ البركاتُ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ اتقوهُ وأصلحوا ذاتَ بينكم.

الإصلاح بين الناس

الخطبة الثانية

الحمدُ لله لا تُحصىٰ نعمهُ ولا تُحدُّ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه واستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كفواً أحدٌ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا رسولُ الله محمدٌ، اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد وعلى أصحاب محمد والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فاتقوا اللهَ أيُّها الناسُ، فتقوىٰ اللهِ خيرُ زادٍ.

أيُّها الإخوةُ: الكريمُ لا يحقدُ ولا يحسدُ ولا يَبْغي ولا يفجُرُ، إن بلغَهُ عن أخيهِ ما يكرهُهُ التمس له عذراً، فقد علمَ أن الاعتذارَ يُذهبُ الهمومَ، ويُجلي الأحزانَ، ويدفعُ الأحقادَ، ويزيلُ الصدودَ.

إن حقاً على إخوةِ الإيمانِ أن يسودَ بينهم أدبُ المحبةِ، أدبُ ينفي الغشَّ والدَّغلَ مع استسلامٍ للهِ بما يصنعُ، ورضاً بما يكتُبُ.

اسمعوا رحمكم الله إلى هذا الحديث: روىٰ أبوهريرةَ رضي الله عنهُ أن رسول الله ﷺ قالَ: «**تُفْتحُ أبوابُ الجنةِ يوْمَ الأثنين ويوْمَ الخميس فيغفرُ اللهُ لكلِّ عبدٍ مسلمٍ لا يُشركُ باللهِ شيئاً إلاَ رجلاً كانتْ بَينَهُ وبين أخيه شحناءُ، فيقالُ: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا،**

أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا»[1]. قال الحافظُ ابن عبدالبرِّ رحمه الله: يدلُّ هذا الحديثُ على أن الذنوبَ إذا كانتْ بين العبادِ فسامحَ بعضُهم بعضاً سقطتْ المطالبةُ بها من قبلِ الله عزَّ وجلَّ. الله أكبرُ يا عبادَ اللهِ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧].

وسمعَ رسولُ الله ﷺ صوتَ خصوم بالبابِ عاليةً أصواتُهما؛ إذا أحدُهم يَسْتَوْضِعُ الآخرِ ويَستَرْفِعُهُ - أي يطلبُ منه أن يُخَفِّفَ عنه دينه؛ وهو يقولُ واللهِ لا أفعلُ، فخرجَ عليهما رسولُ اللهِ ﷺ وهو يقولُ: «**أين المتألِّي على اللهِ ألا يفعلَ المعروف**»؟؟ فقال: أنا يا رسولَ الله. فله أيُّ ذلك أحبَّ[2]، فعدَلَ الرجلُ عن يمينِه واستجابَ لتذكيرِ رسول الله ﷺ طاعةً للهِ ورسولِهِ واستجابةً لداعي الحقِّ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكُم الله؛ فمن أراد الثوابَ الجزيلَ والذكرَ الجميلَ وراحةَ القلبِ فليَحلُمْ على الجاهلِ وليعْفُوا عن المعتدي وليقبلْ الصلحَ ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠].

هذا وصلو وسلموا على نبي الهدى ودين الحق اللهم صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٧ - ح٢٥٦٥)، وأبوداود (٤/ ٢٧٩ - ح٤٩١٦)، والترمذي (٤/ ٣٢٧ - ح٢٠٢٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/ ٥٥٣ - ح١٧٤٠) بمعناه، وأحمد (٢/ ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٦٥).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري (٥/ ٣٦٢ - ح٢٧٠٥)، ومسلم (٣/ ١١٩١ - ١٥٥٧).

صلوا أرحامكم

الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينهُ ونستغفرُه ونستهديْه ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له وأشهدَ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه ومجتباهُ من رسلِه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فيا أيُّها الناسُ اتقوا اللهَ ربكم، اتقوه تقوىٰ من خافَ ورجا فاستقامَ، وأدو حقوقَه التى افترضها عليكم في دينِ الإسلامِ، واشكروا المولى على ما أولى من الإفضال وجزيلِ الإنعام.

أيها الإخوةُ: صلاحُ الأسرةِ طريقُ أمانِ الجماعةِ، وصلةُ الرحمِ سبيلُ حفظ الأمةِ. فالزوجانِ وما بينهما من وطيدِ العلاقةِ، والوالدان وما يترعرع في احضانِهما من الولْدانِ، والأقربون وأولو الأرحامِ وما ينتشرُ بينهم من وئام، كلُّ أولئك يُمثِّلُ الجماعةَ المجتمعَةَ والأُمةَ المؤتلفةَ في طبيعتِها وبنائها وحاضِرها ومستقبلِها، من خلالِ هذا البناء تمتدُّ وشائجُ القربىٰ، وتتقوىٰ أواصرُ التكافلِ، ترتبطُ النفوسُ بالنفوسِ، وتتعانقُ القلوبُ القلوبَ، في هذه الروابطِ المتماسكةِ والرَحم الموصولةِ تنموا الخصالُ الكريمةُ وتنشأُ الأجيالُ الوفيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

لقد شاءَ المولىٰ تعالىٰ وتباركَ بلطفِه وتدبيرِه وحكمتِه وتقديرِه أن يكونَ بناءُ الإنسانيةِ على وشيجةِ الرحمِ وقاعدةِ الأسرةِ من ذكرٍ وأنثىٰ من نفس واحدةٍ وطبيعةٍ واحدةٍ. رحمٌ وقربىٰ تتوثَّقُ عراها، ويتجذَّرُ نباتُها ليقومَ على سوقِه بإذن ربِّه، فيُحمىٰ من المؤثراتِ ويُحفظُ من العادياتِ.

وفي كتابِ الله اقترنَ حقُّ اللهِ وحقُّ الوالدين وحقُّ الأقربين في أكثرَ من آيةٍ ووصيةٍ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ..﴾ [الإسراء: ٢٣] ثم قال سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ..﴾ [الإسراء: ٢٦].

وفي مقام آخرَ قُرِنتْ الرحمُ بحقِّ اللهِ في التقوىٰ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١] اتقوها أن تقطعوها، واعرفوا حقَّها أن تهضِمُوها.

يقولُ بعضُ أهلِ العلم: ما بُعثَ أنبياءُ اللهِ في أواسطِ البيوتِ من أقوامِهم إلا لما يُقدِّر الناسُ من أمرِ الرحمِ، ويعرفونَ من شأنِ القرابةِ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ [الشورى: ٢٣].

وحينما قلَّتْ عشيرةُ نبي اللهِ لوطٍ عليه السلام وضعُفَ ركنُ قرابتِه أعذَرَ نفسَه بقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠]. ومن ثَمَّ قال نبيُّنا محمدٌ ﷺ: «**يغفر اللهُ للوطٍ إنْ كانَ ليأوْي إلى ركنٍ شديدٍ ولكنه عنىٰ عشيرتَهُ، فما بعثَ اللهُ نبياً بعدَه**

إلا في ثروةٍ من قومه»[1].

ومن بعدِ لوطٍ قال قومُ شعيبٍ لشعيبٍ عليه السلام: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ﴾ [هود: ٩١] وامتنَّ اللهُ على نبيِّه محمدٍ ﷺ بقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦].

أيها الإخوةُ: ما سُمِّيتْ الرحمُ رحماً إلا لما فيه من داعيةِ التراحمِ وأسبابِ التواصلِ ودوافعِ التضامنِ.

وقد قال عليٌّ رضي الله عنه: (عشيرتُك هم جناحُك الذي بهم تُحلِّقُ، وأصلُكَ الذي به تَتَعلَّقُ، ويدُك التي بها تصولُ، ولسانُك الذي به تقولُ، هم العُدَّةُ عند الشدةِ، أكرمْ كريمَهم، وعُدْ سقيمَهم، ويسِّرْ على معسِرِهم، ولايكن أهلُك أشقىٰ الخلقِ بكَ). وما المرءُ ولا المروءةُ إلا رحمٌ موصولةٌ، وحسناتٌ مبذولةٌ، وهفواتٌ محتملةٌ، وأعذارٌ مقبولة.

بصلةِ الرحمِ تَقْوىٰ المودةُ وتزيدُ المحبةُ وتشتدُّ عُرىٰ القرابةِ وتضمحلُّ البغضاءُ ويَحِنُّ ذو الرحمِ إلى أهلِه.

وفي الخبر عنه ﷺ: «**إن صلة الرحمِ محبةٌ في الأهلِ، ومثراةٌ في المالِ، ومنسأةٌ في الأثرِ**»[2].

بصلةِ الرحمِ تزيدُ الأعمارُ، وتُعْمَرُ الديارُ وتُباركُ الأرزاقُ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٧٤ ـ ح٣١١٦) وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (٢/ ٥٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٠٩ ـ ح١٩٧٩) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحمد (٢/ ٣٧٤)، والحاكم (٤/ ١٦١) وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبي.

وتُستجلبُ السعادة، وتُتَّقَىٰ مصارعُ السوءِ.

أيُّها الأحبةُ: إذا كتبَ اللهُ لعبدِه التوفيقَ فكان إلفاً مألوفاً محباً لأهلِه، رفيقاً بأقربائه، حفياً بعشيرتِه، انتصر بالأُلفةِ على أعادِيْه، وامتنع بالإحسانِ من حاسدِيْه، فسلمَتْ له نعمتُهُ، وصَفَتْ له معيشتُه فيجتمعُ عليه الشملُ، ويمتنعُ عنه الذلُّ، وخيرُ الناسِ أنفعُهُم للناسِ.

ولقد علمَ العقلاءُ والحكماءُ وأصحابُ المروءاتِ أن تعاطفَ ذوْي الأرحامِ وتوادَّ أهل القربىٰ يبعثُ على التناصرِ والأُلفةِ ويُجَنِّبُ التخَاذلَ والفرَقةَ.

النفسُ الرحيمةُ الواصلةُ، الكريمةُ الباذلةُ، يورثُ اللهُ لها ذكراً حسناً في الحياةِ وبعدِ المماتِ، الألسنُ تلهجُ بالثناءِ والأيديْ تمتدُّ بالدعاءِ. تعيشُ بين الناس بذكرِها وذكرَاها أمداً طويلاً. يُباركُ لها في الحياةِ فتكونَ حافلةً بجليلِ الأعمالِ وجميلِ الفعالِ وعظيمِ المنجزاتِ وكثرةِ الآثارِ. من وصَلَ أقاربَه أحبهُ الله وأحبهُ الناسُ ووُضعَ له الذكرُ والقبولُ. وجبلتْ النفوسُ على حبِّ من أَحسنَ إليها، ألم تقلْ الرحمُ وهي متعلقةٌ بعرشِ الرحمنِ: «**من وصلني وصلَهَ اللهُ ومن قطعني قطعهُ اللهُ**»[1]؟.

وقال لها ربُّ العزةِ في الحديثِ القدسيِّ: «**من وصلكِ وصلتُهُ ومن قطعكِ قطعتُهُ**»[2]. وإنكم لتعلمون أن من وصلَهُ اللهُ فلنْ

---

(١) متفق عليه. أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨١ ـ ح٢٥٥٥) واللفظ له، والبخاري (١/ ٤٣١ ـ ح٥٩٨٩).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٠ ـ ح٥٩٨٨) واللفظ له، ومسلم =

ينقطعَ أبداً.

«فمنْ سرَّهُ أن يُبسطَ لهُ في رزقِهِ ويُنسأَ لهُ في أثرِهِ فليصلْ رحمَهَ»[1].

أيها المسلم: من حقِّ أهلكَ وأرحامكَ أن تعودَ مريضَهُم وتواسيَ فقيرَهم، وتتفقدَ محتاجَهم، وترحمَ صغيرَهم، وتكفلَ يتيمَهم، وتوقرَ كبيرَهم، وتقدِّمَهم ببرِّكَ وإحسانِكَ على من سواهَم، تبشَّ بهم عند اللقاءِ، وتُلينُ لهم في القولِ، وتحسنُ لهم في المعاملةِ، ما بين زيارةٍ وصلةٍ، وتفقدٍ واستفسارٍ، ومهاتفةٍ ومراسلةٍ، تبذلُ المعروفُ، وتُبادِلُ الهدايا والتحياتِ. في حبٍ وعدلٍ وإحسانٍ وفضلٍ، وخفضِ جناحٍ ودعاءٍ.

أيها الأخُ الفاضلُ: ولا يقفُ الأمرُ عند هذا الحدِّ، بل إن عليكَ أن تصلَهم وإن جَفَوْا، وتحلمَ عليهم وإن جَهِلوا، وتُحسنَ إليهم ولو أساءوا، فقد قال نبيُّك محمدٌ ﷺ: **«ليسَ الواصلُ بالمكافىءِ ولكنَّ الواصلَ من إذا قَطَعتْ رحمُه وصلَها»**[2].

نعمْ ـ حفظكَ اللهُ ـ إن من صلةِ الرحم أن تغفرَ الهفوةَ، وتسترَ الزلةَ؛ فأيُّ صارمٍ لا ينبو؟ وأي جوادٍ لا يَكبوا؟ وما العقلُ والفضلُ

= (٤/ ١٩٨١ ـ ح٢٥٥٤).

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٤٢٩ ـ ح٥٩٨٥)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢ ـ ح٢٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٧ ـ ح٥٩٩١)، وأبوداود (٢/ ١٣٣ ـ ح١٦٩٧)، والترمذي (٤/ ٢٧٩ ـ ح١٩٠٨) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٢/ ١٦٣).

والنبلُ إلا أن تصلَ من قطعكَ، وتعطيَ من حرمَك، وتعفوَ عمَّنْ ظلمك، وتَحْلُمَ على من جَهِلَ عليك. ويزدادُ النبلُ ويعظُمُ الفضلُ وتسمو النفسُ حين تُحسِنُ الظنَّ بهم وتحملُ أخطاءَهم على المحملِ الحسنِ. وتنظرُ في عثراتِهم نظرَ العاذرِ الكريمِ.

اسمعْ ـ رعاك اللهُ ـ إلى هذه القصةِ التي تَنْضحُ نبلاً وشرفاً:

حُكيَ عن بنتِ عبداللهِ بن مطيعٍ أنها قالت لزوجِها طلحةَ بن عبدالرحمنِ بن عوفٍ ـ وكان أجوَدَ قريشٍ في زمانِه ـ قالت: ياطلحةُ ما رأيتُ قوماً ألأمَ من إخوانِكَ؟؟؟ قال: ولِمَ ذاكَ؟ قالت: أراهم إذا أيْسَرْتَ وكثُر مالُك زارُوكَ ولزِموكَ، وإذا أعسرتَ تركوك؟؟؟ قال: هذا والله من كَرمِهم؛ يأتوننا في حالِ القوةِ بنا عليهم، ويتركُونَنَا في حالِ الضعفِ بنا عنهم.

فانظروا ـ كيف تأوَّلَ بكرمِهِ هذا التأويلَ، وفسرَّ بنبيلِ أخلاقه هذا التفسيرَ، حتى جعلَ قبيحَ فعلِهم حسناً وظاهرَ غدرِهم وفاءاً. وهذا محضُ الكرمِ ولبابُ الفضلِ وبمثلِ هذا يلزمُ ذوي الفضلِ أن يتأولوا الهفواتِ ويدمحوا الزلاتِ من إخوانِهم وأرحامِهم وأصهارِهم، إنه تغافلٌ مع فطنةٍ، وتآلفٌ صادرٌ عن وفاءٍ. وعلاقاتُ الرحمِ ووشائجُ القربىٰ لا تستقيمُ ولا تتوثقُ إلا بالتغافلِ، فمن شدَّدَ نفَّرَ، ومن تغاضىٰ تآلفَ، والشرفُ في التغافلِ، وسيِّدُ قومِه المتغابي.

أين هذا ـ أيها الناس ـ من إناس ماتتْ عواطفُهم، وغلبَ عليهم لؤْمهم؟؟ فلا يلتفتُ إلى أهلٍ، ولا يسألُ عن قريبٍ، ولا يودُّ عشيرةً، إن قَرُبوا أقصاهم، وإنْ بعدُوا تناساهم، بل يبلغُ به اللؤمُ أن يقرِّبَ أصحابَه وزملاءَه، ويجفوا أهلَه وأقرباءَه، يُحسنُ

للأبعدينَ، ويتنكرُ للأقربينَ، بطون ذوَيْ رحمِهِ جائعةٌ، وأموالُه في الأصدقاءِ والصِّحابِ ضائعةٌ. تراه يحاسبُ لهفوةٍ صغيرةٍ، ويقطعُ رحمهَ لزلةٍ عابرةٍ، إما بسببِ كلمةٍ سمعها، أو وشايةٍ صدَّقها، أو حركةٍ أساء تفسيرها.

معاذ اللهِ عبادَ اللهِ ربَّما كان بين الإخوةِ والأقاربِ من القطيعةِ ما يستحقون به لعنةَ اللهِ من فوق سماواته اقرؤا إن شئْتُم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]. نعم يستحقون اللعنةَ، وتحلُّ بهم النقمةُ وتزولُ عنهم النعمةُ. والجنةُ تبلغُ ريحُها خمسمُائةِ عامٍ ولا يجدُ ريحَها عاقٌ ولا قاطعُ رحمٍ.

من لم يصلْ رحمَهُ ويتعاهدْ بخيرِه أقاربَه فلا خيرَ فيه ولا نفعَ منه. من ذا الذي قد فاضَ مالُه يأكلُ ويشربُ ويكتسيْ ويتمتعُ وأقاربُه الضعفاءُ عراةٌ جائعونَ، ورَحِمُهُ البؤساءُ مهملون ضائعونَ؟؟؟.

ولقد قال علي بن الحسين رضي الله عنه وعن آبائه: (يابنيَّ لا تصحبنَّ قاطعَ رحمٍ فإني رأيتُه ملعوناً في كتابِ اللهِ في ثلاثةِ مواضعَ، ومن لم يصلح لأهلِهِ لم يصلحْ لك ومن لم يذبَّ عنهم لم يذبَّ عنك).

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واحذروا سخطَ ربّكم وصِلُوا أرحامَكم ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

صلوا أرحامكم

الخطبة الثانية

الحمد للهِ خلقَ من الماءِ بشراً فجعله نسباً وصِهراً، أحمده سبحانه على كل فضلٍ واشكره على كل نعمةٍ، وأتوبُ إليه واستغفره إعلاناً وسراً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له أحاطَ بكلِّ شيءٍ خُبْراً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أعلى الناس منزلةً وقدراً، وأوصلُهم رَحِماً وبرّاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيها الناس: صلةُ الرَّحم حقٌ لكلِّ من تربطُك به صلةُ نسبٍ أو قرابةٍ، وكلُّ من كان أقربَ كان حقُه أولىٰ وألزمَ **«أمَّكَ وأباكَ ثمَّ أدناكَ أدناكَ»**(١). وأسرعُ الخيرِ ثواباً البرُّ وصلةُ الرحمِ، وأسرعُ الشرِّ عقوبةً البغيُ وقطيعةُ الرحم. ألم تعرفوا أن شريفَ خصالِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ؟ - وخصالهُ كلُّها شريفةٌ - ألم تقرأوا نعتَ خديجةَ لحبيبِها محمد ﷺ؟ : (كلا واللهِ لا يخريكَ اللهُ أبداً، إنكَ لتحمِلُ الكلَّ وتصلُ الرحمَ وتَقْري الضيفَ وتُكسِبُ المعدومَ وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ)(٢). صلةٌ كريمةٌ تحوطُها السماحةُ، ويظلِّلُها الحلمُ، ويُحيطُ بها العفوُ، ويحكمُها ضبطُ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٤١٥ ـ ح٥٩٧١)، ومسلم (٤/ ١٩٧٤ ـ ح٢٥٤٨).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١/ ٣٠ ـ ح٣)، ومسلم (١/ ١٤١ ـ ح١٦٠).

النفسِ. حسنُ معاملةٍ تعلو بها المراتبُ ويكثرُ بها الأحبابُ، وتُستَجلبُ بها الموداتُ، وتَحسنُ بها العواقبُ.

فحذارِ حذارِ رحمكم اللهُ من التساهلِ مع أحقِّ الناس بحسنِ صحبتِكم. وإياكم إياكم أن تتظارَفوا[1] وتتكايَسوا[2] مع الأبعدين وتنسوا الأقربين فإنكم إن فعلتم غَبَنْتُم أنفُسَكُم وظلمتُم الحقَّ الذي عليكم، وقد علمتم أن تقطيعَ الأرحامِ يهدمُ كيانَ الأُسرة، ويزلزلُ أركان العشيرةِ ويجعلُ أفرادها مرتعاً للفتنِ ونهباً للأحقادِ وفريسةً للتمزُّق. وقد قيل في مأثورِ الحِكَم: لا تقطعِ القريبَ وإن أساءَ فإن المرءَ لا يأكل لحمَه وإن جاعَ.

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واستعينوا بالله على مرضاتِه واستمسكوا بآدابِ شريعتِه تولانا الله جميعاً في أنفسنا وذوينا ومحبِّينا، وأعاننا على امتثالِ أمرِه وطاعتِه واتباعِ نبيِّه بمنِه وكرمِه.

---

(١) تتظارفوا: مأخوذ من الظرف وسماحة النفس.

(٢) مأخوذ من الكيس وحسن التعامل.

النفس الإنسانية

الـداء والـدواء

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ بيدِهِ الملكُ والملكوتُ، وله العزةُ والجبروتُ، أنشأنا من الأرضِ نَسمَا، واستعمرنا فيها أجيالاً وأُمما. أحمدُه سبحانه وأشكرهُ، وأتوبُ إليه وأستغفرهُ له الدوامُ والبقاءُ وهو حيٌ لا يموتُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه الموصوفُ بجميلِ النعوتِ، صلى اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلى آلهِ وأصحابهِ والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ موعود لن يتخلفَ ولن يفوتَ.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ أوصيكمْ ونفسيْ بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ فتقوى اللهِ بإذن اللهِ كفايةُ كلِّ همٍّ وزوالُ كلِّ غم. ومن اتقىٰ الناسَ من دونِ اللهِ فلن يُغْنوا عنه من اللهِ شيئاً. الزموا طاعةَ اللهِ واجتنبوا معصيتهُ، فبالطاعةِ حياةُ القلوبِ كما بالطعامِ حياةُ الأجسادِ. وأضرارُ المعاصي كأضرار السمومِ.

أيها الإخوة في الله: تتقاذفُ أمواجُ السنينَ على شواطىءِ الحياةِ. فينتفيْ الخبثُ، ويُطرحُ الغُثاءُ، وتتراكمُ الأحداثُ ويزدادُ سجلُّ التاريخِ صفحةً من بعدِ صفحةٍ، والأفلاكُ تدورُ بإذن اللهِ فَيُلْفَظُ القِشرُ، ويُحْفظُ اللُّبابُ، وكلُّ ذلك عند ربِّكَ مسطورٌ في كتابٍ.

وابنُ آدمَ بأمرِ اللهِ محمولٌ هنا وهناكَ على مركبَ السنينَ والأيامِ.

في استقبالِ عامٍ وتوديعِ آخرَ تأملوا في أحوالِكمُ وتدبروا، وحاسبوا أنفسَكم وتساءَلوا. اقرأوا ما خطَّهُ التاريخُ في صفحاتِه فبينَ أيديكم صفحة تُطْوىٰ غدا أو بعد غد. هل أيقظتْ من دهرِها القلوبَ السَّكْرىٰ؟ وهل انجلت غواشي الغفلةِ عن العيونِ السادرةِ؟.

ألم تُدركْ تلكَ النفوسُ أن الأنفاسَ معدودةٌ والأجالَ محدودةٌ، الصاحبُ مفارقٌ، والعشيرُ منقطعٌ. عِشْ ما شئتَ فإنك ميِّتٌ، وأحببْ من شئتَ فإنك مفارِقٌ، واعمل ما شئتَ فإنك مَجْزِيٌ.

أيها الناسُ: أغرَّ الشبابَ نضارةُ الحياةِ وصحةُ المزاجِ؟ أنسوا فقدانَ الأقرانِ وسرعةَ المفاجأتِ؟ أغرَّ الأصحاءَ امتلاءُ الأجسامِ؟ ألم يروا من مات من غير سقم؟ أغرَّ آخرين طولُ الإمهالِ وكأنَّهم لم يروا مأخوذين على غرةٍ ومن غير علةٍ؟.

إن تقلباتِ الدهرِ، وتصرماتِ الأيامِ يجبُ أن تكون مواقفَ محاسبةٍ ومُساءلةٍ.

حظُّ الإنسانِ من الدنيا عُمُرُه، فياترى بماذا يعمره؟ كم حسراتٍ لمن تحت التراب، حسراتٌ أورثها طولُ الأملِ. رَكَنَ هذا المتحسرُ إلى الدنيا ولم يتفكَّرِ بالرحيلِ وحينما تفكرَ سوَّف بالعمل، ولم يزْل كذلكَ حتى تخَطَّفَهُ الموتُ. كم حسرةٍ له تحتَ الترابِ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآ . .﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

إن حقاً على كلِّ ذي لبٍ أن يقفَ وقفةَ صدقٍ مع نفسهِ ومع الزمنِ. فوربِّ السماءِ والأرضِ لتموتُنَّ كما تنامونَ، ولتبعَثُنَّ كما تستيقظون، ولتجزَوُنَّ بما كنتم تعملون.

كلُّ الناس عند ربِّهم موقوفون، وكلُّهم عنده مسؤلون، الأممُ مسؤولةٌ والمرسلون مسؤلونَ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

أهلُ الصدقِ مسؤلون: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨] وحين يُسألُ الصادقونَ فويلٌ يومئذٍ للمكذبين ولعنةُ الله على الكاذبين.

أهلُ النعيم مسؤلونَ والنعيمُ في نعمِ اللهِ لايحصىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

رحمني الله وإياكم فلتنظرْ نفسٌ ما قدمتْ لغدٍ. ابنَ آدمَ كلُّكَ مسؤلٌ. يداكَ ورجلاكَ، وجوارحُكَ وجلدُك، كلُّ ذلكَ مستنطقٌ مستشهدٌ ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

نعمْ واللهِ إنكم مسؤلون: ماذا كنتُم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين؟.

«ولا تزول قدما عبد يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن عمرِهِ فيم أفناهُ وعن علمهِ فيم فعلَ به وعن مالهِ من أين اكتسبهُ وفيم أنفقَهُ وعن جسمهِ فيم أبلاه»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٩ ـ ح٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

ومن أرادَ محاسبةَ نفسهِ صادقاً مخلصاً فليعرفْ أدواءَ النفوسِ وليعرفْ دواءَها.

إن من المحاسبةِ ألا تطمعَ في النجاةِ وأنت مذنبٌ، ولا تطمعَ في الكمال وفيكَ عيبٌ. استغفرْ لذنبِك واصلحْ من نفسِك واسلكْ سبيلَ الهدىٰ وتخيَّرْ طيبَ[1] الغذاءِ والزمْ طريقَ أهل التُّقىٰ.

أيها الأحبابُ: إن النفسَ إذا أُهمِلَتْ، ولأهوائِها استسلمتْ، فسدتِ الأرضُ، وانتشرَ الهرجَ والمرجَ[2]، وانتُهِكَ العرضُ وسُفِكَتْ الدماءُ.

إن دقةَ المحاسبةِ يؤكدُ أن القليلَ من الماءِ تُبَلُّ به العروقُ ويَذْهبُ بالعطش، ولكنه إذا صارَ لُجةً ملاءَ الأمعاءَ وكتمَ الأنفاسَ وأزهقَ الأرواحَ.

والمجاهدةُ والمحاسبةُ ركنُها وعمادُها الإخلاصُ لله والسيرُ على منهجِ رسولِ اللهِ ﷺ.

تأمَّلوَاْ أحوالَ هؤلاءِ الثلاثةِ من بني آدمَ في مقاصدهم وأعمالِهم: لصٌ وحارسٌ ومتعبدٌ. أما اللصُّ فيحيْ ليلةَ ليأكلَ أموالَ الناسِ بالباطلِ ويخونَ النائمينَ الآمنينَ، وأما الحارسُ فيحيْ

---

(١) أي: الحلال من الغذاء.

(٢) الهرج: هو القتل، والمرج: الفوضىٰ والاضطراب، وقال: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٢٧): الهرج: هو الاختلاف والفتن، وقد فسر في بعض الأحاديث بالقتل لأن الفتن والاختلاف من أسبابه، فأقيم المسبب مقام السبب.

ليله أجيراً يؤديْ واجباً. وأما المتعبدُ فقد تجافىٰ جنبهُ عن المضْجع يدعوْ ربَّه خوفاً وطمعاً خشيَ الرحمنَ بالغيبِ وجاءَ بقلبٍ منيبٍ. كلُّ هؤلاء قد أحيا ليله ما فاوتَ بينهم إلا القصدُ والعملُ.

كم من عاملةٍ ناصبةٍ تصلىٰ ناراً حاميةً هؤلاء هم متعبدةُ اليهودِ النصارىٰ والهنودِ وأضرابُهم ممن قد يطوون بطونهم جوعاً ويعتزلونَ في الأديرةِ والصوامعِ والمعابدِ: ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٤].

كم فتيانٍ نضرةٍ ذوي أجسامٍ ممتلئةٍ تُرْهقُ أجسادَها بفنونٍ من رياضةِ الأبدانِ، يُغمْضِونَ أعينَهم عن العواقبِ، مشتغلون بالوسائلِ عن الغاياتِ تتسعُ عندهم دائرةُ الآمالِ والأماني، أين هؤلاء من المحاسبة ذاتِ الأخلاصِ والمتابعةِ، والتفريقِ بين الوسائلِ والغاياتِ إن من أعظمِ الأدواء الغفلةَ والتوانيَ والإصرارَ والتسويفَ وطولَ الأملِ واستبعادَ الأجلِ.

هذا من الداءِ ومن وصفاتِ الدواءِ التوجُهُ إلى اللهِ بتوبةٍ نصوحٍ تُنْجيْ من الإصرارِ، وخوفٍ من المولى يزيلُ التسويفَ ورجاءٍ عظيمٍ يبعثُ على مداومةِ العمل، وعمرانِ القلبِ واللسانِ بذكرِ اللهِ وبالقرآنِ.

أما من ابتلي بداء الرياءِ والاشتغالِ بتزيينِ الظاهرِ فيخشعَ من غيرِ خشوعٍ، ويتعبدَ بجوارحِه وقلبُه في ذهولٍ فطريقةُ المحاسبةِ والمعالجةِ الاشتغالُ بحفظِ الأسرارِ واصلاحِ السرائرِ فمن أصلحَ سريرتَه أصلح اللهُ علانيته وليعلَمْ هذا المتزينُ أن هؤلاء الخلقَ الذين يتزينُ لهم لن ينفعوه ولن يضروه إلا بما كتبهُ اللهُ له وعليهِ

ولْيعلمْ كذلك أن هؤلاء الخلقَ الذين يتزينُ لهم لا يحبونهُ ولا يكرهونهُ إلا بمقدارِ ما يجعلهُ اللهُ في قلوبِهم. ولقد قيل: (زينةُ الظاهرِ مع الفجورِ يورث الإصرار).

أيها المسلمون: وإذا أحسَّ العبدُ بفقدانِ لذةِ الطاعةِ فذلك من سُقْمِ القلبِ وغِلَظِ الغِشَاوةِ، ومداوةُ ذلكَ بأكلِ الحلالِ، وادامةِ الذكرِ، وصدقِ التضرعِ.

ومن ابتليَ بالاشتغالِ بعيوبِ الناسِ فلينصرفْ إن كان صادقاً في المحاسبةِ إلى عيوبِ نفسِه، وليوطِّنْ نفسُه على حبِّ الصالحينَ وطاعةِ أهلِ العلمِ والفضلِ والصلاحِ ولْيستيقنْ أن من سترَ على أخيه المسلمَ سترَ الله عورتهَ **«ومن تتبعَ عورةَ أخيه تتبعَ اللهُ عورتهَ حتى يفضحهَ في جوفِ بيتِهِ»**[1]. وليحسنْ الظنَّ بإخوانِه فينظر لهم بعين الزيادةِ وإلى نفسهِ بعين النقصِ وقد قال بعضُ الصالحين: (لك فضلٌ وأنت في خيرٍ ما لم تُعجَبْ بفضلِكَ وتزدرِ غيرَكَ فإذا رأيتَ فضلكَ وانتقصت غيرَكَ فلا فضلَ لكَ).

أما الغارقون في الملذاتِ المتكاسلون عن الصالحاتِ فليعلموا أن النفسِ إذا شبعتْ بَطرتْ، وإذا بَطرتْ تجاوزتْ في حظوظِها وحدودِها وحقوقِها، ورانَ على قلبِها ما كسبتْ. وعلاجُ ذلك وحسابُه ميزانُ النبوة: **«ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شراً من بطنِه، بحسْب ابن آدمَ لقيماتٌ يُقمْنَ صُلبَه، فإن كان لا محالةَ فثلثٌ لطعامهِ وثلثٌ**

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٧٠ ـ ح٤٨٨٠)، وأحمد (٥/ ٢٧٩)، والترمذي (٤/ ٣٣١ ـ ح٢٠٣٢) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ٨٥٠ ـ ح٢٥٤٦)، وصححه الألباني.

لشرابِه وثلثُ لنفسِهِ»[1].

أيها الإخوة: أدواء النفوس كثيرةٌ، والمعاني في الكتابِ والسنةِ معلومةٌ، والمحاسبةُ واجبةٌ، فالكيِّسُ من دان نفسَهُ وعمِلَ لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ من أتبعَ نفسَه هواها وتمنىٰ على اللهِ الأماني.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٠٩ ـ ح٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٤/ ١٣٢)، وابن ماجه (٢/ ١١١١ ـ ح٣٣٤٩)، والحاكم (٤/ ١٢١) وسكت عنه وصححه الذهبي، وصححه الألباني.

النفس الإنسانية
الـداء والـدواء
الخطبة الثانية

الحمدلله كتبَ على الخلائقِ الفناءَ والزوالَ، فكان لكلِّ نازلٍ في هذه الدنيا رحيلٌ وانتقالٌ. أحمده سبحانه وأشكره وهو الكبيرُ المتعالُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوُله بعثُه ربه بالهدى ودينِ الحقِّ فهدىٰ بإذن ربه من العمىٰ وأنقذ من الضلالِ، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وصحبه الصادقينَ في الأقوالِ والأعمالِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآلِ.

أما بعد فيا أيها الناسُ: على أيِّ شيء تُطوىٰ صحائفُ هذا العامِ، ومن ترىٰ هذا الذي لم يبقَ من أجله سوى ساعاتٍ أو أيامٍ.

ألا فبادروا بالمحاسبة رحمكم اللهُ، فمن البلاءِ تضييعُ الأوقاتِ والاشتغالُ بما لا يغنيْ ولا ينفعُ.

حريٌّ بالناصح نفسَهُ الجادِّ في المحاسبةِ أن يعرف عزَّ الوقتِ وعزَّ الأشياءِ، فكَلُّ عملٍ تكرهُ الموتَ من أجله فبادرْ بتركَهُ، كفاكَ همُّ يومِك، فلماذا همَّ الصيفِ وهم الشتاءِ، وماذا أبقيتَ لهمِّ الآخرة؟.

اصحبوا الأخيارَ وابتعدوا عن الأشرارِ «**فمن تشبه بقومٍ فهو**

منهم»[1]، **«والمرءُ مع من أحبَّ»**[2]، **«فلا تصاحبْ إلا مؤمناً ولا يأكلْ طعامَك إلا تقيٌّ»**[3]، وصحبةُ الأشرارِ تورثُ سوءَ الظنِّ بالأخيارِ، والصداقةُ عداوةٌ إلا ماصافيتَ، وجمعُ المالِ حسرةٌ إلا ما تصدَّقتَ وواسيتَ.. والنَفسُ إن لم تشغلْها بالحقِّ شغلتكَ بالباطلِ، ومن تركَ ما لا يعنيهِ اشتغلَ بما يعنيه والعكسُ بالعكسِ.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله.

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٠، ٩٢)، وأبوداود (٤/ ٤٤ ـ ح٤٠٣١)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٥٧٣ ـ ح٦١٧٠)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٤ ـ ح٢٦٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، وأبوداود (٤/ ٢٥٩ ـ ح٤٨٣٢)، والترمذي (٤/ ٥١٩ ـ ح٢٣٩٥) وقال: حديث حسن، والحاكم (٤/ ١٢٨) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني.

هذا أبوبكر (رضي الله عنه)
الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ القديم سلطانُهُ، العميم فضلُهُ، الجزيلِ إحسانُه، أحمده سبحانه وأشكَرُه، وأتوبُ إليه وَأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله بدعوتِهِ وجهادِهِ قامتْ للدينِ أركانُهُ وشِيْدَ بنيانُهُ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فإن تقوىٰ اللهِ خلفٌ من كلِّ شيءٍ، وليسَ من تقوىٰ اللهِ خلفٌ.

أيها المسلمون: ما كان تزويقَ ألفاظٍ، وما كان حديثاً يُفترىٰ ذلك الحديثُ الذي روىٰ به التاريخُ أنباءَ أعظمِ ثلَّةٍ ظهرتْ على وجهِ الأرضِ في دنيا الناسِ وفي ميدانِ العقيدةِ والإيمانِ.

إن التاريخَ الإنسانيَّ بعرضِهِ وطولِهِ لم يشهدْ من الصدقِ والتوثيقِ وتحرِّيْ الحقِّ والحقيقةِ مثلَ ما شهدَ تاريخُ الإسلامِ في سِيَرِ رجالِهِ السابقين.

إن التاريخَ لم يشهدْ رجالاً اشتدَّ باللهِ عزمُهم، وصدقتْ للهِ نواياهُم، في غاياتٍ شريفةٍ من الإيمانِ والإصلاحِ، نذروا لها حياتَهم، صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه في جسارةٍ وتضحيةٍ. إنه لم يشهدْ كما شهدَ في الرجالِ من صحبِ رسولِ اللهِ ﷺ رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

كيف أنجزَ هؤلاءِ الأبرارُ هذا الإنجازَ، وفتحوا هذه الفتوحَ في بضعِ سنينَ. كيف شادوا بقرآنِ اللهِ وكلماتِه نظاماً جديداً، وعالماً فريداً يهتزُّ نضرةً ويتفوقُ قوةً وقدرةً. في لمحِ البرقِ وضيائِه أضاؤا الإنسانيةَ بحقيقةِ التوحيدِ وصفاءِ العقيدةِ ونورِ الشريعةِ. إن هذا وربِّك الإعجازُ في الإنجازِ، ويقودُ هذا الإعجازُ إلى إعجازٍ آخرَ يتمثلُ في سِيَرِهُم الذاتيةِ وطبائِعهم النفسيةِ التي صاغَ الدينُ فضائِلها، وهذَّب القرآن سجاياها. عاشُوا مع نبيِّهم محمدٍ ﷺ ﴿ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] نفوسٌ صدقتْ في إيمانِها، فتولَّدتْ فيها قوةُ الثباتِ، وحقيقةُ الولاءِ، فكان ذلك البذلَ العظيمَ الذي بذلوا، والهولَ الشديدَ الذي احتملوا، والفوزَ الكبيرَ الذي حازوا. لقد حرَّروا البشريةَ من وثنيةِ العبوديةِ، وتيْهِ الضَّميرِ، وضلالِ المسيرِ وضياعِ المصيرِ.

في دراسةِ السيرِ والتاريخِ لسلفِنا الصالحِ نشهدُ كتائِبَ الحقِّ وهي تطويْ العالمَ بإيمانِها، ترفعُ راياتِ الحقِّ لتعلن توحيدَ الربِّ وتحريرَ الخلق.

أيُّها الإخوةُ: وهذه وقفةٌ مع سيرةِ رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ، بل إنه رجلٌ لا كالرجالِ، إنه الصديقُ أبوبكرٍ خليفةُ رسولِ الله الأولُ والمؤمنُ برسولِ اللهِ من الرِّجالِ الأُولُ. رضي الله عنه وأرضاه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً. سبقَ إلى الإيمانِ، وبادرَ إلى الرفقةِ، ولازمَ الصحبةَ واختصَّ بالمرافقةِ في الغارِ والهجرةِ: ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

فمن سرَّه أن ينظرَ إلى عتيقٍ من النارِ فلينظر إلى أبي بكرٍ. كيف لا وقد أعلنَ المصطفىٰ ﷺ وهو على المنبرِ خطيباً: «**إن أمنَّ الناسِ عليَّ في صحبتهِ ومالهِ أبوبكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غيرَ ربي لاتخذت أبابكرٍ، ولكن أُخوَّةُ الإسلامِ ومودتُهُ، لا يبقىٰ بابٌ في المسجدِ إلا بابَ أبي بكرٍ**»[1].

وفي أفرادِ البخاري: «**إن الله بعثنيْ إليكم فقلتم: كذبَ، وقال أبوبكرٍ: صدقتَ، وواساني بنفسهِ ومالهِ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟؟**»[2].

ويزدادُ الأمرُ وضوحاً ووضاءً حين يقول عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وكافيناهُ بها ما خلا أبابكرٍ فإن له يداً يكافيْهِ اللهُ بها يومَ القيامةِ**»[3].

أبوبكرٍ الأبيضُ النحيفُ اللطيفُ خفيفُ العارضينِ جعدُ الشعرِ دقيقُ الساقينِ خفيفُ اللحمِ يخضبُ بالحناء والكتمِ.

هو الوقورُ جميلُ السمتِ يغارُ على مروءتِهِ ويتجنَّبُ ما يريبُ لم يشربْ الخمرَ في الجاهليةِ لإنها تُخلُّ بوقارِ مثلِهِ. وقد سئلَ عن ذلك يوماً فقال: كنتُ أصونُ عِرضِي وأحفظُ مروءتي.

أيُّها الإخوةُ في اللهِ: أصحابُ المقاماتِ والقياداتِ وذووُ الشرفِ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (١/ ٦٦٥ ـ ح٤٦٦) واللفظ له، ومسلم (٤/ ١٨٥٤ ـ ح٢٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٢ ـ ح٣٦٦١).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٦٨ ـ ح٣٦٦١) وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم ٥٦٦١.

والوجاهاتِ يعتصمونَ بالوقارِ والاحتشامِ، ويستزيدونَ من خلائق الصدقِ والمروءةِ والوفاءِ، في شفافيةِ نفسٍ، ورهافةِ حسٍ. لقد بلغتْ نفسُه قُصارىٰ ما تبلغُهُ نفسٌ طيبةٌ منً رعايةِ حقوقِ الناسِ، ومسارعةٍ إلى الخيراتِ، ودرءٍ للشرورِ وساقطِ الأمورِ.

يقولُ ربيعةُ الأسلمي رضي الله عنه: جرىٰ بينيْ وبين أبي بكرٍ كلامٌ فقال لي كلمةً كرهتُها، ونَدِمَ أبوبكرٍ عليها، فقال: يا ربيعةُ ردَّ علي مثلها حتى يكونَ قصاصاً. قلت لا أفعلُ. قال: لتقولنَّ أو لأستعدينَّ عليكَ رسول الله ﷺ؛ فقلتُ: ما أنا بفاعلٍ. فانطلق أبوبكرٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ. وجاءني ناسٌ من قومي من أسلمَ فقالوا: رحمَ اللهُ أبابكرٍ في أي شيءٍ يستعدي عليك؟ وهو الذي قالَ لكَ ما قال؟؟ فقلت: أتدرون من هذا.. أبوبكر؟ ثاني اثنين وهو ذو شيبةٍ في الإسلام إيَّاكُم لا يلتفتْ فيراكُم تنصروني عليه فيغضبْ فيأتي رسولَ الله ﷺ فيغضبُ لغضبهِ فيغضبُ اللهُ لغضبهما فيهلكَ ربيعةٌ. وانطلق أبوبكرٍ وتبعتهُ وحدي حتى أتى رسول الله ﷺ فحدثَهُ الحديثَ كما كان، فرفع رسول الله ﷺ إليَّ رأسَهُ فقال: يا ربيعةُ مالكَ وللصِّديق؟ فقلتُ يارسولَ الله كان كذا وكذا، فقال لي أبوبكرٍ كلمةً كرهتُها وطلبَ منيِّ أن أقولَ كما قالَ حتى يكونَ قصاصاً فأبيتُ؟؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: أجَلْ لا تردَّ عليه. ولكنْ قلْ: قد غفر اللهُ لكَ يا أبابكرٍ.

أبوبكرٍ يكرهُ أن يسيءَ إلى أحدٍ لأنهُ ـ وهو الودودُ المؤدَّبُ ـ يعلمُ ما توقعُهُ الإساءةُ في النفس من ألمٍ قد يخرجُها عن طورِها في حلمِها وأَناتها. لقد كان يتحاشىٰ السَّقَطَ من الكلام، وإذا مدحَهُ مادحٌ قال: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، واغفرْ اللهم لي ما لا يعلمون،

واجعلني خيراً مما يظنون.

لقد كان كريمَ النزعاتِ والطوايا، سريعَ التأثرِ بمآسيَ من حوَله، مع طموحٍ عجيبٍ إلى المُثُل العليا، يسابقُ إلى الخيراتِ، ويبادرُ إلى صنوفِ البرِّ والإحسانِ، ومواساةِ ذوي الحاجاتِ.

صلى رسولُ الله ﷺ الفجرَ ذاتَ يومٍ بأصحابه، فلما قضىٰ صلاته قال: «**أيُّكم أصبحَ اليومَ صائماً؟** قالَ أبوبكرٍ: أنا، قال: **من تبع منكم اليومَ جنازةً؟** قال أبوبكرٍ: أنا، قال: **من أطعمَ اليومَ مسكيناً؟** قال أبوبكرٍ: أنا، قال: **فمن عاد منكم اليومَ مريضاً؟ قال أبوبكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرىءٍ إلا دخلَ الجنةَ**»[1]

أيُّها الإخوةُ: إن أبابكرٍ رضي الله عنه بأفعاله الجميلةِ، ومبادراتِهِ المتنوعةِ يدخلُ الجنةِ ليس من بابٍ واحدٍ ولكن من أبواب الجنة جميعها؛ فلقد عدَّدَ رسول الله ﷺ أبوابَ الجنةِ فكان مما قال: «**من كان من أهل الصلاةِ دُعيَ من بابِ الصلاةِ، ومن كان من أهل الجهادِ دُعيَ من بابِ الجهادِ، ومن كان من أهلِ الصدقةِ دُعيَ من بابِ الصدقةِ، ومن كان من أهلِ الصيامِ دُعيَ من بابِ الصيامِ وبابِ الريانِ.** فقال أبوبكرٍ رضي الله عنه: ما على الذي يُدعىٰ من تلك الأبوابِ من ضرورةٍ؟؟؟ وهل يدعىٰ من كلِّها أحدٌ يا رسولُ اللهِ؟ قال: **نعم. وأرجوا أن تكون منهم يا أبابكرٍ**»[2]

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٥٧ ـ ح١٠٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٣ ـ ح٣٦٦٦)، والترمذي (٥/ ٥٧٤ ـ ح٣٦٧٤) وقال: حديث صحيح، والنسائي (٤/ ١٦٩).

ومن أجلِ هذا فلا جرَمَ أن يقولَ عمرُ وعليٌّ رضي الله عنهما: ما سابَقْنا أبابكرٍ إلى خيرٍ قطُّ إلا سَبَقنا عليه.

أيها الإخوة: ولئن كان أبوبكرٍ أليفاً مألوفاً سمحاً ودوداً ليناً سهلاً حسنَ الحديثِ أديبَ المجالسةِ فلتعلموا أن هذا الرفيعَ من السجايا والجميلَ من المحامدِ يؤازِرُهُ قسطٌ وافرٌ من رجاحةِ العقلِ وحصيفِ الذكاءِ الذي يتميزُ به ويحتاجُهُ ذوو الأقدارِ الكبيرةِ من الرجالِ، فقد قيلَ فيه وفي أبي عبيدةَ بن الجراحِ رضي الله عنهما: «**هما داهيتا قريشٍ**»، ولقد كان أبوبكرٍ أسرعَ إلى الفطنةِ والإدراكِ فيما يُعرِّضُ به النبيُّ ﷺ لأصحابه من التلميح دون التصريح. يُحدِّثُ أبوسعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه يقول: جلس رسولُ الله ﷺ على المنبرِ يوماً فقال: «**عبدٌ خيرَّهُ اللهُ أن يؤتيَه زهرةَ الدنيا وبينَ ما عندهُ فاختارَ ما عندهُ**»[1]، فبكىٰ أبوبكرٍ وبكىٰ، وقال: فديناكَ بآبائنا وأمهاتنا. فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّرَ. وكان أبوبكرٍ أعلَمَنا بهِ.

ويقترنُ بدماثةِ الخلقِ وهدوءِ الطبعِ ورجاحةِ العقلِ قوةٌ في الحقِّ وشجاعةٌ في النفس وإخلاصٌ للمبدأ فحين أسلم أعلن إسلامه، وجهر بصلاته، ولقَي من الأذىٰ في مكة ما لقي، وتحملَ في ذلك ما تحملَ.

وفي المعاركِ كان القريبَ من رسول اللهِ ﷺ، شهدَ المشاهدَ كلَّها وكانت معه الرايةُ يومَ تبوكٍ، ولم تُذكر له قطُّ هزيمةٌ في

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (٧/ ٢٦٨ - ح٣٩٠٤)، ومسلم (٤/ ١٨٥٤ - ح٢٣٨٢) واللفظ له.

ساعة من ساعات الشدةِ لا في أحدٍ ولا الخندقِ ولا حنينٍ، ولا ثبتَ أحدٌ حيث يصعبُ الثباتُ إلا كان هو أولَ الثابتين لم يفارقْ نبيَّه محمداً ﷺ لا حضراً ولا سفراً.

ولقد اجتمعتْ تلك الصفاتُ كلُّها وبرزتْ في أجلىٰ صورها وأبهىٰ ممارساتِها حينما تولىٰ الخلافةَ بعد رسولِ الله ﷺ ، فلقد كان خيرَ خليفةٍ، أرحمَ الناس وأحناهم عليهم في عفةٍ وصدقٍ ودعةٍ وحزمٍ، وأناةٍ وكَيْس، ويَقظةٍ ومتابعةٍ، ومن ردَّ أهلَ الردةِ إلا أبوبكرٍ، الضعيفُ عنده قويٌ حتى يأخذَ الحقَّ له والقويُّ عنده ضعيفٌ حتى يأخذَ الحقَّ منه. نعم لقد كان قوةً للضعيفِ ونَصفةً للمظلومِ، ومفزعاً للملهوفِ، فهو الخليفةُ الشفيقُ، وهو الراعيْ الرفيقُ، يذودُ الأمةَ عن مراتعِ الهلكةِ، ويحمي من الحرِّ والقرِّ، يهتمُّ بشؤنِهم، ويغتمُّ لشكايتِهم، وصيُّ اليتامىٰ، وخازنُ المساكينِ، كالقلبِ بين الجوانحِ، تصلحُ بصلاحهِ كلُّ الجوارحِ.

أيُّها الإخوةُ: والحديثُ يطولُ في مسيرةٍ لا ينقضيْ منها العجبُ. فهل تعي الأمةُ في أعقابِ الزمنِ، وفي مواضعِ الفتنِ المجيدِ من تاريخِها؟ أم هل يعي شبابُها أن روحَ التاريخَ يكمنُ في سيرِ الرجالِ الأفذاذِ؟ ولكن ما الحيلةُ إذا كان الرجالُ لا يقدِّرون الرجال:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

هذا أبوبكر (رضي الله عنه)
الخطبة الثانية

الحمد للهِ رفعَ قدرَ أولي الأقدارِ، أحمده سبحانه وأشكره على فضلِه المدرارِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ المختارُ، صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار، من المهاجرين والأنصار والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله رحمكم الله أيها المسلمون. الأممُ والشعوبُ كما تحقِّقُ العزَّ والمجدَ يَمسُّها الضعفُ والهوانُ. وتاريخُ الإسلامِ ليس مجردَ أحداثٍ مدونةٍ، ووقائعَ مسجلةٍ، ولكنه عقيدةُ الأمةِ ودينُها ومقياسُها وميزانُها وعظتُها واعتبارُها. التاريخُ هو الكنزُ الذي يحفظُ مدخراتِ الأمةِ في الفكرِ والثقافةِ والعلمِ والتجربةِ، وهو الذي يمدُّها ـ بإذن الله ـ بالحِكم التي تحتاجُها في مسيرةِ الزمنِ وتقلُّبِ الأحداثِ. والأمةُ التي لا تحسنُ فقهَ تاريخِها ولا تحفظُ حقَّ رجالِها أمةٌ ضعيفةٌ هزيلةٌ ضالةٌ عن حقائق سننِ اللهِ، مضيعةٌ لمعالمِ طريقِها.

أيها الإخوةُ: وإن شئتُم مزيداً من سيرةِ هذا الرجلِ المباركِ، والقدوةِ الحسنةِ فلتعلموا أن هذا الإلفَ المألوفَ الرحيمَ بالغرباءِ قبلَ الأقربين غزيرُ الدمعةِ شجيُّ النشيج، هذه الرحمةُ والرقةُ لم تمنعْ المؤمنَ الصدِّيقَ من أن ينهض لمبارزة ابنه الكافرِ يومَ بدرٍ حين شهِد الحربَ مع المشركينَ، فقد رأىٰ من البرِّ في الدينِ أن

ينهضَ بنفسِهِ لمبارزة ابنه، ولا يدعُ ذلكَ لأحدٍ من المسلمين، ولكن النبيَّ ﷺ استبقاه وهو يقول: «**متعنا بنفسك يا أبابكر**»(١).
ولم تكتملْ القصةُ بعدُ فلقد أسلمَ الأبنُ عبدالرحمن فقال لأبيه أبي بكر: «يا أبتِ لقد أهدفتَ إليَّ يومَ بدرٍ فانحرفتُ عنكَ، فقال أبوه: ولكنك لو هدفتَ إليَّ لم أنحرفْ عنك». الله أكبرُ ما هذه الحِدَّةُ؟ وما هذا الجدُّ والصرامةُ؟؟ وما هذا الحزمُ والحسمُ؟؟.

أما وصايا الحكمةِ وتوجيهاتُ القيادةِ فلأبي بكرٍ رضي الله عنه منها القِدْحُ المُعلَّىٰ. يقول لعكرمة بن أبي جهلٍ في وصيةٍ: مهما قلتَ إني فاعلٌ فافعلْ ولا تجعلْ قولك لغواً لا في عقوبةٍ ولا في عفوٍ، لا تتوعدْ على معصيةٍ بأكثرَ من عقوبتِها، لأنك إن فعلتَ أثمتَ وإن تركتَ كذبتَ.

رضي الله عن أبي بكرٍ وأرضاهُ، وطابَ ذكرُه حياً وميتاً ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٧٤)، والبيهقي (٨/ ١٨٦).

رويداً أيها المراؤن
الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ علام الغيوبِ ومكنوناتِ القلوبِ، البصيرِ بالنياتِ وخفايا الطوياتِ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره هو غفارُ الذنوبِ ودامِحُ الزلاتِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المخصوصُ بأشرفِ المقاماتِ، والمؤيدُ بالآياتِ الباهراتِ. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ المكرماتِ وعنوان السعاداتِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي أيها الناسُ بتقوىٰ الله عزَّ وجلَّ.

أيُّها الإخوةُ: هاهم حجاجُ بيتِ اللهِ قد ولَّوا وجوهَهم شطرَ ديارِهم، ورَنَتْ[1] أبصارُهم إلى أهلهم وذويهم، تقبل الله منَّا ومنهم، وأعادهم سالمين غانمين، مغفورةً ذنوبُهم محطوطةً خطيئاتُهم.

أيُّها الإخوةُ: وماذا بعد؟ هل لا يعرفُ المسلمون ربَّهم إلا في أيامٍ معلومةٍ أو ساعاتٍ محدودةٍ؟.

إن تفاضلَ بعضِ الأيامِ والشهورِ في زيادةِ الأجورِ ماهو إلا من أجلِ مزيدِ العمل، ونشاطَ الهمم لتألفَ النفوسُ الطاعةَ. وتستيقظَ فيها من بعد غفلةٍ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ

---

(١) رنت: أي توجهت.

كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

سبحان الله عبادَ اللهِ: من الناس من يقول ربَّنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق أعرضَ عن الآخرةِ، وجعل الدنيا همَّه ضَعُفَ عنده الإخلاصُ، ووهَنَ رجاؤُه في ربِّه، بل إنه ليُمزِّقُ دينَه من أجلِ ترقيعِ دُنياه. ليس له في قصد ابتغاءِ مرضات الله شيءٌ. يطلبُ المنزلةَ عند الناس. بإظهارِ خصالِ الخيرِ والقصدِ إلى بيتِ اللهِ والانتسابَ إلى حجَاجِ بيتِ اللهِ، يُظهرُ خصالَ الخيرِ المقربةِ إلى اللهِ في القولِ والمظهرِ والعلم والعملِ. إن مرضُ الرياءِ يفعلُ صاحبُه الأفعالَ رياءً وسمعةً وتحدثاً. يُريْ الناسَ أعمالهَ الصالحةَ ويُزيِّنُها، يُسمِعُهم تِلاوتَه وأحاديثَه ومواعظَه وتذكيرَه. يتحدثُ إليهم بسابقِ فضلِه وصالحِ عملِه الخفيِّ منه والماضي. وهذا لعمرُ الله بحر من الهلاك لا ساحل له.

يبتغي هذا المبتلىٰ كسبَ المديحِ واتقاءَ الذمِّ واستدرارَ الأموالِ وقضاءَ الحاجاتِ.

هذا المريضُ يقول قولاً ويطلبُ علماً. ويعملُ عملاً. ويبذلُ مالاً . . لا يريدُ وجه اللهِ ظاهرُ فعلِه جميلٌ وباطنهُ قبيحٌ، يُصلي ويتصدقُ، ويصومُ ويحجُ. . يُظهرُ الحزنَ على أمرِ الإسلام، ويُبدِيْ الخوفَ من أهوالِ يومِ الدين، يُطرقُ رأسَهُ ويتثاقلُ في مشيتِه. يتكلَّمُ بكلامِ أهلِ العلمِ، ويسلك مسالك أهلِ الصلاحِ . . يحركُ شفَتيْهِ في همهمةِ الذاكرين والمسبِّحينَ، وقلبُه بغيرِ اللهِ

مشغولٌ، وعلى سِواهُ يُعَوِّلُ، يبتغيْ ثناءَ الجاهلينَ. ويستميلُ قلوبَ المخلوقين. لا يصنعُ الخيرَ حباً فيه، ولا يتركُ الشرَّ كرهاً له، إذا خلا بنفسهِ ارتكبَ العظائِمَ، يَكْسَلُ إذا كان وحدَهُ، وينشطُ إذا كان في الناسِ. ينقصُ عند الذمِّ، ويزيدُ عند الثناءِ يتبهرجُ بلباسِ الصلحاءِ، ويتزيَّا بزيِّ الأخيارِ، وهو ليس من هؤلاءِ ولا هؤلاءِ، متشبِّعٌ بما لا يملكُ مُتدثرٌ بثوبي زورٍ. يتخشَّعُ من غير خشوعٍ، ويتعبدُ من غير حضورٍ.. ترىٰ بدناً ولا ترىٰ قلباً. أخصبُ الناسِ لساناً، وأجدبُهم فؤاداً. لم يقصدْ وجهَ اللهِ فيثابُ، ولم يَخْفَ رياؤه فيُحمُدَ.

رأتْ أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها رجلاً متماوتاً، فقالت: ما بال هذا؟ فقالوا: إنهُ رجلٌ صالحٌ. فقالت: لا أبعد اللهُ غيرَه. كان عمرُ رضي الله عنه أصلحَ منه كان إذا مشىٰ أسرعَ، وإذا ضربَ أوجعَ، وإذا أطعمَ أشبعَ، فدعوا التصنعَ فإن الله لا يقبلُ من متصنِّعٍ عملاً.

وقال بعضُ الواعظين لمحمد بن واسعٍ رحمه الله: ما لي أرىٰ القلوبَ لا تخشعُ، والعيونَ لا تدمعُ، والجلودَ لا تقشعرُّ فقال محمدٌ: يافلانُ: ما أرىٰ القومَ أُتُوا إلا من قِبَلِكَ. إن الذكرَ إذا خرجَ من القلبِ وقعَ على القلبِ.

الرياء ـ أيها المسلمونَ ـ من أمراضِ القلوب، وغوائلِ النفوس، ومكائدِ الشيطانِ، يُبتلىٰ به العلماءُ والعبادُ والأغنياءُ الصلحَاءُ، وكلُّ مشمرٍ لسلوك طريقِ الآخرةِ.

بالرياء تجدُ النفوسُ مَخلصاً من مشقةِ المجاهدةِ إلى لذة القبولِ

عند الخلقِ، وكأنها لم تقنعْ بإطلاعِ الخالقِ تبارك وتعالىٰ. رضيتْ بحمدِ الناسِ فانصرفتْ عن مقصدِ وجهِ اللهِ. ومن أجل هذا فإن الرياءَ لا يكون إلا ممن رقَّ دينُه وقَصُرَ في جنبِ اللهِ نظرُه.

أيُّها الأحبةُ: ياترىٰ ماذا يبتغي المرائي من الناس؟؟ ألم يعلمْ أن قلوبَهم ليستْ في أيديهم؟ ألم يعلمْ أنها بين أصبُعَينِ من أصابعِ الرحمنِ يقلِّبُها كيف يشاء[1]؟.

يقول الحافظُ ابنُ الجوزيِّ رحمه الله: والله لقد رأيتُ من يُكثرُ الصومَ والصلاةَ والصدقةَ ويتخشعُ في نفسِه ولباسِه، والقلوبُ تَنْبُوا عنهُ، وقدرُه عند الناسِ ليس بذاكَ. ورأيتُ من هو دونَ ذلك بمراتبٍ، والقلوبُ إليه تَتهافتْ، وعلى محبتهِ تَجْتَمعُ.

فمن أصلحَ سريرتَه فاحَ عبيرُ فضلِه، وعبقتْ القلوبُ بنشرِ طيبهِ. فاللهَ اللهَ في السرائرِ فما ينفعُ في فسادِها صلاحُ الظاهرِ. اهـ.

أيُّها المسلمون: إن الخلقَ لا يُكرِمون أحداً إلا بقدرِ ما جعلَ اللهُ لهُ في قلوبِهم، وإن من خُذلانِ اللهِ للعبدِ أن يُعمي بصيرتَه فيتقربَ للمخلوقينَ بفعلَ ما يحبونهَ، وإن أغضبتَ ربَّه واستحقَّ مقتَهُ. أما علِم أن اللهَ يحولُ بين المرءِ وقلبِه، ويحولُ بينَه وبينَ ما يشتهي: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة: ١٣].

ما الناسُ ـ أيُّها المبتلىٰ ـ إلا عبيدٌ أذلةٌ ضعفاءُ عَجَزةٌ، يدُ اللهِ

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥ ـ ح٢٦٥٥)، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٠ ـ ح٣٨٣٤)، وأحمد (٢/ ١٦٨) ولفظ مسلم: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد. يصرفه حيث يشاء».

آخذةٌ بنواصيهم، وحكمةُ العدلُ ماضٍ فيهم. إن العالمَ كلَّه أعجزُ من أنْ يَدفعَ أجلاً أو يَجْلبَ رزقاً أو يُجيرَ من نائبةٍ.

من قصدَ رضا المخلوقِ بإغضابِ الخالقِ حجبَ اللهُ عنهُ فضلَه ووكَلَهُ إلى نفسِه. ومن أصلح ما بينهُ وبين الخلقِ وأهملَ ما بينُه وبين ربِّه انتكس عليه مقصودُهُ وعادَ حمدُه ذمّاً، (ومن التمسَ رضا الناسِ بسخطِ اللهِ سخِطَ اللهُ عليهِ وأسخطَ عليهِ الناسَ)(1) ، فلا ديناً أقامَ ولا دنيا أصابَ، نَصَبٌ بلا فائدةٍ وعملٌ من غيرِ أجرٍ والله أغنىٰ الشركاءِ عن الشركِ.

ياتُرىٰ من أحسنَ العملَ حين يراهُ الناسُ وأساءَ فيه حين يخلو بنفسهِ من يخادعُ؟ وبمن يستهينُ؟.

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ ﴾ [البقرة: ٩] ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٤٢ ﴾ [النساء: ١٤٢].

فرويداً بنفسِكَ ورفقاً بحالِكَ، فإنك مسئولٌ عما تُخفيه، ومحاسبٌ على ما تبديْه، وما عند ربِّك أقربُ مما في يديكَ.

فاتقِ اللهَ يا عبدَاللهِ، فمن أصلحَ ما بينهُ وربِّه كفاه ما بينهُ وبينَ الناس، ومن صدقَ في سريرتِه حَسُنتْ علانيتُه ومن عملَ لآخرتهِ كفاهَ اللهُ أمر دنياه.

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٥٢٧ ـ ح٢٤١٤)، ورواه الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح غير يحي بن سليمان الحفري وقد وثقه الذهبي في آخر ترجمة يحي بن سليمان الجعفي انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٤) والحديث صححه الألباني انظر السلسلة الصحيحة رقم ٢٣١١.

اللهَ اللهَ في إخلاص الباطنِ وصدقِ القلبِ فالناقدُ بصيرٌ، والجزاءُ دقيقٌ، والحكمُ العدلُ لا يحابي، والمجازيْ لا يجورُ، والحفيظُ لا يُضيِّعُ.

إن النفسَ التي تتحررُ من رقِّ الهوىٰ وبواعثِ الرياء هي التى تسيرُ في طريقِ الإخلاصِ، تسيرُ مطمئنةً بالإيمانِ متأدبةً بحكمةِ الإسلامِ منقادةً لمواعظهِ الحسنةِ. تعيشُ صادقةً مع ربِّها بامتثالِ أمرهِ، واجتنابِ نهيِهِ، ورعايةِ حدودِهِ، والرضا بقضائِهِ، وحسنِ الأدبِ معهُ، وكثرةِ ذكرِهِ، وتعدادِ نعمهِ، مع سلامةِ القلبِ من الاعتراضِ على الأقدارِ.

من ابتغىٰ وجهَ اللهِ كان اللهُ في عونِه وكفاهُ شرَّ خلقِهِ ومن التمسَ رضا اللهِ بسخطِ الناس رضي اللهُ عنه وأرضىٰ عنه الناسَ.
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم.

رويداً أيها المراؤن

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وحدَه لا شيءَ قبلَهُ ولا شيءَ بعدهُ، هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ. أحمدهُ سبحانهُ وأشكرهُ وأتوبُ إليه وأستغفرُه وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه ربُّه في الأميين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعد. أيُّها الإخوةُ فلئِنْ كان هذا هو الرياءَ، وذلكم هو خطرَهُ وأثرَه، فلا ينبغيْ أن يكون هاجِسُه مانعاً من العملِ وموقعاً في الارتيابِ فذلك مدخلٌ شيطانيٌ عريضٌ يجرُّ إلى البطالةِ وتركِ سبلِ الخيرِ. والمرءُ رقيبُ نفسِه وبصيرُ قلبِه فمادامَ الباعثُ على العملِ صحيحاً وللشرعِ موافقاً فلا تتركْ الخيرَ وفعلَه لمثلِ هذا الهاجسِ.

ولقد قالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمه الله: «العملُ من أجلِ الناس شركٌ وتركُ العملُ من أجلِ النَّاسِ رياءٌ، والإخلاصُ أن يعافيكَ اللَّهُ منهما». وقال بعض السلف: «من تركَ العملَ خوفاً من عدمِ الإخلاصِ فقد تركَ الإخلاصَ والعملَ جميعاً». بل إن قصدَ المصلحةِ الدنيويةِ الناتجةِ من عملِ الخيرِ والتي في طريقه لا تؤثرُ في صحةِ الإخلاصِ وحسنِ القصدِ، فمن حجَّ البيتَ فلا جناح

عليه أن يبتغيَ فضلَ اللهِ في التجارةِ، ومن قصدَ التطهرَ في الوضوءِ فلا عليهِ أن يتلذَّذَ بالتبرُّدِ، ومن طلبَ العلمَ ليُصلحَ نفسَه ويُعلِّمَ غيرَهُ، فهو على طريقِ الحقِّ يسيرُ، فليس تركُ الرياءِ بتركِ العملِ، لاسيما وأن من أعمالِ الإسلامِ ماهو مشروعٌ علانيةً، من صلاةِ الجماعةِ وحجِّ بيت اللهِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ وطلبِ العلمِ وأمثالِها، فهذا يُفعلُ ظاهراً كما شُرِعَ ويكونُ الإخلاصُ بالمجاهدةِ والاعتمادِ على اللهِ.

وأما مالا يكونُ من الأعمالِ بهذه المثابةِ فينبغي كتمانُه إلا لمن أمِنَ الرياءَ أو كان من أهلِ الإمامةِ والاقتداءِ.

وثمَّتَ جانبٌ آخرُ أيها الإخوةُ: وهو أن المسلمَ يعملُ العملَ وقد أخلصَ للهِ فيه ثمَّ ينشرُ اللهُ له الثناءَ الحسنَ في قلوبِ المؤمنين وعلى ألسنتِهم فلْيفرحْ بفضلِ اللهِ وليستبشرْ بذلكَ فقد جاءَ في الحديثِ عند مسلم من روايةِ أبي ذرٍ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ أنه سُئلَ عن الرجلَ يعملُ العملَ من الخيرِ يحمَدُهُ الناسُ عليه قال: «**ذلكَ عاجلُ بُشرىٰ المؤمنِ**»[1].

ألا فاتقوا اللهَ يرحمكم واعملوا وأخلصوا فالإخلاصُ موطنُه القلبُ والقلبُ محجوبٌ عن الأبصارِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤ ـ ح٢٦٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٢ ـ ح٤٢٢٥)، وأحمد (٥/ ١٥٦، ١٥٧).

هذه هي الرشوة

الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله نحمدَه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهِ فلا مضلَّ له وأشهد أن سيدَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بشَّرَ وأنذَرَ وبلَّغَ البلاغَ المبينَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا اللهَ أيها الناسُ، اتقوه وأخلصوا له الدينَ وأحسنوا العبادةَ.

أيها المسلمون: تُبْتلىٰ الأممُ في أيام محنتِها وانتقاصِ أطرافِها وضعفِ نفوس أبنائِها بأمراضٍ كثيرة تُضْعفُ شأنها وتقوِّضُ صفاءَ عيشِها وطمأنينةَ مسيرتِها وسلامةَ طرقِ الكسبِ فيها وتقضي على حياتِها.

إن من شرٍّ ما تصابُ به الأممُ في أهلِها وبنيِها أن تمتدَّ أيدي فئاتٍ من عُمَّالِها وأصحابِ المسؤلياتِ فيها إلى تناولِ ما ليسَ بحقٍّ. فصاحبُ الحقِّ عندهم لاينالُ حقَّهُ إلا إذا قدَّمَ مالاً. وذو الظلامةِ فيهم لا تُرْفَعُ مظلمتُه إلا إذا دفعَ رشوةً.

أيها الإخوةُ: وفي قراءةِ تاريخِ الأمم: لقد نعتَ اللهُ قوماً من قبلِكُم بأنهم: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]. إنهم أقوامٌ طالَ عليهم الأمدُ فقستْ قلوبُهم، وانطفأتْ جذوةُ

الإيمانِ في صدورِهم، وثقلَتْ عليهم التكاليفُ وكرهوا الشرائعَ، فأحبوا الكذبَ وألِفوا الزورَ وسمعوه وسعِدوا بهِ وكرهو الحقَّ ونبذوا الصدقَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ ﴾ [المائدة: ٤١، ٤٢].

هذه طبيعةُ القلوبِ حين تفسدُ، والأرواحُ حين تُطمَسُ، تحبُّ الباطلَ والزورَ: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة: ٤١].

نعم أيها الإخوةُ: مسالكُ الباطلِ وأساليبُ السحتِ رائجةٌ في المجتمعاتِ المنحرفةِ، أما طرقُ الحقِّ وأنوارُ الصدقِ فهي عندهم مظلمةٌ مُعْتِمةٌ.

وفي نعتٍ آخرَ لهؤلاء وأمثالهم: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المائدة: ٦٢، ٦٣]. مسئولية مشتركة بين الواقع في الإثمِ والمقصِّرِ في الأمرِ والنهي.

سورٌ قرآنيةٌ لنفوسٍ مريضةٍ قد استشرىٰ الفسادُ في أحشائِها،

وسقطتْ القيمُ من حسابِها.

مسارَعةٌ بإرتكابِ الآثام، واجتراءٌ في العداونِ على الحقوقِ، وتهارشٌ وتكالبٌ على أنواعِ السحتِ لقد سيطرَ الشرُّ على تفكيرِها، وامتلأتْ بالحرامِ أجوافُها، فاستباحت حِمى اللهِ ومحارمَهُ. ولا تَسَلْ - عافاك اللهُ - عما ينجُم من الأضرارِ التي لا حصرَ لها من أكلِ السحتِ وبذلِ الرَّشاوىٰ فالكرامةُ ضائعةٌ، والحقوق مهضومةٌ، والنبوغُ مقبورٌ، والجِدُّ مدفونٌ، والغيرةُ على مصالحِ الأمةِ مضمحِلَّةٌ. والأمانةُ في خدمتِها غائِبةٌ، وتقديرُ المخلصِينَ متلاشٍ.

الرشوةُ خيانةٌ عند جميع أهلِ الأرضِ وهي في دينِ اللهِ أعظمُ إثماً وأشدُ مقتاً: «**لعن رسولَ الله ﷺ الراشي والمرتشي**»[1].

إنها تُخفي الجرائمَ، وتسترُ القبائحَ وتزيِّفُ الحقائقَ.

بالرشوةِ يُفلِتُ المجرمُ ويُدانُ البريءُ. بها يَفسدُ ميزانُ العدلِ الذي قامتْ به السمواتُ والأرضُ وقامَ عليه عمرانُ المجتمعِ، هي المِعولُ الهدَّامُ للدينِ والفضيلةِ والخُلقِ.

الرشوةُ أيها الناس: تلبسُ عند أهلها ثياباً مستعارةً، فتأخذُ صوراً متلوِّنةً، وأغراضاً متعددةً. فهذه هديةٌ وتلك إكراميَّةٌ، وهذه محاباةٌ في بيعٍ أو شراءٍ، وذلك ابراءٌ من الدَّينِ. والصورُ في ذلك لا تتناهىٰ. وسُبُلُ الشياطينِ وأعوانِهم في ذلك عريضةٌ واسعةٌ.

---

(١) أخرجه أبوداود (٣/ ٣٠٠ ـ ح٣٥٨٠)، والترمذي (٣/ ٦٢٣ ـ ح١٣٣٧) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ٧٧٥ ـ ح٢٣١٣) ولفظه «لعنة الله على الراشي والمرتشي»، وأحمد (٥/ ٢٧٩)، وصححه الألباني.

في القطاعِ العامِّ والقطاع الخاصِّ وفي المؤسساتِ وفي الشركاتِ.

أما أغراضَها عندَهم فمتعددةٌ: طمسٌ لحقٍّ أو سكوتٌ على باطلٍ، وتقديمُ لمتأخرٍ وتأخيرٌ لمتقدم، ورفعٌ لخاملٍ، ومنعٌ لكفءٍ، وتغييرٌ للشروطِ، وإخلالٌ بالمواصفاتِ، وعبثٌ بالمناقصاتِ، وتلاعبٌ في المواعيدِ، في أغراضٍ لاتتناهىٰ.

أما الراشي والمرتشي والرائشُ فإنهم - لا بارك اللهُ فيهم ولا لهم - متساعدون على تضييع الحقوقِ ويروِّجون لأكلِ أموال الناس بالباطلِ، ويزرعون السيءَ من الأخلاقِ، ومن ثَمَّ تستمرىءُ الأمَةُ هذا المرعىٰ الوبيلَ.

الراشي والمرتشي والرائشُ ملعونون عند اللهِ على لسانِ رسول اللهِ ﷺ، مطرودون من رحمةِ اللهِ ممحوقٌ كسبُهم، زائلةٌ بركتُهم، خسروا دينَهم وأضاعوا أمانتَهم، استسلموا للمطامع، واستعبدتهم الأهواءُ. وأغضبوا الربَّ، وخانوا الإخوانَ، وغشَوا الأمةَ، في نفوسٍ خسيسةٍ وهممٍ دنيئةٍ.

كم من مظالم انتهُكَتْ، وكم من دماءٍ ضُيِّعتْ، وكم من حقوقٍ طُمستْ، ما أضاعها وما طمسها إلا الراشونَ والمرتشون فحسبهم اللهُ الذي لا تنامُ عينُه، وويلٌ لهم مما عملت أيديْهم وويلٌ لهم مما يكسبونَ.

أيها الإخوةُ: الرشوةُ فخٌّ المروءةِ، ومصيدةُ الأمانةِ، وغرقُ الديانةِ وحبائِل الشرفِ.

بفشوِّ الرشوةِ تصابُ مصالحُ الأمةِ بالشللِ، وعقولُ النابغةِ بالقصمِ، ومواهبُ المفكرينَ بالجمودِ، وجهودُ العاملينَ بالفتورِ

وعزائمُ المجدينَ بالخورِ.

أيُّ خيرٍ يُرجىٰ في قومٍ مقياسُ الكفاءةِ فيهم ما يتزلفُ به المرؤوسُ لرؤسائِهِ من قرابينَ؟ وأيُّ إنتاجٍ يُرتجىٰ لأعمالٍ لا تسيرُ عندهم إلا بعدَ هدايا الراشين والمرتشين؟.

نفِدت ثرواتٌ، وهُدِمتْ بيوتٌ، وأُهينتْ نفوسٌ، وفُرقتْ جماعاتٌ، وارتفعَ باطلٌ، وغابَ حقٌّ، وما كان ذلك إلا بسببِ الرشاوىٰ المحرمةِ والخصوماتِ الفاجرةِ والإدلاءِ إلى الحكامِ بالباطلِ.

وإنك لترىٰ في المفتونين من هؤلاء من يزعمُ أنه ذو شطارةٍ ودهاءٍ وقد عَمِيَ عما أصابَه من الأرْزاءِ وتَعبِ النفسِ والقلبِ وإيذاءِ عبادِ اللهِ والاستغراقِ في الحرامِ فتراهُ مع أقرانِهِ بالفسقِ يتنابذون، وبالحسدِ والكيدِ يتعاملونَ، ويحسبون أنهم على شيءٍ ألا إنهم هم الخاسرون.

ولقد جاء في الخبر عنه ﷺ: «. . .**وما من قوم يظهرُ فيه الرَّشا إلا أُخِذوا بالرعبِ**»[1]، «**والراشيْ والمرتشيْ في النارِ**»[2].

وقد أخرجَ البخاريُّ رحمه اللهُ في صحيحِهِ عن أبي حميدٍ الساعديِّ رضي الله عنه قال: «استعملَ رسول الله ﷺ رجلاً من بني أسد يقالُ له ابن اللُّتْبِيَّةِ على صدقةٍ فلما قدِمَ قال: هذا لكم وهذا أُهدي لي؛ فقامَ النبيُّ ﷺ فصعِدَ المنبرَ فَحمدَ اللهُ وأثنىٰ عليه ثم قالَ: **ما بالُ العاملِ نبعثُهُ فيأتي فيقولُ: هذا أُهدي لي؟ فهلَّا جلسَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٥)، وضعفه الألباني في الضعيفة (رقم١٢٣٦).
(٢) انظر مجمع الزوائد (٤/ ١٩٩).

في بيتِ أبيهِ وأمِّه فينظرُ أيهدى له أم لا؟. والذي نفسيْ بيدِه لا يأتي بشيءٍ إلا جاء به يومَ القيامة يحملُه على رقبتهِ إنْ كان بعيراً له رُغاءٌ أو بقرةٌ لها خوارٌ أو شاةٌ تَيْعَرُ، ثم رفعَ يديه حتى رأينا عُفرَتي(١) **إبطيْهِ. ألا هلْ بلغتُ (ثلاثاً)»**(٢).

بلىٰ لقد بلَّغ عليه الصلاةُ والسلامُ. فوالله «**لن تزولَ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسأل عن مالِهِ من أين اكتسبهُ وفيم أنفقهُ**»(٣)، وإن الله لا يمحو السيءَ بالسيءِ ولكن يمحو السيءَ بالحسنِ. فأنىٰ يُستجابُ لهؤلاء دعوةٌ؟؟ وأنىٰ تنزلُ بهم بركة؟؟ ومتى يُرجىٰ لهم صلاح؟؟ وهم ذوو جرأةٍ على اللهِ حتى إنهم ليأخذون من الحرامِ الصُّرَاحِ لا يتوبون ولاهم يذَّكرون؟؟؟.

يقولُ يوسفُ بن أسباطٍ: إن الرجلَ إذا تعبدَ قال الشيطانُ لأعوانهِ: انظروا من أينِ مطعمُهُ، فإن كان مطعمَ سوءٍ قالَ دعوه يتعبُ ويجتهدُ فقد كفاكُم نفسَهُ. قال الحافظ الذهبيُّ رحمه الله: ويؤيدُ ذلك ما ثبتَ في الصحيح من حديث رسولِ اللهِ ﷺ «**في الرجلِ يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ ومطعمهُ من حرامٌ ومشربهُ من حرامٌ وغُذيَ بالحرامِ فأنَّىٰ يُستجابُ لذلك**»(٤).

---

(١) عُفْرَتيْ إبطيه: بضم العين وفتحها والأشهر الضم. انظر لسان العرب (٤/ ٥٨٥) مادة عفر، وعفرة الأَبَط: هي البياض ليس بالناصع.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٢/ ٣٦٤ ـ ح٦٩٧٩)، ومسلم (٣/ ١٤٦٣ ـ ح١٨٣٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٩ ـ ح٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣ ـ ح١٠١٥)، والترمذي (٥/ ٢٠٥ ـ ح٢٩٨٩)، =

لهذا قال بعضُ السلفِ: لو قمتَ قيامَ الساريةِ مانفعكَ حتى تعلمَ مايدخلُ بطنكَ أحلالٌ أم حرام.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ وراقبوا ربّكم، فرُبَّ متخوضٍ في مالِ اللهِ له النارُ يومَ القيامةِ، ألا يخشىٰ أكَلَةُ السحتِ أن يُسْحِتَهُم اللهُ بعذابٍ وقد خاب من افترىٰ؟؟؟.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

= وأحمد (٢/٣٢٨).

هذه هي الرشوة
الخطبة الثانية

الحمد للهِ حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالحقِّ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أنوار الحق ومصابيحِ الدجىٰ والتابعين ومن تبعهم بإحسانِ وسار على نهجهم واقتفىٰ.

أما بعد أيها الناس: خاطبَ النبيُّ ﷺ صاحبةَ كعبَ بنَ عُجْرَةَ رضي الله عنه فقال له: «**يا كعبُ بنَ عجرةَ: إنه لا يدخلُ الجنةَ لحمٌ أو دمٌ نبتَ من سحتٍ، النارُ أولىٰ به. يا كعبُ: الناسُ غاديانِ فغادٍ في فكاكِ نفسِهِ فمعتِقُها، وغادٍ فموبقها**»[1].

وفي الخبرِ الآخرِ: «**إن العبدَ ليقذفُ اللقمةَ الحرامَ في جوفهِ ما يتقبلُ اللهُ عملَهُ أربعينَ يوماً، وأيُّما عبدٍ نبتَ لحمُهُ من سحتٍ فالنارُ أولى بهِ**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ٥١٣ ـ ح٦١٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، (ح٦١٥) بدون الجملة الأخيرة «الناس غاديان...»، وأحمد في المسند (٣/ ٣٢١، ٣٩٩)، والحاكم (٤/ ٤٢٢) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وأخرج الجملة الأخيرة مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٣ ـ ح٢٢٣).

(٢) رواه الطبراني في الصغير انظر مجمع الزوائد: (١٠/ ٢٩١) وقال: وفيه من لم أعرفهم.

فاتقوا اللهَ رحمكمُ اللهُ وليتقِ اللهَ هؤلاءِ المقصرونَ، فهلاَّ أخذوا بأوامر ربهم، واستمسكوا بتوجيهاتِ نبيِّهم ففي ذلك ما يحفظُ حقوقَهم، ويطهرُ قلوبَهم ويملأُ بالرضا والإيمانِ نفوسَهم، ويمنعُ تقاطُعَهم وشحناءِهم وتحاسدَهم وبغضاءَهم.

فطوبىٰ لمن أكلَ طيباً وعمِلَ في سنةٍ، طوبىٰ لمن حَسُنَ تعاملُه وعفَّ في طعمتِهِ، حَفِظ الأمانةَ وصدَقَ في الحديثِ وأَمِنَ الناسُ بوائقَهُ.

القضاءُ والقضاة

الخطبة الأولى

الحمدُ لله قضى بالحقِّ وأمر بالعدلِ، أحمدهُ سبحانه وأشكرُهْ، ذو الجودِ والاحسانِ، والكرمِ والفضلِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ من خاف مقام ربهِ يومَ الفصل، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُالله ورسولهُ بالهدى بعثه، وبالحقِّ أنزلَ عليه الكتابَ، وبالحقِّ نزل، صلى الله وسلَّم وباركَ عليهوعلى آله وأزواجِه وأصحبِه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ. أما بعد:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله واستمْسكوا بدينِكم. تَمَسَّكُوا بأقوى سببٍ من تقواه، فإن ذلكم هو سبيلُ العزةِ والرفعةِ وطريقُ السلامةِ والنجاة.

أيها المسلمون: العدالةُ في القضاءِ والمساواةُ بين الناسِ في الأحكامِ خصائصُ ومبادىءُ تشرُفُ بها الحضاراتُ، وتزكو بها المجتمعاتُ، وتستضيءُ بها دروبُ الحياة.

ورسلُ اللهِ الكرام عليهم الصلاةُ والسلامُ بعثهم اللهُ ليَبُثُّوا في الناس ميزانَ الحقِّ ولِيذيقوهم حلاوةِ القِسْط: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وتاريخُ الإسلامِ في القضاءِ وَضَّاءٌ، وقضاةُ المسلمينَ وفقهاءُ الملةِ لهم في هذا باعٌ طويلٌ، نَضجتْ معهم الأمةُ الإسلاميةُ، وسَمَتْ في معرفةِ الحقِّ وأدركَتْ مفهومَ العدالةِ ووَضَحَ لديها معنى الجريمةِ، واستقبحتْ القبيحَ، واستحسنتْ الحسنَ. فالحقُّ عندها ثابتٌ لا يتغيرُ، والعدلُ في قاموسها لا يختلفُ أو يتلَّونُ.

إن الفضيلةَ والعدالةَ والحقَّ معانٍ ساميةٌ ثابتةٌ لا تتغيرُ بتغيرِ الزمانِ، ولا بِتَبَدُّلِ المكانِ.

إنها لا تُمَارَسُ لعارضٍ يعرِضُ، أو من أجلِ طارىءٍ يَطرأُ، وتطبيقُ الشريعةِ وإقامةُ الحدودِ في هذه البلادِ المباركةِ من خيرِ الشواهدِ على رسوخِ هذه المبادىءِ.

ومن أجل هذا فلا يهولنَّكَ ما تسمعُ به في حضارةِ اليومِ من زعمِ العدالةِ، ودعوى المساواةِ. فإن اللصوصَ إذا كونوا عصابةً للسطو فقد يقتسمون المكاسبَ بينهم بالسويةِ، والسراقُ أيضاً قد لا يبغيْ بعضُهم على بعضٍ من أجلِ أن يحموا أنفسَهم من قبضةِ حُرَّاسِ العدالةِ. وفي زمنِكَ هذا قد تَتَمشىٰ بعضُ الدولِ الكبرى بموجَبِ قانون العدلِ واستقامةِ السياسةِ ورعايةِ الفضيلةِ، لكنهم لا يفعلون ذلك لوجهِ اللهِ أو للحقِّ المجردِ، فالغايةُ عندهم تبرِّرُ الوسيلةَ، ولكنَّهم يأخذونَ بهذه المبادىءِ ابقاءً لتَوازُعاتِهم الدوليةِ ومحافظةً على مصالِحِهم المرسومةِ وأهدافِهم المرجُوَّة.

أيها الإخوة: إن القضاءَ العادلَ تُساسُ به الديارُ ويسودُ به الحقُّ، وتعيشُ به الأمة في ظلِّ الأمنِ ودوْحةِ الاطمئنانِ.

لولا القضاءُ العادلُ لعمَّت الفوضىٰ، ولفسُد النِّظامُ ولسادَ الاضطرابُ.

أيها الإخوة: إن القضاءَ في تاريخِ الإسلامِ وضاءٌ قضاءٌ مبنيٌّ على العلمِ والحكمةِ والعدلِ والقوةِ والحزمِ الأمانةِ.

التحاكمُ إلى شرعِ اللهَ من مقتضياتِ الإيمانِ باللهَ، ومن مستلزماتِ صدقِ المتابعةِ لرسولِ الله ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

مَنصبُ القضاءِ في الإسلامِ منصبٌ شرعيٌ، ووظيفةٌ شريفةٌ، فريضةٌ محكمةٌ، وسنةٌ متبعةٌ. ويكفيها شرفاً ورفعةً أن تولاها رسلُ الله عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

ولقد تقلَّدَه من بعدِ المصطفىٰ ﷺ ساداتُ الإسلامِ من الخلفاءِ الراشدين، وكبارِ الصحابةِ والتابعين وتابعيهم.

ونبَّهَ رسولُ الله ﷺ إلى مقامِ الغبْطَةِ فيه بقوله: **«لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه اللهُ الحكمةَ فهو يقضي بها ويعلِّمها»**(١)، **«وإن المقسطينَ عند اللهِ على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمنِ وكلتا يديه يمينٌ، الذين يعدلونَ في حكمِهم وأهلِهم وما وَلُوا»**(٢).

---

(١) متفق عليه. البخاري (١/ ١٩٩ ـ ح٧٣)، ومسلم (١/ ٥٥٩ ـ ح٨١٦).
(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٨ ـ ح١٨٢٧)، والنسائي (٨/ ٢٢١)، =

معاشرَ الأحبةِ: ويسموا القضاءُ بسمو غايتِه، وغايتُه معدودةٌ من أجلِّ الغاياتِ إن لم تكنْ أجلَّها، إنها نصرةُ المظلومِ، وكفُّ الظالمِ، وقطعُ المنازعاتِ وفضُّ الخصوماتِ، والاصلاحُ بين الناسِ، وأداءُ الحقوقِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ.

والقاضيْ العَدْلُ حينَ يقعدُ مقعدَ الحكم فإنما يقعدُ مقاعدَ الأنبياءِ، يقعدُ ليفصل في الدِّماءِ والأبضاعِ، والأموالِ والحدودِ والحلالِ والحرامِ.

إن حقاً على من جلسَ مجالسَ الرسلِ أن يكونَ مؤمناً مخلصاً، حاضرَ القلبِ، متوقِّدَ الذِّهنِ، يسوِّي بين الخَصمين في مجلسِه، يستمعُ إلى البيناتِ ببصرٍ نافذٍ، عن الصوارفِ والشواغلِ، لا يجعلُ للعاطفةِ أثراً في حكمِه لا ينظرُ إلى صداقةٍ ولا يعتبر بقرابة، ولا تؤثِّرُ فيه عداوةٌ. طاهرَ اليدِ، نقيَّ القلبِ، قوياً في الحكمِ، صارماً في الحقِّ، قاضي فاضلٌ، لا يهابُ ذا حرمةٍ، ولا يُداهنُ ذا رتبةٍ، لا يقبلُ شفاعةً، ولا تستفزُّه الأهواءُ، ولا يأسُرُه المديحُ والإطراءُ، حليمٌ لا تُزَعْزِعُه المكدِّراتُ، مالكٌ لزمامِ أمره، ضابطٌ لهوى نفسِهِ، يَزنُ بميزانِ البصيرِ الناقدِ، والمخلصِ الحاذقِ، دقيقٌ في تَفَرُّسِ الصوابِ بين تَشَعُّبَاتِ الأقوالِ وخليطِ المزاعمِ.

ذلكم هو القاضي العدلُ، الظاهرُ على الحقِّ، الممسكُ بميزانِ العدلِ، لا ترتجفُ له يدٌ، قلبهُ منضبطٌ بخشيةِ اللهِ يخافُ يوماً تتقلبُ في القلوبُ والأبصارُ.

= وأحمد (٢/ ١٦٠)، وصححه الألباني.

حدَّثَ أحمدُ بنُ سهل قال: كنتُ جاراً لقاضي مصرَ بكارِ بن قتيبةَ، فمررتُ مرةً على بيته في أولِ الليلِ، فسمعتهُ يقرأُ هذه الآيةَ: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦]. قال ابنُ سهلٍ: فقمتُ في السحرِ فسمعتهُ يقرأها ويرددُها وهو يبكيْ. فقد أحيا ليلَهُ بهذه الآيةِ. لقد كان بكارٌ رحمه الله من أعدل القضاة حكماً، ومن أشرفهم أمَامَ أولي الأمرِ موقفاً.

وإن شئتْم قصةً في نزاهةِ مسلكِ القضاءِ فاسمعوا إلى هذه الدُّرةِ من تاريخِ قضاةِ الإسلام:

يُروى أن أبا القاسمِ بن حماس بن مروانَ بن سماكٍ الهمذاني من أكابرِ تلاميذِ سحنونَ المالكيِّ الشهيرِ، تولى حماسٌ هذا قضاءَ الجماعةِ في أواخر القرنِ الثالثِ الهجري، وفي فترةِ توليّه القضاءَ كان يحملُ بنفسهِ الماءَ لبيتهِ من الصهاريجِ العامةِ في قُلَّةٍ كبيرةٍ، وصادفَ أن رجلاً من أهلِ القيروان بنى عند بابه دكاناً فاعترضَ عليه جارُه قائلاً: إنك تُعَطِّلُ الطريقَ وتُضيّقُ على المارَّةِ، وتؤذي النساءَ في دخولِهن وخروجِهن، فذهبا إلى القاضي حماس، وكانا لا يعرفانهِ فلقياه في الطريقِ يحمل قُلَّةَ الماءَ إلى أهلهِ، فقالا له: أينَ القاضيْ؟ فقال: ماذا تريدان؟ قالا: نتحاكمُ إليه في خلافٍ بيننا. قال: تحاكما فثالثكمُا هو القاضي حماسُ. وأخذَ القلةَ الكبيرةَ ووضعها على رجلِه ولم يضعْها على الأرضِ فقال له صاحبُ الدكان: ولم لا تضعُ القلةَ على الأرضِ يرحمك الله؟ فقال القاضي: إنها كبيرةٌ وإنها تضايقُ المارةَ والطريقُ ليس ملكاً

لي فلا أُضَيِّق عليهم، قال صاحب الدكان: رحمَك اللهُ لقد قضيتَ في مسألِتنا، وانصرفا وهدمَ صاحبُ الدكانِ دكانَهُ.

إنهم قضاةٌ عدولٌ لا يطمعُ شريفٌ في حيفهم، ولا ييأسُ ضعيفٌ من عدلهم، القويُّ عندهم ضعيفٌ حتى يأخذوا الحقَّ منه، والضعيفُ عندهم قويٌّ حتى يأخذوا الحقَّ له.

أيها الإخوةُ: ومع كلِّ هذه النصاعةِ في السيرةِ وعلى الرغمِ من علو المرتبةِ والشرفِ، فمن المعلوم أن القضاة بشرٌ كسائرِ البشرِ لا يملكون الوقوفَ على خبايا النفوسِ، ولا يطلعونَ على خفايا الأمورِ، يتعرضون لمواقف حرجةٍ، وتفاجئهم فتنٌ مدلهمةٌ، تنطلق من أخصامٍ ذوي مشاعرَ سريعةِ التقلُّبِ، ودموعٍ تستدرُّ العطفَ، وقد يكونَ من هؤلاء كذابون محتالون، وقد يكون منهم أصحابُ نفوذٍ غاشمٍ، ينتصرون بالباطلِ ويصاولون بالعدوان، ويَحْجبُون بالمغالطاتِ والأكاذيب. هذه معاناة للقضاة شديدةٌ ـ أعانهم اللهُ وسدَّدهم، وألهمهم الإخلاص والصواب.

من أجلِ هذا فحقٌّ للقضاةِ أن يعانوا، وحقٌّ لهم أن تُهيأَ الأجواء المناسبةُ والظروفِ الملائمةُ في المكانِ والزمانِ، تُحْفظُ مكانتُهم، وتتأكَّد حصانتُهم، وتُعرفُ منزلتُهم، ويحمىٰ مقامُهم، فإنهم يمشون في مزالقَ وَعَرةٍ، ومسالكَ موحشةٍ، وحسبُ الموفقِ منهم أن يُرزقَ الجدَّ والإخلاصَ، وتحري الحقِّ، والبعدَ عن الحيفِ بأنواعه؛ حيفِ التقديرِ وحيفِ التعاملِ وحيفِ السماعِ وحيفِ العاطفةِ.

وبعد أيها الإخوة: فهذه إلماحاتُ لقضاءِ الشرع وقُضَاتِه، أما آن لصرعى ظلمِ القوانين الوضعيةِ وضحايا الإنحرافَات البشريةِ أن تلتمس أمنها وطهارةَ بيوتها وعِفةَ نسائها ونزاهةَ رجالها بتحكيم شرعِ اللهِ وتنصيبِ قضاةِ الشرع العدولِ ليبُسطَ لهم الأَمنُ ويَعمَّ ربوعَهم الرخاءُ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

القضاء والقضاة

الخطبة الثانية

الحمدُ لله على إحسانهِ، والشكر له على توفيقه وفضلهِ وامتنانهِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً تُبَلِّغُ المُبتغَىٰ من رضوانه، وأشهدُ أن سيدَّنا محمداً عبدُه ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأشادَ الملةَ حتى قام الدين على أركانهِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابهِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد فقد أخرجَ البخاريُّ ومسلمُ وغيرُهما من حديث أمِّ سلمةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ سمعَ خصومةً ببابِ حُجْرته فخرَجَ إليهم فقال: «**إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصمُ فلعلَّ بعضَكم أن يكون أبلغَ من بعضٍ، فأحسِبُ أنه صادقٌ فأقضي له بذلك فمنْ قضيتُ له بحقِ مسلمٍ فإنما هي قطعةٌ من النار فليأخذْها أو ليترُكْها**»(١).

أيها المسلمون: المتفردُ بالاطلاعِ على بواطنِ الأُمور وكشفِ مكنوناتِ الصدُّور هو الله وحدَه سبحانه.

فليتقِ الله الخصمان.

قد يكون أحدُهما قويَّ الحجةِ، بليغَ التأثيرِ، أقومَ قيلاً من صاحبه، وأقدرَ على توضيحِ حجتهِ، وجلاءِ الغامِضِ في قضيته،

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٣/ ١٨٤ـ ح٧١٨١)، ومسلم (٣/ ١٣٣٧ـ ح١٧١٣).

ذَرْبَ اللسانِ، بليغَ البيانِ، طويلَ المران. أما صاحبهُ فدونه في المحاجَّةِ، لا يقدِرُ على بيانٍ، ولا يفقَهُ الحوار، وقد يكون الحقُّ في جانبهِ، والصدقُ في عبارته، ولكنَّ عِيَّهُ وضعفَهُ سترَ معالِمَ حقِّهِ.

ثم يأتي من بعد هؤلاء منْ يقُومُ بمهمةِ الدفاعِ والمحاماةِ عن الخصمينِ أو أحدِهما، إن عليهم أن يتقوا الله ربَّهم، فلا يجادلونَ عن الذين يختانون أنفسهم. وليستعملوا علمَهم وبلاغَتَهم وقوة عارضَتِهم في نصرة الحقِّ، ودحضِ الباطلِ، في عبارةٍ سياجُها الأدبُ، متنزهون عن التشهيرِ بالخَصْم والثَّلْمِ في العِرْضِ.

وويلٌ لهم ثم ويلٌ لهم إن استحلُّوا حراماً، أو منعوا حقاً، الويلُ لهم إن عرفوا الحقَّ والحقيقةَ ثم لم يستجيبوا لها ولم ينقادوا لها. إنهم إن استطاعوا البراءةَ أمام القاضي فأنَّى لهم البراءةُ من أحكم الحاكمين: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النساء: ١٠٨، ١٠٩].

مواهب الرجال وحاجات الأمة
الخطبة الأولى

الحمدُ لله خلقَ الخلقَ وأحصاهم عدداً، وكلُّهم آتيه يومَ القيامةِ فرداً، رفعَ بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ليتخَّذَ بعضُهم بعضاً سُخْرياً، قدَّرَ بحكمتِهِ وعدلِهِ ورحمتِهِ وفضلِهِ ولا يظلمُ ربُّك أحداً.

أحمدُه سبحانهُ وأشكرُهُ وأتوبُ إليه وأستغفرُهُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له لم يتخذْ صاحبةً ولا ولداً، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُه، أعْظِمْ به رسولاً وأكْرِمْ به عبداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعينَ ومن تبعهم بإحسان ومن سار على الحقِّ واتَّبعَ الهُدى.

أما بعدُ: فأوصيكُم ـ أيها الناسُ ونفسي ـ بتقوىٰ اللهَ، فهي الوصيةُ الجامعةُ، والموعظةُ لأولي الألبابِ الموقظةُ النافعةُ.

أيها الإخوةُ الأحبَّةُ: المسلمُ الحقُّ يعرفُ ربَّه ويؤمنُ به إلهاً واحداً فرداً صمداً، يُقيمُ صِلتَهُ بربِّه على الخضوع والانقيادِ والسمعِ والطاعةِ، يؤمنُ برسالةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، يصدِّقُه فيما أخبرَ، ويطيعُهُ فيما أَمرَ، ويجتنبُ ما عنه نهى وزجرَ، يتعاونُ مع إخوانه في العقيدةِ في بناء مجتمعٍ مؤمنٍ يُقيمُ الصلاة ويؤتيْ الزكاة ويأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ ويحلُّ الطيباتِ ويحرمُ الخبائثَ.

يقومُ بالدعوة إلى اللهِ ونشرِ الحقِّ والخيرِ في آفاق الدنيا

بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ والجَدَلِ بالتي هي أحسنُ والجهادِ في سبيل اللهِ حياةً كلُّها مطبوعةٌ بمبادىء الإسلامِ وقواعدِه، مصبوغةٌ بأخلاقه وآدابه.

وإلى كلِّ هذا يتوجَّهُ النشاطُ الفرديُّ والجماعيُّ، في الحياةِ وفي المعاشِ لخدمة دين اللهِ وتحقيقِ غاياتِ الرسالةِ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وهي غاياتٌ وأهدافٌ لا يمكن أن يحققَها المسلمُ بمفردِهِ ولا جماعةٌ مسلمةٌ بمفردِها ولكنَّها مسئوليةُ المسلمين جميعاً أينما كان موقعُهم، وكيفما كانتْ اهتماماتُهم ومواهبُهم.

ومن أجل هذا ـ معاشرَ الإخوةِ ـ فإن كَدْحَ المسلمَ لربِّه ليس مقصوراً على المسجدِ وحدَه، ولكنه يتجاوزُه إلى الحقلِ والمصنعِ، والمتْجَرِ والمكتبِ، والبرِّ والبحرِ.

لقد خلق الله البشرَ معادنَ ومواهبَ، وطاقاتٍ وخصائصَ، فمن صلح لأمرٍ قد لا يصلحُ لآخرَ ومن سدَّ ثغراً لا يسدُّ كلَّ الثغورِ، ألا ترىٰ أن الجيشَ يحتاجُ إلى ميمنةٍ وميسرةٍ، ورجُلِ ساقةٍ، ورجلِ حراسةٍ، بل يحتاجُ إلى من يخلفُ المجاهدينَ في أهليهم: «**ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا**»[1].

هؤلاء هم صحبُ رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين. فيهم أبوبكر الخليفةُ الصديقُ، وعمرُ العبقريُّ الفاروقُ الذي لم يَفْرِ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٦/٥٨ ـ ح٢٨٤٣، ومسلم (٣/١٥٠٦ ـ ح١٨٩٥) واللفظ له.

أحدٌ فَرْيَهُ، وعثمانُ المنفقُ في سبيلِ اللهِ الذي لا عليه ما فعلَ بعد ما قدَّم وبذلَ، وعليٌّ ذو الرأي والشجاعةِ وحلِّ المعضلاتِ، ومعاذُ الفقيهُ، وأُبيٌّ القارىءُ، وأبوذرٍ صادقُ اللهجةِ الورِعُ الزاهدُ، وسيفُ اللهِ خالدٌ. كلٌّ قد علم رسولُ الله ﷺ موقعهُ وموهبَتَهُ وبلاءَه في دينِ اللهِ، وقلْ مثلَ ذلك في سلمانَ وعمارٍ وابنِ عباسٍ وابن مسعودٍ وصهيبٍ وبلالٍ وابن عمروٍ وابنِ عمرَ وأبي هريرةَ وأبي عبيدةَ وأصحابِ بدرٍ والشجرةِ ومن أنفقَ من قبلِ الفتح وبعدَه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠].

أيها المسلمون: إن الله سبحانه بحكمتهِ ورحمتهِ، وعدلهِ وفضلهِ، قد وزَّعَ بين الناسِ مواهبَهم في العلمِ والفكرِ، ونوَّعَ طرائقَهم في الخُلُقِ والسلوكِ، وعدَّدَ مهاراتِهم في العملِ والكسبِ.

والمسلكُ العدلُ والمنهجُ الأقومُ أن يُستفادَ من كلِّ مسلمٍ ذي موهبةٍ في موقعِهِ. والفضلُ بينهم بالتقوى وحسنِ العملِ.

فهذا عالمٌ ينشرُ علمَه، قد أخذَ على عاتقه إزالةَ غشاوةَ الجهلِ عن الناسِ وتبصيرهم بحقِّ الله عليهم، يرفعُ الله له بعلمهِ الدرجاتِ، وذلك محتسبٌ آمرٌ بالمعروفٌ ناهٍ عن المنكر أعطىٰ لذلك نفيسَ وقتِه وصرفَ عظيم جهدِه، وتحمَّل من أذى الناسِ ما تحمل.

وآخرُ قد رقَّ قلبه للأكبادِ الجائعةِ والبطونِ الخاويةِ فكان ينفقُ مما أتاه الله، أو يسعى بشدةِ ساقيه ليأخذ من الأغنياءِ أو يشرحَ

الحالَ لذوي الرأيِ والوجهاءِ.

وأولئكَ قد فُتِحَ لهم بابُ الجهادِ فهم يغنون فيه الغناءَ الواسعَ، ينتقلونَ من موقعٍ إلى موقعٍ، حاملين أرواحهم على أكُفِّهم، يبذلُونها رخيصةً في سبيلِ ٱللَّهِ ويُعِزُّون أهلَ الإسلام، وآخرون منهم سخَّرهم اللهُ لدعوةِ غير المسلمين فاهتموا بشؤن الجالياتِ وغير الجالياتِ، ورُزقوا الصبرَ ودماثةَ الخُلُقِ ووسائلَ البذلِ والتضحيةِ في الجهدِ والوقتِ والمالِ مما لا يَضيعُ أجره عند اللهِ.

وانظروا إلى ذلكم الذي قد وهبه اللهُ قلماً سيالاً ولساناً صادقاً فهو يصولُ ويجولُ في معارك فكريةٍ ومناقشاتٍ إسلاميةٍ شعراً، ونثراً، إذاعةً ونشراً، دفاعاً عن حياضِ الإسلامِ وساحاتهِ لينفيَ عنه الدخلاءَ ويكشفَ الأُجَراءَ.

ولا يغيبُ عن البالِ من رُزِقَ الصبرَ والاحتسابَ فجلسَ للناشئةِ الصغارِ يقضي زهرةَ شبابه وخلاصةَ عُمُرِه من أجل التَّنْشئةِ والتربيةِ يعلمُهم كتابَ اللهِ والنافعَ من العلومِ، تربيةً على الإسلامِ وفضائِله. ناهيكَ بالطبيبِ النِّطاسيِّ الذي قد برعَ في تخصصه فخفَّفَ بإذن اللهِ الآلاَمَ وواس الجروحَ وحفظَ على المسلمينَ عوراتِهم يعاونهُ إخوةٌ له فنيون مهرةٌ من الصيادلةِ والممرضين، سيماهم الصلاحُ، ومسلكُهم الحشمةُ والأدبُ، ورائدُهم البراعةُ الإخلاصُ.

وانظروا إلى من شرحَ الله صدورَهم فقاموا على الناس من أجل تيسير أمورِ الزواجِ ومكافحةِ مظاهرِ الإسرافِ، وقاموا في دعمِ الجمعياتِ الخيرية وهيئاتِ البرِّ والإغاثةِ.

ماذا يقال أيها الناس؟ إن هذه أنواعٌ من الحاجاتِ وألوانٌ من

المواهبِ مما لا يقعُ تحتَ حصرٍ كلُّها جهودٌ خيِّرةٌ ومسالكُ لازمة لا تستغني الأمةُ عن واحدٍ منها، فكيف بها مجتمعةً.

إنها دروبُ خيرٍ لايمكنُ أن يُتقنِها واحدٌ أو فئةٌ، ناهيكَ بأن يقوم بها فردٌ أو جماعةٌ.

إن هذه الحاجاتِ وأمثالَها مهما اختلفتْ مراتبُها وأَولوياتُها وبواعثُها ومناسباتُها فهي مطلوبةٌ للأمةِ في كلِّ وقتٍ.

ومن أجل هذا ـ وفقكم الله ـ فلا ينبغي الخوضُ والاشتغالُ بالبحثِ أيِّ السبلِ أفضلُ وأيُّها أولىٰ ولكن اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له.

عاتب رجلٌ الإمام مالكاً رحمهُ اللهُ لما رأى فيه من انصرافٍ كليٍّ إلى العلم، فأجابه مالك رحمه الله: (إن اللهَ قسمَ بين الناس الأعمالَ كما قسمَ بينهم الأرزاقَ فَرُبَّ رجلٍ فُتحَ له في الصلاةِ ولَم يُفتحْ له في الصَّومِ وآخرُ في الصدقةِ وآخرُ في الجهادِ[1] قال مالكٌ: فنشرُ العلم من أفضلِ أعمالِ البرِّ، ورضيتُ بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنتَ فيه، وأرجوا أن يكون كلانا على خيرٍ). اهـ.

واعلموا رحمكمُ الله أن عِظَمَ الأجرِ على قدرِ الإحسانِ في العملِ والإخلاص فيه، (عِظَمُ الفضلِ والمثوبةِ بَحَسبِ تفاضلِ أعمالِ القلوبِ لا بمجردِ أعمالِ الجوارحِ، وكم من عامِلَيْنِ

---

(١) أي في النوافل من هذه العبادات أما الصلوات المفروضة والزكاة الواجبة فهذه مفروضة فرض عين على كل من استكمل شرائط الوجوب.

أحدُهُما أكثرُ عملاً بجوارحهِ والآخرُ أرفعُ عند اللهِ في جنته) هكذا يقررُّ المسألةَ شمسُ الدين ابنُ القيم رحمه الله. وفي الحديثِ الصحيح: «**كلمتان خفيفتان على اللسانِ حبيبتانِ إلى الرحمنِ ثقيلتان في الميزانِ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[1].

فلا ينبغي ـ أصلح الله بالكم ـ الاشتغالُ بالمفاضلاتِ اشتغالاً يقودُ إلى التنافرِ واحتقارِ الطيِّبِ من الأعمالِ وانتقاصِ الصالحِ من الرجال.

إن هذا النوعَ من المفاضلاتِ والانتقاداتِ يولِّد التهوينَ والازدراءَ لأقوامٍ قائمينَ على ثغورٍ من ثغورِ الإسلامِ.

والأشدُّ والأنكى حين تَنْبُتُ الأثرةُ في النفوس وحبُّ الظهورِ ورغبةُ التفردِ ورذيلةُ الحسدِ، ومن ثمَّ يتوجهُ القصدُ إلى استرضاءِ الجماهيرِ واستكثارِ الأتباعِ.

إن تصحيح الأخطاءِ وتقويمَ الاعوجاجِ وإصلاحَ الأغلاطِ أمرٌ محمودٌ ومطلوبٌ، وما قامَ قائمُ النصيحةِ ولا سوقُ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ إلا من أجل هذا.

غير أن النقدَ الذي يعني تَتَبُّعَ العوراتِ وتلمُّسَ الهفواتِ وتحقيرَ الاهتماماتِ والتنكرَ للقدراتِ مسلكٌ مفسدٌ وتيارٌ مُغْرِقٌ، ومن تتبعَ عوراتِ الناسِ أفْسدهمُ.

ومن غير المبالغِ فيه ـ مع شديدِ الأسفِ ـ أن هذا النوعَ من

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٣/ ٥٤٧ ـ ح٧٥٦٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٢ ـ ح٢٦٩٤).

النقدِ والجدلِ أسهمَ كثيراً في صُنع هزائم الأئمةِ وذوبانِ قضاياها. فينضمُّ إلى كيدِ الأعداءِ خذلانُ الأصدقاءِ. إن الانهماكَ في هذا النوعِ من النقدِ، والخوضَ في تتبعِ الزلاتِ دليلٌ على فقدانِ الثقةِ، فترى هذا المنقوصَ يبحثُ عن عيوبِ الآخرين فإذا لم يجدْها اصطنعها واختلقها وتعسَّفَ التأويلاتِ من أجلِ اثباتِها. فاستغلق عنده العقلُ فلا يستوعبُ جديداً ولا يرضى مزيداً.

ولقد علمتم أن بخسَ الناس أشياءَهم، وتلمسَ أخطائِهم ومعايبِهم لايرفعُ خسيسةً ولا يقيمُ عوجاً ولا يخدم هدفاً، إذا فشا هذا المسلكُ افتقدَ المجتمعُ توازنَه، وضلَّتْ فيه فَئامٌ من الناس، وكأنَّ هذا المجتمعَ عندُهم قد انشَطَرَ إلى شَطْرين لا ثالث لهَما أنبياء معصومون وشياطينُ مدحورون.

أيها الناسُ: ما أَنْبلَه من شعورٍ أن تُثنيَ على من يستحقُّ الثناءَ، وتكشفَ جوانبَ فضلهِ وتعترفَ بمقدرتِه وجميلِ عملهِ وكبيرِ أثره وتستغفرَ الله لهُ فيما قد أخطأ فيه. وكم هو جميلٌ كذلك أن يدركَ الناسُ أن الخطأَ في البشرِ ليس بمعيبٍ، فهو لا يحطُّ قدراً، ولا يسلبُ فضيلةً، ولا يُخرجُ من جنةٍ إن كان من أهلها ولا يُدخل ناراً إن كان ليس من أهلها «**وكلُّ بني آدمَ خطاءٌ وخيرُ الخطائين التوابون**»[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له (٤/٥٦٨ ـ ح٢٤٩٩) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مَسْعَدة عن قتادة، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠ ـ ح٤٢٥١)، وأحمد (٣/١٩٨)، والحاكم (٤/ ٢٤٤) وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: فيه علي بن مسعدة لين الحديث.

والعبرةُ بكثرةِ الفضائلِ، وإذا بلغَ الماءُ قلتين لم يحملْ الخبثَ، فمن غلبتْ فضائِلهُ هفواتِهِ اغْتُفِرَ له ذلكَ، ورحمَ اللهُ الحافظَ ابنَ رجبٍ حيثُ يقولَ: (والمنصفُ من اغتفر قليلُ خطأِ المرءِ في كثيرِ صوابه).

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واحفظوا لكلِّ ذي فضلٍ فَضْلَه، واغفروا لذي الزلةِ زلتَهُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

[الزخرف: ٣١، ٣٢].

مواهب الرجال وحاجات الأمة

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمرَ، وأشكره على نعمه وآلائه وأسأله المزيد من فضله وكرمه وقد تأذَّن بالزيادةِ لمن شكر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلمُ ما ظهرَ وما استترَ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ البشرِ، الشافعُ المشفَّعُ في المحشرِ، اللهم صلِّ وسلِّمْ وباركْ على عبدِكَ ورسولك محمدٍ وعلى آله وأصحابه السادةِ الغررِ، والتابعين ومن تبعهم بأحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المسلمون اتقوا اللهَ حقَّ التقوى، واستمسكون من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا سخطَ الجبارِ فإنَّ أجسادكم على النارِ لا تقوى.

أيها الإخوةُ: لا ينبغي أن تكونَ حياةُ المسلمِ وبخاصةٍ أهل العلمِ والفضلِ والدعوةِ لا ينبغي أن تكون حياتهم مُسخَّرةً للنقدِ، وتَتَبُّعِ الأخطاءِ، فترىٰ المبتلىٰ بمثل هذا إذا حضرَ في لقاءٍ، وتحدَّثَ في منتدى، أو تصدَّرْ في جماعةٍ لا تكونُ كلماتهُ إلا سياطاً يُلْهِبُ بها نفوسَ السامعينَ، فلا ينفضون من عنده إلا وقد امتلأتْ رؤُوسهم، وشُحِنَتْ صدُورُهم، فلا يروْن إلا سوءاتٍ، ولا يسيرون إلا في عثراتٍ. ولكنَّ طريقَ الانصافِ أن يألفَ الناسُ حديثُ المحاسنِ، والثناءَ على المحسنين، وحفظَ حقوقِ الصابئينَ، وفتح أبوابِ الأملِ في دروبِ السالكين، فلا يعينوا

الشيطانَ على صاحبهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميةَ رحمه الله:

(ومن سلكَ طريقَ الاعتدالِ عظَّمَ من يستحقُّ التعظيمَ وأحبَّه ووالاه وأعطى الحقَّ حقَّه فيعظِّمُ الحقَّ ويرحمُ الخلقَ ويعلمُ أن الرجلَ الواحدَ تكون له حسناتٌ وسيئاتٌ فَيُحمْدُ ويُذَمُّ، ويثابُ ويُعاقبُ، ويُحَبُّ من وجهٍ ويُبْغَضُ من وجهٍ، هذا هو مذهبُ أهل السنة والجماعة).

ويقولُ الحافظُ الذهبيُ رحمه الله: (ونحبُّ السنةَ وأهلَها، ونحبُّ العالمَ على ما فيه من الاتباعِ والصفاتِ الحميدةِ ولا نُحبُّ ما ابتدعَ فيه بتأويلٍ سائغٍ وإنما العبرةُ بكثرة المحاسن).

أيها الإخوة: إن من أماراتِ النُّبْلِ والكرامةِ أن تُخالفَ امرءاً في رأيه أو تعارِضَه في وجهةِ نظرِه، ثم لا ينطويْ فُؤادُك إلا على محبتِه وتقديره واحترامه، وتأبىٰ كلَّ الإباءِ أن تجرْحه في شَخْصه أو تنالَ من قدرِه، فَنُبْلَكَ وحُسْنُ أرومَتِك[1] يوكدُ لكَ أنَّ الخلافَ في الرأي ليس طريقاً إلى النقصِ من أقدارِ الرِّجالِ، والحطِّ من مقامات الأفذاذِ والجحدِ لفضائلِ الكرامِ.

فاتقوا الله رحمكم الله وأحسنوا الظنَّ بإخوانكم وأصلحوا ذاتَ بينِكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

---

(١) الأرومة: الأصل.

حقوق الإنسان بين الواقع والمثال

الخطبة الأولى

الحمدِ لله فالقِ الحب والنوىٰ، المطَّلع على الضمير وما حوىٰ، رَشَد بفضلِه من رَشَد وغَوىٰ بعدلِه من غوَىٰ، وأشهد ألَا إله إلا اللهُ وحدُه لا شريكَ له يعلمُ السرَّ والنجوىٰ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسوله بلَّغَ الرسالةَ وأدىٰ الأمانةَ فما نطقَ عن الهوىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سار على نهجهم واهتدىٰ.

أما بعد فيا أيُّها الناسُ اتقوا اللهُ حق تقاتِه واعملوا بطاعتهِ ومرضاتِه.

أيها المسلمون: إن قدْرَ الإنسانِ عند اللهِ لعظيمٌ، وإن مكانتَهُ لرفيعةُ، فهو كريمٌ في الأرضِ كريم عند أهل السماءِ.

لقد نفخَ اللهُ فيه من روحِهِ، وجعله في الأرضِ خليفةً، وأسجدَ له ملائكتَه معترفةً بفضلِهِ وتميُّزِهِ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

بهذا التكريمِ الإلٰهي وبهذه النفخةِ الربانيةِ أصبح بشراً سوياً وعلى سائرِ المخلوقاتِ متميزاً.

وإن نقائِصَهُ وأخطاءَهُ لا تُهدر كرامتَهَ ولا تُلغِي مكانتَهُ، ولقد قالت الملائكةُ المقربون: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠]. فجاء الجوابُ من العليمُ الأعلىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠] بهذه النظرةِ، وعلى هذا التوجيهِ بدأتْ القافلةُ الإنسانيةُ تشقُّ طريقَها في هذه الحياةِ وتمارسُ مهمتَها في الخلافةِ.

فالبشرُ المنبثونَ في قارَّاتِ الدُّنيا أسرةٌ واحدةٌ وأصلٌ واحدٌ لامكانَ فيهم لتفاضلٍ في أساسِ الخِلقةِ ولا ألوانِها ولا لغاتِها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، «**كلكم لآدم وآدم من تراب...**»[1]، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ونظراً لما يصيبُ الإنسانَ من ضعفٍ ويتعرضُ له من مزالقَ فقد تعاهدَه ربُّه بمنِّهِ وفضلِه بإرسالِ الرسلِ إليه تترىٰ تدلُّهُ على الحقِّ وتهديه إلى سواءِ السبيلِ.

وحينما أشرقتْ الأرضُ بنورِ الإسلام في الجزيرةِ كان العالمُ فيها ومن حولِها قد عصفتْ به المظالمُ وأحاطتْ به الأرزاءُ والمغارمُ، وكرامةُ الإنسانِ في تلك الأصقاعِ وما وراءَها قد شوَّهَها الظلمُ والاستعبادُ. فجاء المسلمون بدينِهم ـ وبإذن ربِّهم ـ فكانوا هم القادرين على محو هذا المنكرِ ونشرِ الحقُّ والمعروفِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٣ ـ ح٣٢٧٠) وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٢/ ٣٦١، ٥٢٤) بلفظ «الناس بنو آدم وآدم من تراب»، وحسنه الألباني بلفظ «الناس ولد آدم، وآدم من تراب» وعزاه لطبقات ابن سعد (١/ ٥) في الصحيحة(١٠٠٩).

هم القادرون على بسطِ ألوان العدلِ والكرامةِ والخيرِ والفضيلةِ مما لم يكنْ معهوداً في أسلافِهم.

لم يكن خروجُهم غزواً متسلطاً ولم تكن فتوحاتُهم سلباً ولا اجتياحاً، ولكنَّه كان جهاداً ومجاهدةً، أثْمرَ السعادةَ للبلادِ المفتوحةِ قبلَ أن يُثمرَ الخيرَ للفاتحين. ولم تمض بُرهةٌ من الزمنِ حتى كان النابغون من الأجناس الأخرىٰ يتقدمونَ الصفوفَ ويؤمُّون في المحاريبِ ويعتلون المنَابرِ ويتسنَّمْون المناصبَ في القرىٰ والمدائنِ، وأبناء الفاتحينَ من تحتِهم آذانٌ صاغيةٌ ورعايا طائعةٌ. لقد تآخوا في دينِ اللهِ، اجتمعوا على صدقِ المودةِ، وتعاونوا على لأوىٰ العيشِ فلا يبغي قويٌ ولا يبخلُ غنيٌ، ولا يظلمُ ذو جاهٍ، وكلُّ مؤمنٍ لأخيه كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً، يحملونَ رسالةَ الحقُّ، انتفتْ عن عقولِهم الخرافةُ، وزال عن صدورِهم الغلُّ، وتطهرتْ نفوسُهم من الرذائِلِ. يرفضون الهوانَ وينشدون العزةَ.

هذه هي الحقيقةُ، وهذا هو التاريخُ وتلك هي مسيرةُ الإنسانيةِ فما حالُ الإنسانِ اليوم؟ ومن هو الإنسانُ الذي يشقىٰ عالمُ اليومِ المتحضرُ من أجلِ حقوقِه وينادي بكرامتِه ورفاهيتِه؟ وماهي الموازينُ لدىٰ المُنصَّبين على حقوقِ الإنسانِ من هيئاتٍ ومنظماتٍ ومجالسَ؟؟؟.

يعيبُون علينا ـ أهل الإسلامِ ـ تحكيمُ شرعِ ربِّنا، ويَنْبِزُوننا بتطبيقِ حدودِ اللهِ وحفظِ محارِمه. وهم يعلمون كما نعلمُ أن مبادئِهم وأنظمتَهم قد عجزتْ بتقدُّمِها وتقنيةِ وسائِلِها أن توقفَ سيلَ الإِجرام وإزهاقِ النفوسِ وتحفظَ حقوقَ الناسِ؟؟؟.

أمّا نحنُ في شريعتِنا وتطبيقِنا فإن لنا في القصاصِ حياةً، حياةٌ وأيُّ حياةٍ، حياةٌ أعمُ وأشملُ حياةٌ تشملُ المجتمعَ كلَّه في رحمةٍ واسعةٍ غير مقصورةٍ على شفقةٍ محدودةٍ نحو مُستضْعفٍ أو أرملةٍ أو طفلٍ، ولكنها رحمةٌ عامةٌ للقويِّ والضعيفِ، والفردِ والجماعةِ، والدولةِ والأمةِ، والقريبِ والبعيدِ.

وما الأمنُ والرخاءُ المبسوطان في هذه البلادِ ، وللهِ الحمدُ والفضلُ ـ إلا خيرُ شاهدٍ على صدقِ طريقنا وشدةِ قناعتِنا والإصرار في تَمسكنا واستمساكِنا،ولو عتبتْ علينا ـ أهلَ الإسلامِ ـ منظمةُ العفوِ الدوليةُ فعتبُها مردودٌ.

لماذا يُوجَّه اللومُ والغضبُ والاتهامُ إلى عالَم الضعفاءِ وفئاتِه ويُغضُّ الطرفُ عن عالَمِ الأقوياءِ وممارساتِه؛ قتلٌ وسرقةٌ وغصبٌ وخطفٌ وقذفٌ بالسوءِ، فلا ترىٰ إلا غضاً عن السَّوْءاتِ، وتهويناً من الجرائم، واعتذاراً عن الأخطاءِ، تُدفنُ القضايا، وتتلوَّنُ الحججُ ويُتعَسَّفُ في البراءَةِ، بل يتحولُ الظالمُ مظلوماً والطالبُ مطلوباً. أما الضعفاءُ فمتهمون بشراسةِ الطبعِ، وهمجيةِ السلوكِ، وسفكِ الدماءِ، وإهدارِ حقوقِ الإنسانِ.

اليهودُ في الأرضِ المحتلةِ، والصربُ في أرضِ البلقانِ والهندوسُ في كشميرَ ومجرمون آخرون في بلادٍ شتىٰ؛ كلُّهم يمارسون القتلَ والذبحَ والاغتصابَ والسفكَ والتصفياتِ العرقيةِ والدينيةِ وكلَّ ما هو محرمٌ انسانياً وحيوانياً، يمارسون ذلك ضدَّ المسلمين والضعفاءِ في طولِ الأرضِ وعرضِها لا لشيءٍ سوىٰ أنهم مسلمون وضعفاءُ.

يطالبون غيرُهم باحترامِ الإنسانِ وحقوقِه ويدْعُون إلى النهجِ الأمثلِ في التعاملِ ويتزعمونَ المؤتمراتِ الدوليةَ والمجالسَ العالميةَ رافعين الصوتَ باحترامِ حقوقِ الإنسانِ وتوفيرِ الرفاهيةِ للمجتمعِ وتحقيقِ الديمقراطياتِ في الحكمِ، هكذا ينادون ولكنهم يَعْمَوْن ويعجزون أن يروا ما يجري على أراضيهم من خطاباتٍ سياسيةٍ عنصريةٍ ضدَّ الأقلياتِ في ديارِهم والنازحين إليهم.

حقوقٌ مزيفةٌ ومباديءُ ملفقةٌ من خلال صورٍ كثيرةٍ من الديموقراطياتِ زائفةٍ تفترضُ في الحكوماتِ أحزاباً تلمتسُ المغانمُ لنفسِها، وتسوقُ المنافعَ لمؤيِّديْها، وتجرُّ المغارمَ على معارِضِيها، يغلبُ فيهم الساخطُ الناقدُ على الناصِح المساعدِ.

أين هذا من دينِ محمدٍ وشورىٰ محمدٍ وأصحابِ محمدٍ وأتباعِ محمدٍ ﷺ ورضي عن أصحابهِ وأتباعهِ؟؟؟.

إنها حقوقُهم وديموقراطياتُهم لا يقبلونَها إلا بمواصفاتٍ هم وضعُوها تتحقَّقُ من خلالِها مصالحُهم فإذا ما اهتزت المصالحُ أو خالف المسارُ أهواءَهم بحثوا عن كبشِ فداءٍ يُحَمِّلُونه أوزارَهم وضوائِقَهم الماليةَ وخساراتِهم الماديَّة وألصقوا به التهمِ ما شاءوا من التجاوزاتِ في حقوقِ الإنسان ومجافاتِ الديموقراطيةِ والبشاعةِ في الأحكام والوحشيةِ في التنفيذِ في مقولاتٍ ومصطلحاتٍ يصنفونَ بها سلوكياتِ الحكوماتِ والشعوبِ والأنظمةِ من غير قاعدةٍ ثابتةٍ أو ناموس واضح. ثم أنزلوا سَخَطَهم وأرعدُوا وزمجرُوا وملأوا أرجاءَ المعمورةِ ضجيجاً، وأَصَمُّوا الآذانَ عويلاً، وبهذا يتهربون من مسؤلياتِهم وفشلِهم وتناقضِهم في

تحقيقِ مبادئهم المعلنةِ. والهيئاتُ واللجانُ والمنظماتُ الدوليةُ والإقليميةُ تسبِّح بحمدهم وتباركُ.

الله ـ أيُّها المسلمون ـ كم تغلي قلوبُ الأعداءِ حقداً؟ وكم يَعضُّون الأناملَ غيظاً؟ يريدون قطعَ دابرَ الدين كي تخورَ القُوىٰ ويُتَّبعَ الهوىٰ وتَعمَّ البلوىٰ؟؟ يريدون ألا يَعزَّ إسلامٌ ولا يقوىٰ يقينٌ ولا يتمُّ تمكينٌ. يُصرِّون على تمزيقِ أهلِ الإسلام قُطعاناً في بقاعِ الأرضِ لا مرعىً يجودُ ولا راعٍ يذودُ ولا دولةٌ تُؤْوي، يعاملونَهم كما يعاملون الأرقاءَ ولا ينالونَ حقوقَهم إلا بطريقِ الاستجداءِ. وقد علموا أن المستجديْ يسألُ ولا يفاوضُ، ويقبلُ ولا يعارضُ؟؟؟.

وبعدُ أيُّها المسلمون: فيعادُ السؤالُ مرةً أخرىٰ: من هو الإنسانُ الذي يشقىٰ العالمُ المتحضرُ من أجل حقوقِهِ وينادي بكرامتهِ ورفاهيتِهِ؟ هل هو الإنسانُ المستقيمُ السويُّ الذي يرعىٰ الحقَّ ويجتنبُ الباطلَ؟؟ أم هو المجرمُ الأشرُ الذي لا يعرفُ حقاً ولا باطلاً عبدُ الدرهمِ والدينارِ ورقيقُ المصالحِ الشخصيةِ والإنانيةِ المستحكمةِ؟؟ ألا ساء ما يحكمونَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النساء: ٤٤، ٤٥].

حقوق الإنسان بين الواقع والمثال
الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، أحمدهُ سبحانهَ واشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، إلهُ الأولين والآخرين. وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوىٰ الله عز وجلَّ، اتقوه حقَّ تقاتهِ، اتقوه ما استطعتم، اتقوه وقولوا قولاً سديداً يصلحْ لكم أعمالكم ويغفرْ لكم ذنوبَكم ومن يطعِ اللهَ ورسولَه فقد فاز فوزاً عظيماً.

أيها المسلمون: إن الأعداءَ يظهرون تحضُّراً واستمساكاً بالمبادىء والمواثيقِ حين تَتحقَّقُ مصالِحَهم وتتأكدُ لهم الطمأنينةُ على رغباتِهم وأهدافِهم، ولو اختلَّ شيءٌ من ذلك لما حفظوا عهداً ولما التزموا بميثاقٍ، وإن لهم من البراعةِ في تفسيرِ النصوصِ والتواءِ العباراتِ والتلاعبِ بالمصطلحاتِ ما يوجدون فيه لأنفسِهم ألفَ مخرجٍ ومخرجاً ناهيكُم بما يُضْمرونَه في أنفسِهم من احتقارٍ لأبناءِ الشعوبِ الأخرىٰ. وإنكَ لترىٰ التمييزَ وذلك الاحتقارَ يتنفسُ بقوة من خلال المجالات السياسيةِ والميادينِ الإقتصادية

والتصنيفاتِ الإجتماعيةِ.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واستمسكوا بدينِكم واعتصموا بربّكم فربُّكم أعلمُ بمن هو أهدى سبيلا.

محنة أفغانستان (قل هو من عند أنفسكم)

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديهِ ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونعوذ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بشرَ وأنذرَ وبلغَّ البلاغ المبينَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فاتقوا اللهَ أيهُّا الناسُ، اتقوه يجعلْ لكم فرقاناً ويكفرْ عنكُم سيئاتِكم ويغفرْ لكم والله ذو الفضلِ العظيمِ.

أيها المسلمون: لقد دأبَ المربُّون والكاتبون والمتحدِّثون والواعظون حين حديثِهم عن المتردِّي من أوضاعِ المسلمين، والبائسِ من أحوالِهم، لقد دأبوا أن يُلقوا باللَّومِ والتَّبِعةِ على أعدائِهم. من عدوانٍ ومكرٍ وإيذاءٍ ودسائس، وهذا حقٌّ غيرُ منكورٍ، وشاهدُه في التاريخِ الماضي والحاضرِ مثبوتٌ غيرُ مجهولٍ، ولكنَّ الوقوفَ في محاسبةِ النفس، والدقةَ في التشخيصِ، والصدقَ في المعالجةِ ينقصُهُ كثَيرٌ من الرَّوِيَّةِ والمصارحةِ والاعترافِ.

وإن بين أيديكُم حدثاً كبيراً ووضعاً مؤرِّقاً يجبُ أن يكونَ

مناسَبَةً مناسِبَةً لمراجعةِ طريقةِ تفكيرِنا، وعلاجِ أمورِنا، وحلِّ قضايانا.

إنها صورةٌ من الصورِ الدالةِ في أوضح برهانٍ على أن في المسلمين أوبئةً كثيرةً وبلايا مستشرِيةً جاءَتهم من عندِ أنفسِهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وفي عتابٍ تربويٍّ قرآنيٍّ آخرَ: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

إن هذا الحدثَ ـ أيُّها الإخوةُ ـ وتلكَ الصورةَ هي الاقتتالُ الشائنُ والحربُ الطاحنةُ والبلاءُ المزمنُ والمدمنُ بين الأخوةُ في أفغانستان.

لقد كان المجاهدون في حربِ الأعداءِ نبراساً تَشْرَئِبُّ له الأعناقُ، ونوراً فتياً يهتدي به السائرون في آفاقٍ اشتدَّ ظلامُها، وأملاً في الخلاصِ لنفوسٍ كثيرةٍ تراكمتْ بَأْساؤُها، رجالٌ دافعوا عن دينِهم ونافحوا من أجلِ حقوقِهم، هم الرجالُ يَقْتلون في سبيلِ اللهِ ويُقتَلون، رفعوا من معنويةِ الأمةِ الثَّكلىٰ.

أيُّها الإخوةُ في أفغانستانَ: مُدَّتْ إليكم الأيدي من كلِّ بقاعِ الإسلامِ، فجاهدوا معكم بأموالِهم، وشاركوا في صفوفِكم متراصِّينَ معكم، فيهم من تعلمونَ ومن لا تعلمونَ من إخوانِكم العربِ والعجمِ، لقيَ ربَّه من لقيَهُ مع شهدائِكم في جبالِ أفغانَ وأوديتِها. انطَلقت الألسُنُ بالخطبِ، والأقلامُ بالمقالاتِ. وصدرتْ الفتاوىٰ، ونُظِمتْ الأشعارُ، وارتفعتْ الأيدي بالدعاءِ،

ونُصِرتُم في المحافلِ الدوليةِ وقُرَّت الأعينُ بدحرِ عدوِّكُم.

لقد حظيتُم بنصرِكم بثلاثِ مَيْزاتٍ لم تجتمعْ لشعبٍ مثلِكم في هذا العصرِ، إخراجُ العدوِّ من الديارِ، وعزيمةٌ لا تحدُّ، واستبشارٌ لأمةِ الإسلامِ في المشارقِ المغاربِ. فنصرُكم كان محسوباً نصراً لأمة الإسلامِ كلِّها، نصرٌ في المبادىءِ والمُثُلِ، ونصرٌ في إثباتِ الوجودِ، أثبَتَ جهادُكم أن البارجاتِ والمعاهداتِ، والمندوبينَ الساميِّن، والمبعوثين الدَّوْليِّين بضاعةٌ لا تزدهرُ إلا في أوحال المؤمراتِ، ومستنقعِ أشباه الرجالِ، ولكنها ورقةٌ خاسرةٌ في ساحةِ الجهادِ الخالصِ والإيمانِ الصادقِ والرؤيةِ المؤمنةِ. فهل تغيَّرَ الحالُ منكم وهل نبتتْ الأوحالُ والمستنقعاتُ فيكم؟؟.

نعم لقد دبَّ الخلافُ بينكمُ ولم يكن خلافَ رأيٍ ولا مقارعةَ حجةٍ بحجةٍ، ولكنه ـ مع الأسف ـ كان خلافَ عسكرٍ لجأ فيه كلُّ طرفٍ منكم إلى سلاحِه وعتادِه الملطخِ بدم الأعداءَ فارتدَّ ليدمِّرَ الدارَ وشامخَ البناءِ. إنها جُرأةٌ شنيعةٌ علَى أهلِكم وديارِكم وأبنائِكم.

أيها الشقيقةُ أفغانستانُ: هل النكبةُ من أبنائِك أشدُّ من النكبةِ على أيدي أعدائِك. خيبةٌ ساحقةٌ في القادةِ والأمنياتِ. كانت الأمنيةُ ديناً محفوظاً، وحكماً مستقراً، وتنميةً وصحةً، وإدارةً للبلادِ حسنةً بعد طولِ تِيْهٍ وتشرُّدٍ، ولكنَّ الأهواءَ السياسيةَ العارمةَ ذاتَ الرياحَ العاتيةِ عصفتْ بالنفوس قبل الجماداتِ.. أترىٰ الأعداءَ في أفغانستان شرَّدوا وقتَّلواَ وخرَّبوا والأبناءُ كذلك يفعلون.

الأعداءُ هدَموا المساجدَ ودكُّوا عالي المنائرَ أكذلك الأبناء يفعلون؟؟ لم يفرقْ الأعداءُ بين طفلٍ وامرأةٍ وأعزلَ أكذلك الأبناء يفعلون؟؟؟ قاتل الأعداءُ من أجل حزب على حسابِ أمةٍ وشعبٍ وكذلك الأبناءُ يفعلون؟؟؟.

كفى خزياً وخجلاً ومعرةً[1]. إن المحنةَ أقسىٰ، والألمَ أعظمُ حين يكونُ الظلمُ من ذوي القربىٰ، وأعظمُ وأعظمُ حين لا تكونُ القربىٰ قربىٰ نسبٍ ولكنها قربىٰ عقيدةٍ ودينٍ.

المؤمنون أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم، أما أن يشتدَّ بعضُهم على بعضٍ، ويضربُ بعضُهم رقابَ بعضٍ. فكيف الحالُ؟ ما هو التفسيرُ؟.

لقد أثخنتُّم الجراحَ بعد التئام، وأعظمتُم الفجيعةَ من بعدِ سكونٍ، ونكَّستُم الرؤوسَ من بعد رفعةٍ، ونقضتُم الغزلَ أنكاثاً من بعدِ قوةٍ؟؟؟ ألهبتُم صدورَ الأمةِ غيظاً، وجَرَّعتمُوها الموتَ أنفاساً، وأفسدتم أمرها بالعصيانِ والخذلانِ؟؟؟.

إن الأمةَ لم تندمْ على ما قدمتْهُ لكم من دعم في الأنفس والأموالِ والمواقفِ لأنها فعلتْ ذلكَ ابتغاءَ وجهِ اللهِ، ولسوفَ تفعلهُ في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ موقعٍ وكلَّما دعى الداعي. ولكنها تتأسَّفُ وتأسىٰ لما آلَ إليه حالُكم. ألا تتقون اللهَ في أنفسكم؟؟؟ ألا تتقون اللهَ في أهليكم وديارِكم وذراريكم؟؟؟ ألا تتقون الله في أمتكم المسلمة؟؟؟ واللهِ إنها لتهتزُ مع كلِّ طلقةِ مدفعٍ،

---

(١) المعرة: الإثم والمساءة.

وإنها لترتعشُ مع كلِّ غارةٍ طائرةٍ. وتهيمُ على وجهها في كلِّ لحظةٍ مع أطفالِكم ونسائِكم ومشرديكم؟؟؟.

يا إخوتَنا يا أحبَّتنا. أجيبوا داعي الشرعِ، فدولتُكم مسلمةٌ. احذروا البغيَ والخروجَ على من وليتمُوه أمرَكم فتلك مصيبةٌ لدينِ اللهِ حالقةٌ. اجعلوا للصلح موضعاً، احذروا شقَّ العصا فعاقبةُ ذلك وخيمةٌ واللهِ وخيمةٌ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

هذا هو الخطاب للإخوة في أفغانستان.

أما الخطابُ للأعداءِ والشامتين والذين في قلوبِهم مرضٌ فليعلموا أن المسلمين يفقهون سننَ الله في التاريخِ والأممِ، وحكمتَهُ في البلاءِ والامتحانِ. الاقتتالُ كرهٌ لنا، ووقوعُه مبغوضٌ عندنا، لا نطلبُه ولا نتمناه في غير سبيلِ اللهِ، وندرؤه ما استطعنا، ولكنَّ قدرَ الله وحكمتَه في الابتلاءِ لابدَّ واقعٌ، وأمرَهُ لابدَّ بالغٌ، فقد اقتتلَ الأعداءُ والأصدقاءُ، والصالحون والطالحون، وفي الماضين من أسلافِنا الأخيارِ معتبرٌ، فالطوائفُ من أهلِ الإيمانِ قد يقتتلون: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد: ٢٣]. كما اقتتل الرفاقُ[1] من غير أهلِ الإيمانِ، وصفّىٰ بعضُهم بعضاً قتلاً وسجناً وطرداً. والمسلمُ يعرفُ سننَ اللهِ في

(١) الرفاق: مصطلح يتداولوه الشيوعيون يصف به بعضهم بعضا. والمراد أن الشيوعيون جرت مقتلات عظيمة فيما بينهم من أجل الكراسي والمناصب وكذلك الأحزاب والفئات والطوائف الأخرىٰ.

الثباتِ والتغيير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا﴾ [الرعد: ١١]، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

والمعركةُ الإيمانيةُ ليست معركةَ سلاحٍ وخيلٍ ورجالٍ فحسْبُ، ولكنها معركةٌ كبرىٰ في عالمِ النفسِ والقلبِ والضميرِ في إخلاصٍ وتجردٍ وحسن سيرةٍ وسلوكٍ. إنه تعبئةٌ كاملةٌ من أجلِ الانتصارِ الأكبرِ. النفسُ المؤمنةُ لا تنتصرُ في معركةِ الحربِ والطِّعانِ إلاَّ حين تنتصرُ في معركةِ الإيمانِ والخُلقُ والنظامُ في طهرٍ نفسي ونقاءٍ قلبيٍ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥].

والذين انتصروا في معاركِ العقيدةِ وراءَ أنبيائِهم هم الذين دخلوا المعركةَ وبدأوها بالاستغفار من الذنوبِ وصدقِ الالتجاءِ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

وقد يغلبُ المبطلون الذين يرفعون رايةَ الباطلِ صريحةً في بعضِ المواطنِ والمعاركِ لحكمةٍ يعلمُها اللهُ، أما الذين يرفعون رايةَ العقيدةِ ولا يخلصون لها فلا يمنحون النصرَ حتى يبتليَهم ربُّهم فيتمحصوا ويتمحضوا: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. في صفوفِ المؤمنين طوائفُ قد أهمتْهُم أنفسُهم فهي محورُ تفكيرِهم، ومحلُّ اهتمامِهم ومرتكزُ

انشغالِهم، لم يملأْ الإيمانُ قلوبَهم، ولم تنشرحْ بنوره صدورُهم،هم في قلقٍ وتأرجُح على المستقبلِ ومن المستقبلِ: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران:١٥٤] فكأنهم لا يعرفون اللهَ حقَّ المعرفةِ: ﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ، فنفوسُهم ملأىٰ بالوساوس والهواجس، حافلةٌ بالاعتراضاتِ والاحتجاجاتِ، قد شحنت أَفئدتُهم بهذاَ السؤالِ: ﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؟؟.

أيُّها الإخوةُ: هذه نظرةُ المسلم، وهذا هو تفسيرُ الأحداثِ والوقائعِ، والله غالبٌ على أمرِه ولكنَ أكثرَ الناسِ لا يعلمون.

محنة الأفغان (قل هو من عند أنفسكم)

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له له الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالهدىٰ، صلى اللهُ وسلم وباركَ عليه وعلى آله وصحبهِ والتابعينَ ومن سار على نهجِهم واقتفىٰ.

أما بعدُ فاتقوا الله أيُّها الناسُ، اتقوه حقَّ التقوىٰ، اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربِّكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

أيُّها الإخوةُ: بلادُ الحرمينِ الشريفينِ بقيادِتها وشعبِها وعلمائِها وشبابِها واكبتْ الجهادَ الأفغانيَّ من أولِ مراحلِهِ، وسارتْ معه حيثُ سارَ، شاركتْهُ بالمالِ والنفسِ واللسانِ والقلبِ والقلمِ، أيدتْه في المواقف ونصرَتْهُ في المحافلِ وشاركها في ذلك دولٌ إسلاميةٌ وشعوبها من حين دبَّ الخلافُ ولم تزلْ الجهودُ تُبْذَلُ والمساعيَ تتوالى في إخراجِ الإخوة من تلكَ السراديبِ والمتاهاتِ، فالوفودُ إليهم تتابَعُ، ونداءاتُ النصحِ والصلحِ تتعالىٰ، وخطاباتُ التوجيهِ مع المبعوثين تتراسلُ.

أيُّها الإخوةُ القادةُ في أفغانستانَ: أجيبوا داعيَ الصلح حكِّموا أهلَ العلم والرأيِ من المسلمين. اتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينكِم وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

لاتكترثوا بالكلماتِ الخَطابيَّةِ الجوفاءِ التى جلبْتها الدبلوماسيةُ المعاصرةُ، وزرعتْها المخالطاتُ الرسميةُ المتكلفةُ، فشوهتْ الأخلاقَ، ومسختْ الصورَ، بل إن منها ما يحلِقُ الدينَ ويفسدُ الرأيَ. انظروا إلى المستقبلِ بأعينكِم الإسلاميةِ لا بأعينِ غيرِكم. اقرأوا التاريخَ بثقافةٍ شرعيةٍ وقلوبٍ متدينةٍ، احذروا تفسيراتِ الكافرين، وتحليلاتِ المُغرضِين من الإعلاميِّينَ والإخباريِّينَ، أنتم بإسلامِكم وقرآنكِم أدرىٰ بسننِ اللهِ في الأولين والآخرين، والمخلصينَ والمنافقين.

بارَكَ اللهُ في الجهودِ وسدَّدَ الخُطىٰ هدىً إلى الحق.

الأفغان بين التنازع وقطف ثمار الجهاد

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينهُ ونستغفرُه ونستهديْه، ونُؤمنُ به ونتوكَّلُ عليه، ونُثْني عليه الخير كلَّهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له. يهدي بفضلِه إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم. وأشْهدُ أنَّ سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه جَعَلنا على المَحجةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله أيُّها المسلمون. فبتقوى ربِّكم تزكوا الأعمالُ، وتُنالُ الدرجاتُ. ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الأعراف:٣]. وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

أيها المسلمون: رمضانُ شهرُ الله. شهرُ القرآنِ والفرقانِ. شهرُ القُرْبِ والقُرَبِ. شهرُ الجهادِ والمجاهدةِ، والصبرِ المصابرةِ. فيما صامَه نبيُّنا محمدٌ ﷺ من رمضاناتٍ كانت تُبعثُ السرايا، وتُجهَّزُ الجيوشُ، وتُدارُ المعاركُ، وتستقبلُ الوفودُ. الدعوةُ إلى اللهِ فيه قائمةٌ، وبعوثُ الإسلامِ تنطلقُ في أرضِ الله ناشرةً دينَ اللهِ. مناصرةً للضعفاءَ من عبادِ الله.

في رمضانَ هُدِّمتْ أصنامٌ لأهل الجاهلية عُظمىٰ، هُدِمتْ اللاتُ

وسواعُ، ومناةُ الثالثةُ الأخرىٰ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧] هُدِمَ مسجدُهم هذا في رمضان.

ومن الوفودِ التي تفدُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ في طيبةَ الطيبةِ معلنةً إيمانَها وولاءَها منها وفودٌ في رمضان.

إنه رمضانُ الإيمانُ والقوةِ ورمضانُ الدعوةِ والأملِ. دروسٌ رمضانيةٌ يقفُ عندها المسلمُ من أجلِ المحاسبةِ، وتصحيحِ المسارِ، وتثبيتِ الأقدامِ على هدْي كتابِ اللهِ عز وجلَّ وسنةِ رسولِه محمدٍ ﷺ.

أيها الأحبة: يَسْترجعُ المسلمُ هذه الأحداثَ الرمضانيةَ وأَمثالَها فيحدوهُ الأملُ، ويستحثُّهُ الشوقُ إلى تجديدِ عهد قوةِ الإسلامِ ليرىٰ عزَّ الأمة ونَصرَها كما نُصِرَ ومُكِّنَ لسلفِها.

وفي رمضانِكم هذا من عامكم هذا[1] توجهتْ أنظارُ الأُمةِ إلى جهودٍ كريمةٍ تُبْذَلُ، ومحاولاتٍ ومحاوراتٍ جادةٍ تُدارُ. نَهضتْ بها بلادُ الحرمينِ الشريفينِ. قلبُ ديارِ الإسلام وقبلتُها، ومَأرِزُ الإيمان فيها. تولتها قيادتُها الكريمة وآزرتْها في ذَلك دولةٌ إسلاميةٌ شقيقةٌ باكستانُ المسلمةُ.

أيها الإخوةُ: بلادُ الحرمينِ الشريفينِ بقيادتِها وشعبِها، وعلمائِها وشبابِها، واكبتْ الجهادَ الأفغانيَّ من أولِ مراحلِهِ،

---

(١) عام ثلاث عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة.

وسارتْ معَهُ حيثُ سارَ شاركتْهُ بالمالِ والنفسِ، واللسانِ والقلبِ. أيدتْهُ في المواقفِ، ونصرتْهُ في المحافِلِ. ورفعتْ أكُفَّها ضارعةً إلى مولاها طالبةَ المددَ والنصرَ، والتأييدَ والتمكينَ. وبعدَ دحرِ العدوانِ، وخروجِ الغاصبينَ من أفغانستانَ، وحينَ حانَ قَطَافُ ثمارِ النصرِ. دبَّ بينَ الإِخْوةِ من الخلافِ مادَبَّ، وحصلَ بينَهمْ من التنازعِ ما حصلَ، ودخلوا في أحوالٍ عصيبةٍ، وسراديبَ مظلمةٍ، وضاقتْ نفوسْ المؤمنينَ. وكان أهلُ هذه البلادِ وقيادتُها ممن ضاقَ بهذا الأمرِ ذرعاً. فجدَّتْ وسَعتْ ـ بتدَيُّنِها لربِّها ومن موقعِ مسؤلياتِها ـ سعتْ وجدَّتْ في إخراجِ الإخوةِ من تلك السراديبِ والمتاهاتِ فكانتْ الوفودُ إليهم تتوالىٰ، ونداءاتُ النصحِ تتعالى، وخطاباتُ التوجيهِ تتراسَلُ.

ومع الإصرارِ والمتابعةِ، وحسنِ النيةِ بإذن الله حصلَ هذا الاجتماعُ وأثمر ذلك الاتفاقُ. باركَ اللهُ في الجهودِ وسدَّد الخطىٰ وأصلحَ القلوبَ والأعمالَ.

لقد اجتمعَ لذلك شرفُ الزمانِ وشرفُ المكانِ. أمَّا الزمانُ فرمضانُ المعظمُ في موافقاتِ بدرِ الفرقانِ. وأما المكانُ فمكانُ الفتحِ مكةُ المكرمةُ أقدسُ بقعةٍ وأطهرُ أرْضٍ.

أيُّها الإخوة الأفغانُ: مُدَّتْ إليكم الأَيدي من كلِّ بقاع الإسلام. فجاهَدُوا معكُم بأموالِهم، وشاركُوا في صفُوفِكم متراصِّيَنَ معكُمْ فيهم منْ تعلمون، وفيهم من لا تعلمون من إخوانكم العربِ والعجمِ. لقيَّ ربَّهُ من لقيه مع شهدائِكم في جبالِ أفغانَ وأوديتِها. وأُطْلِقَتْ الألسنُ بالخطبِ والمقالاتِ، وصدَرتْ الفتاوىٰ، ونُظِمَتْ الأشعارُ، وارتفعتْ الأيدي بالدعاءِ، ولقدْ أبْلَيْتُم وأبْلَوا في ذلك

الجهادِ بلاءً حسناً، وقرَّتْ الأعينُ بدحرِ عدوِّكم، ثم ظهرَ منْكُم من يريدُ الدنيا ومنكُم من يريدُ الآخرةَ ثم صرفكُم عنْهم ليْبتَليَكم.

ألا تلتمسون عفوَ اللهِ لعلَّ اللهَ أن يعفُو عنَّا وعنكم؟؟ أنسيتُم أنكم أثبتُم بجهادِكُم أن البارجاتِ والمعاهداتِ والمندوبينِ الساميِّينَ والمبعوثينَ الدوليِّينَ بضاعةٌ لا تزدهرُ إلا في أوحالِ المؤمراتِ، ومستنقع أشباه الرِّجالِ ولكنَّها ورقةٌ خاسرةٌ في ساحةِ الجهادِ الخالصِ، والإيمانِ الصادقِ، والرؤيةِ الواضحةِ؟؟.

أيها الإخوةُ والقادةُ: أغْلىٰ ما يملكُه المسلمُ في هذه الحياةِ بعدَ الإيمانِ باللهِ عقدُ الإخوةِ في اللهِ. رابطةُ القومِ الذين تحبُّهم في اللهِ الذين تعاهدتَ معهم على نصرةِ دينِ اللهِ.

إخاءٌ تغذيْه شعبُ الإيمان وتُنميْهِ في السراءِ والضراءِ مراحلُ الجهادِ في سبيلِ اللهِ.

ولقد علمتُم وجربتُم أن تعكيرَ صفوِ هذه الأخوة يبدأُ بهناتٍ صغيرةٍ، وهزاتٍ خفيفةٍ.. يتوالىٰ النَّفْخُ فيها مقروناً بتطلعاتٍ سياسيةٍ، ومآربَ شخصيةٍ، واغراءاتٍ دنيويةٍ حتى إذا ما نفرتْ القلوبُ، وضاقتْ الصدورُ... ازدادَ الشقُّ.. فانتَفَخَتْ الأوداجُ، واحمرَّتْ الأعينُ فثارَ النِّزاعُ وسالتْ الدماءُ، وحينئذٍ تفشلونَ وتذهبُ ريحكُم.

أيها الإخوةُ الأفغانُ أيها الأخوةُ الصوماليونُ أيها المسلمون في كلِّ مكان: أنتم خيرُ من يعلمُ أن بوادرِ الفرقةِ إذا نجمتْ وأطَّلتْ برأسِها رأيتَ المتربصينَ والانتهازيِّينَ يلتفُّونَ مع أوَّلِ متمرِّدٍ، ويتقوقعون حول أوَّلِ شاذٍ.

أيها الإخوةُ: من أجل اتفاقٍ دائمٍ وتلاحمٍ أقوىٰ اجتنبوا كثرة العتابِ وابتعدوا عن الجدلِ والمماراةِ. احذروا إظهارَ التعاليَ والتمايزَ، وتعدادَ المكاسبِ والخسائرِ، عليكم بدفنِ الممارساتِ السلبية التي ظهرتْ في الساحةِ. تجنبوا الحديثَ عنها وعن آثارِها، فإن هذا يُذكيْ نارَ الفتنِ. الزموا القولَ الحسنَ في جميعَ الأحوالِ. لا تذكروا أنفسَكم إلا بخيرٍ، واحفظوا لإخوانكم غَيْبَتَهم. وابتعدوا عن أساليبِ التعريضِ والتلميحِ والتلويحِ ذاتِ الدلالاتِ السلبيةِ. وبخاصةٍ في مثل ظروفكم هذه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

لا تكترثوا بالكلماتِ الخطابيةِ الجوفاءِ التي جلبتها الدبلوماسيةُ المعاصرةُ، وزرعتْها المخالطاتُ الرسميةُ المتكلّفةُ، فشوهتْ الأخلاقَ، ومسختْ الصورَ، بل إن منها ما يحلِقُ الدينَ ويُفسدُ الرأيَ.

أيها الإخوةُ الأحبةُ: إن اختلافَ الأفهام وتباينَ الآراءِ من سننِ اللهِ في الحياةِ، ولايمكنُ أن يكونَ هذا الاختلافُ بمجرِّده.. سبباً للتقاطعِ والشقاقِ أبداً أبداً. ولكن تأكّدوا ـ يارعاكم اللهُ ـ أن سببَ الشقاقِ إنما هو بانضمامِ عواملَ أخرىٰ من البغيْ والهوىٰ، والتطلعِ إلى المطامعِ والمراتبِ إنهم أصحابُ النفوس المريضةِ الذين يستغلّونَ تباينَ الأنظارِ، واختلافَ الأفكارِ للتنّفيس عن أهوائِهم الباطنةِ وغاياتِهم المدخولةِ. ومن ثَمَّ ينقلبُ الحوارُ إلى ضربٍ من العنادِ والجدلِ العقيمِ.

إن دينكم قد أعطىٰ للخلافِ في وجهاتِ النظرِ مقاماً كريماً، نعمْ لقد أعطىٰ للعقولِ فسحةً واسعةً في الفهمِ، حتى أعطىٰ المخطىء بعضاً من نصيبِ المصيبِ فللمصيبِ أجرانِ وللمخطىء أجرٌ.

حقاً إن الدينَ قد وسِعَ الجميعَ في كنفه الرَّحبِ ماداموا مخلصينَ في طلبِ الحقِّ جادِّينَ في معرفتهِ، باذلينَ الوسعَ في الوصولِ إليهِ. لماذا تضيقُ عقولُكم بما وسعهُ دينكم؟ ولِمَ القسوةُ والجفاءُ فيما وسَّع الدين أمرَه ودائرتَه؟.

أيها القادةُ: انظروا إلى المستقبلِ بأعينِكم الإسلاميةِ لا باعينِ غيرِكُم. اقرأوا التاريخَ بثقافتِكم الشرعيةِ وقلوبِكُم المتدينةِ. احذروا تفسيراتِ الكافرينَ وتحليلاتِ المغْرضين من الإعلاميين والإخباريِّين.

إنكم بإسلامكم وقرآنكم أدرىٰ بسنن اللهِ في الأوَّلين والآخرين والمخلصين والمنافقين.

لا تقرأوا أو تسمعوا بعقولِ صنعها التنصيرُ واستعبدها الغربُ احذروا المستغربينَ كما تحذرون المستشرقين.

أيها الإخوةُ المسلمون: إن الناسَ إذا لم يجمعْهم الحقُّ، فرقهم الباطلُ. إذا لم توحدهم عبادةُ الرحمنِ، فرقتهم عبادة الأهواءِ والشيطانِ. إذا لم يصدقُوا في رجاءِ نعيم الآخرةِ تقاتلوا على متاع الدنيا. وإن دوران المعاركِ وتطاحنَهاَ من أجل حطامِ الدنياَ ومتاعِها من مسالك الكافرينِ والجاهليةِ الظلماءِ «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضكم رقاب بعض**»[1].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١/ ٢٦٢ ـ ح١٢١)، ومسلم (١/ ٨١ ـ ح٦٥).

وإن من أصول البيعة للأئمة السمعَ والطاعةَ في العسرِ واليسرِ والمنشطِ والمكرهِ وتحمُّل الأثرةِ. نعم من لقيَ أثرةً فليصبرْ. إن المرءَ الصالحَ لا يكترثُ لفقدانِ حظٍّ من الدنيا. إنه لو انتُقصَ في إسنادِ منصبٍ أو بُخسَ في تقديرِ مُرَتبٍ لا يملأُ الآفاقَ صياحاً وشغباً فإن الغضبَ على هذا النحوِ الشائنِ شيمةُ منافقةٌ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٨، ٥٩].

ألا فاتقوا الله جميعاً رحمكم الله فخيرُ الزادِ التقوىٰ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١].

الأفغان بين التنازع وقطف ثمار الجهاد

الخطبة الثانية

الحمد للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدُه لا شريك له له الحمدُ في الآخرةُ والأولىٰ. وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه المبعوثُ بالهدى صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياءِ وأصحابه النجباءِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واهتدىٰ.

أما بعد فاتقوا الله عباد الله.

أيها المسلمون: إن في الأمةِ من المآسي والقضايا ما يَنْدىٰ له الجبينُ ويتفَّطرُ له الفؤادُ.

إن ما تعيشُه الأمةُ من تمزقٍ وتشتتٍ وتقطيعٍ وتفرقٍ وإن تداعى أكلةَ القصعةِ ونشوبَ الأنيابِ والأظفارِ في جسدِ الأمةِ يُحتِّمُ أن تتحدَ القياداتُ المخلصةُ لتطويقِ هذه القضايا وإخراج الأمة من محنتها.

وإن هاتين الدولتين الكريمتين المملكة العربية السعودية وجمهورية باكستان المسلمة بِثقَلِهما السياسيِّ ووزنِهما الاقتصاديِّ، وموقِعهما الاستراتيجيِّ، وقاعدتِهما السكانيةِ الكثيفةِ الصلبةِ وقبل ذلكَ وبعدهُ عقيدتُهما الإسلاميةُ المتدفقةُ إن كلَّ ذلك ـ بإذن الله ـ قادرٌ على إيقافِ تيارِ المآسي في هذه الأمةِ إذا هو وُظِّفَ وَوَجِّهَ. ناهيكَ لو انضمَّتْ لها دولٌ إسلاميةٌ عزيزةٌ، وتوحَّدَ

التوجُّهُ وجدَّتْ المطالبةُ إنهم بإذن الله قادرون على حمايةِ مسلمي البوسنةِ والهرسكِ، قادرونَ بإذن الله على ايقافِ المذابح الظالمةِ في الهندِ وكشميرِ، قادرون بإذن الله على مصالحةٍ مماثلةٍ في الصومالِ وغير الصومالِ مع سد رمقِ الجائعِ وكسوةِ العاريْ وعلاجِ المريضِ وتعليمِ الجاهلِ.

قادرونَ على ترميم جسدِ الأمةِ ورسم توجُّهٍ صادقٍ يوثِّقْ التلاحمَ بين القمةِ والقاعدةِ على أسسٍ من دينِ اللهِ ومصلحةِ الأمة الخالصةِ البعيدةِ عن تجاذُبِ التياراتِ، وتباينِ التوجهاتِ. مصلحةٌ خالصةٌ صادقةٌ لبُّها العقيدةُ وسياجُها حكمُ الشريعةِ. إنهم لذلكَ فاعلونَ إن شاء اللهُ. وكفى بربِّك هادياً ونصيراً.

المسلمون وقضية فلسطين
الخطبة الأولى

الحمد للهِ معزٍّ من أطاعهُ واتقاه، ومذلٍّ من خالفَ أمرَه وعصاه، لايَذِلُّ من والاه ولا يعزُّ من عاداه، ينصرُ من ينصرُه ويغضبُ لغضبِه ويرضىٰ لرضاه. أحمده سبحانه واشكره حمداً وشكراً يملآن أرضه وسماه، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه ومصطفاه. السعيدُ المنصورُ من اقتفى أثَرهُ واتبع هداه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وكلِّ من نصره ووالاه.

أما بعدُ: فاتقوا اللهَ أيها الناسُ فتقوىٰ اللهِ عروةٌ مالها انفصامٌ، ونورٌ تَستضِيءُ بها القلوبُ والأفهامُ.

أيها الإخوة: في مرور الأيامِ وتعاقبِ الأعوامِ وتراكُمِ الأحداثِ، يزدادُ سجلُّ التاريخ صفحَةً من بعدِ صفحةٍ، وفي مثلِ هذا يحسُنُ التأملُ ويلزمُ التدبُّرُ. هل انجلتْ غواشيْ الغفلةِ عن العيونِ السادرةِ؟ هل اجتمعتْ القلوبُ المتنافرةُ؟ هل ملَّتْ النفوسُ الحديثَ عن الأمالِ والبشائرِ.

أيها الإخوةُ: لقد تكاثرتْ نكباتُ الأُمَّةِ، وتوالتْ عليها الأحدَاثُ والغِيَرُ، وتفتَّقتْ فيها الجروحُ.

ولعمرُ الحقِّ إن هذا مظهرٌ من مظاهرِ الهوانِ في كثيرٍ من أجزائِها، وأرجائِها ولا تزالُ الأمةُ تُبتلىٰ بأحداثٍ وقضايا حتى

يُنسي آخرُها أوَّلَها، ويُغطِّي حديثُها على قديمِها، ياترىٰ ما هي أوضاعُ المبعدينْ[1] ؟ وماهي أنباءُ الانتفاضة[2] ؟ وماهي أخبارُ إخوانِنا في الهند؟ وماهي أحوال الصامدين في كشمير والمنكوبين في البوسنة والهرسك والصابرين في الفلبين؟ إنها تَتَلَهَّىٰ بالجديدِ من غيرِ عملٍ، وتتأوَّه وتتأسَّف على الحاضر من غيرِ فعلٍ.

أيها الإخوةُ: وهذا حديثُ مراجعةٍ عن القضيةِ الأُولى وإعادةِ تقويمٍ للمسارِ فقضايانا متشابهةٌ وعلاجُها واحدٌ.

أيها الإخوة: لم يسجْل التاريخُ قضيةً تجَّمعتْ فيها الأحقادُ العالميةُ، وبرزتُ فيها المتناقضاتُ الدوليةُ، وتجلى فيها التلاعبُ، بالمصطلحاتِ اللفظيةِ والعبثُ بالعباراتِ الوثائقيةِ مثلَما سجَّلَ في قضيةِ فلسطينَ المسلمةِ وقدسِها المقدسةِ، جاءتْ قضايا المسلمين بعدَها على شاكلتِها، الإلحادُ تآزر مع الصليبية، والشيوعيةُ في حينها تضامنتْ مع الرأسماليةِ، والشرقُ تآمرَ مع الغربِ، تألفتْ منها جميعاً حلقاتُ البغيِ المعلنِ والكيدِ المبَّطنِ.

---

(١) المبعدون: مجموعة من الشباب الفلسطيني قرابة ثلاثمائة فرد أظهروا مقاومة عنيفة للاحتلال اليهودي وكان لهم تأثيرنفاذ في داخل فلسطين المحتلة مما كان من حكومة اليهود إلا أن أبعدتهم إلى منطقة تسمىٰ مرج الزهور بين لبنان وشمال فلسطين المحتلة في الشهر السادس من عام ١٤١٣هـ الموافق الشهر الثاني عشر من عام ١٩٩٢م واستمر الابعاد حوالي سنتين.

(٢) الانتفاضة: حركة جهادية كفاحية في فلسطين المحتلة انطلقت في الشهر الرابع من عام ١٤٠٨هـ الموافق نهاية عام ١٩٨٧م وكان عمادها الأطفال وصغار الشباب وسلاحها الحجارة ولكنها أقضت مضاجع يهود وأدت إلى السلام الذي يجري التفاوض عليه الآن.

كما لم يسجلْ التاريخُ خطأ أو خطيئةً أبشعَ ولا أفظعَ من انخداعِ العربِ بخطةِ الأعداءِ في دحرجةِ قضيةِ القدسِ وفلسطينَ من دائرَتِها الإسلاميةِ الواسعةِ المتينةِ إلى متاهاتٍ وحفرٍ من الوطنيةِ والقوميةِ والمذهبيةِ والحزبيةِ والإقليميةِ والشرقِ أوسطيةِ، في نعراتٍ جاهليةٍ ومبادىءَ دخيلةٍ وشعاراتٍ مستوردةٍ.

لقد فُصِلتْ القضيةُ وبُتِرَتْ عن قوتِها المؤثرةِ وطاقتِها الدافعةِ الدافقةِ حتى تاهتْ في غبارِ النكساتِ والتواءِ المساوماتِ في مفاوضاتٍ تشبه التهديدَ ومراوغاتٍ حصيلتُها ضروبٌ من المواعيدْ.

سبق ذلك مصاحبةَ جِدٌّ من اليهودِ وأشياعِهم في زعزعةِ الأمةِ في عقائِدها، وتشكيكِها في مبادئِها، وتدميرِها في أخلاقِها. لقد امتدتْ أيدي اليهودِ وأعوانِ اليهودِ إلى قلوبِ العربِ لتنتزعَ منهمْ دينَ محمدٍ وتراثَ محمدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ.

لقد بلغَ تدميرُهم وتدبيرُهم مبلغاً مخيفاً؛ نبتَ في بني جلدةِ المسلمينَ من يرفضُ الإسلامَ ديناً ويَنكرُهُ منهاجاً، لقد اختلَّ بربِّهم إيمانُهم، واهتزتْ بدينِهم عقائدُهم، فيهم ملاحدةٌ يعتقدون أنهم أعلمُ من اللهِ بشؤنِ خلقهِ وأنهم أعدلُ منه في قَسْمِ رزقهِ، ما كان في الدينِ حراماً زعموه حلالاً.

ولقد كان من هذه النابتةِ موجهونَ وساسةٌ، ومفكرون وأدباءُ، عبثوا بالأسس الدينيةِ والقيم الأخلاقيةِ والمقرراتِ التاريخيةِ. سخَّرُوا الأقلامَ والأعلامَ والأفلامَ لتقويضِ دعائم الحياةِ الصالحةِ والأخلاقِ الفاضلةِ، وأورثوا فوضىٰ فكريةً لا معروفَ فيها

ولا منكرَ، إنما هي انتهازيةٌ واقليميةٌ، وتحللٌ وأفرنجيةٌ وجاهليةٌ وعاميَّةٌ.

جبنٌ في النفوسِ والقلوبِ، وانفعاليةٌ في الإرادةِ والتصرفاتِ، وغرامٌ بالمتعِ الرخيصةِ في أدقِّ الساعاتِ وأحلكِ الأيام، وافتتانٌ من العامَّةِ بالملاهي والمعازفِ، فجمع لهم ذلك حبُّ الدنيا وكراهيَّة الموتِ، فجَبنُوا عن المغامرةِ والإقدام، ونُزعتْ منهم المهابةُ وملأ قلوبَهم الوهنُ نعم لقد تكوَّنتْ أجيالٌ متنورةَ المعرفةِ لكنها مظلمةُ الروحِ، جوفاءُ القلبِ، ضعيفةُ اليقينِ، قليلةُ الدينِ، نافذةُ الصبرِ والجَلَدِ، فاقدةُ الخُلُقِ والإرادةِ، تبيعُ الحقَّ والأمةَ بمنافعَ شخصيةٍ، جاهٌ موهومٌ، وعزٌ مصطنعٌ في أهواءَ مشتتةٍ، وأهدافٍ متفرقةٍ. هذا نوعٌ من الزعزعةِ والهدمِ والتشكيكِ.

ولئن كانوا زَعزعوا فيها روحَ التديُّنِ وشريفَ الخُلُقِ فلقد سلكُوا في قضيتِها مسالكَ المنظماتِ والتجمعاتِ والحزبياتِ والهيئاتِ التي تتأرجح بين يمينٍ ويسارٍ، بشعاراتٍ زائفةٍ من العلمانيةِ والتقدميةِ والوطنيةِ والقوميةِ والديموقراطيةِ والشعبيةِ، اجتماعاتُهم وتنظيماتُهم ومؤتمراتُهم وقرارتُهم تَعِدُ ولا تُنْجزُ، وتقولُ ولا تفعلْ، وتَشْجُبُ ولا تُقْدِمُ، قلوبٌ شتىٰ، ووجوهٌ متباينةٌ، فصمُوا العرىٰ بعد توثيقِها، ونقضوا الأيمانَ بعد توكيدِها، وفرقوا الكلمةَ بعد توحيدِها.

وفي ذاتِ الوقتِ الذي يسعىٰ فيه الأعداءُ إلى هذا الهدم وذلك التشتيتِ فإنهم جادُّونَ في بناءِ أنفسهم، استمداداً من تاريخهم، واعتماداً على تراثِهم، يجمعون بني قومِهم من شتاتِ الأرض وشُذَّاذِ الآفاقِ باسمِ الدينِ واسرائِيلَ والتوراةِ والتلمودِ. لقد

أشربَهم تلمودُهم أحقاداً زرقاءَ ينفُخُ فيها أحبارُ السوءِ بوصايا الزيْفِ من التوارةِ المحرَّفةِ ليتنادوا عليها وكأنَّها حقائقُ ومسلماتٌ.

إنها طبائعُ الملعونينَ من أسلافهم؛ قسوةٌ في القلوبِ كالحجارةِ أو أشدُّ، وشرهٌ في النفوسِ، وأكلُ سحتٍ، وفسادُ معتقدٍ، وبغيٌ في الأرضِ، وتطاولٌ على الخلقِ وربِّ الخلقِ.

هذا سبيلُهم في الزعزعةِ والهدمِ، أمَّا سبيلُهم في المفاوضاتِ والمحادثاتِ فسبيلُ المخادعةِ والتضليلِ والتلاعبِ بالاسماءِ والمصطلحاتِ والالتفافِ على التوصياتِ والقرارتِ. وإذا تأزمَّتْ الأُمورُ وخِيفَ من إفلاتِ الزمامِ كُوِّنتْ لجانٌ وتراسلَ المندوبونَ بأسماءٍ وألوانٍ ومبادراتٍ ومهدئاتٍ؛ امتصاصاً للغضبِ وتهدئةً للأوضاعِ، والمريضُ إذا اشتد مرضهُ قبلَ المسكناتِ، والضعيفُ إذا غلبهَ يأسهُ رَكَنَ إلى المهدئاتِ.

أيها الإخوةُ: هذه هي القضيةُ، وذلكم هو وضعُها، وأخواتُها مثلُها.

إن القضيةَ ليست غامضةً ولا ملتويةً، وماهي بالمستعصيةِ ولا الشائكةِ، ولكنها تحتاجُ إلى شيءٍ من التذوقِ القرآني، والإلمامِ بطبائعِ الأشياءِ واستعراضِ النواميسِ الإلٰهيةِ والسننِ الأزليةِ.

إن إزالةَ أسبابِ الخذلانِ أهمُّ وأولىٰ من إزالةِ آثارِ العدوانِ، وطغيانُ اليهود لا يوقفهُ إلا الإسلامُ.

وإن ميلَ الميزانِ لا يُعدِّلُه إلا القرآنُ. الحل بيِّنٌ، والحقُّ واضحٌ، فهل يفيقُ الذين في سكرتِهم يعمهون؟؟.

لابد من ردِّ القضيةِ إلى خطِّها الأصيلِ، فتصبحَ قضيةً قويةً تتأبىٰ

على الوأدِ والاحتواءِ. لابد أن تعودَ القضيةُ إلى امتدادِها الإسلاميِّ بكل أفاقِه وأعماقِه. وهذا أمرٌ فصلٌ ليس بالهزلِ. إنه صراعُ عقائدَ، ومعركةٌ مع أشدِّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا.

كتابُ ربِّنا لا يزالُ غضاً كما نَزَلَ، ولا يزالُ قادراً على أن يجدِّدَ أمرنا كلَّه.

على الأمةِ أن تدركَ أن تفوقَ يهودَ سيظلُ خنجراً هامزاً غامزاً في لحومِ الشاردينَ وجنوبِهم حتى يؤبوا إلى القرآنِ شِرْعةً ومنهاجا. إذا عادَ الشاردونَ الى الحقِّ عادَ اليهودُ بإذن اللهِ إلى حجْمِهم وذلَّتْهم المضروبةِ عليهم، وينقطعُ بهم حبلُ الناسِ ويبطلُ السحرُ والساحرُ، ويأتي وعدُ الحقِّ فلا ينفعُ اليهوديَّ شَيءٌ ولا يستره اتقاءٌ خلفَ حصىً، ولا يقيه حجرٌ، ولا يحميه سلاحٌ، ولا شجرٌ. «**يختبىءُ اليهوديُّ من وراءِ الحجرِ والشجرِ فيقولَ الحجرُ والشجرُ يامسلمُ ياعبدَالله هذا يهوديٌّ خلفي تعالَ فاقتلْه**»[1].

هذا هو خبرُ الصادقِ المصدوقِ عليه الصلاةُ والسلامُ. وهذا هو النداءُ يا مسلمُ يا عبدَالله. ولا نداءَ غيرُه هذا هو محورُ القضيةِ.

وليستيقنِ الجاهلونَ أنهم لن يروا نصراً ولن يحفظوا أرضاً مادامو مصرِّين على الألقابِ الضالّةِ، ومناهجِ الإلحادِ الصارفةِ، إن هذا الرُّكامَ كلَّه نبتُ الشيطانِ وغرسُ الكفارِ، وهذا هو الذي يحجُبُ نصرَ الله ويمدُّ في حبالِ اليهودِ وحمايتِهم وكأنه الغرقدُ شجرُ اليهودِ.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٦/ ١٢١ ـ ح٢٩٢٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٩ ـ ح٢٩٢٢) واللفظ له.

يا مسلمُ يا عبدَالله يا جندَ القرآن يا جندَ الله: هذا هو كتابُ ربّكم وهذا هو حديثُه إليكم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠] . ياأصحابَ سورةِ البقرةِ وآلِ عمران، يا قُراءَ التوبةِ والأنفالِ ويا مُرتلي الصفِّ والقتالِ[١] أحسنوا التلقيَ عن كتابِ ربكم، افهموا طبيعةِ يهودٍ وأشياعِهم فهماً قرآنياً وتعاملوا معهم تعاملاً قرآنياً، ليس تقريراً سياسياً يتلونُ بالمنافعِ والمتغيراتِ، وليس بحثاً اجتماعياً يخضعُ لاستنتاجاتٍ واحصاءاتٍ ولا تحليلاً نفسياً خاضعاً لتقويم البشرِ بأخطائِهم وتخبُّطاتِهم. حكمُ قرآنيٌ لا تشوبهُ شهواتٌ ولا شبهاتٌ، حقائقُ اليقينِ من ربِّ العالمين: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

خطابٌ قرآنيٌ يخاطبُ المسلمَ في وجدانه وعقلهِ وحسِّهِ وعصبهِ وفكرِه وجسدِه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

إنها معركةُ حياةٍ ومصيرٍ يتقرَّرُ بها وجودٌ أو عدمٌ وانتصارٌ أو اندثارٌ: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٦٤﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات: ١٧٣]. صدق اللهُ العظيمُ وبلَّغَ رسولُه الكريمُ ونحن على ذلك من الشاهدينَ.

اللهم اجعلنا من شهداءِ الحقِّ القائمينَ بالقسطِ، واسلكنا في حزْبِك المفلحين، وجندِك الغالبين، ربنا اغفر لنا ذنوبَنا وإسرافَنا

---

(١) القتال: هي سورة محمد ﷺ.

في أمرِنا وثبتْ أقدامَنا وانصرْنا على القومِ الكافرين، إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المسلمون وقضية فلسطين

الخطبة الثانية

الحمد لله علا وقهرَ، وعزَّ واقتدرَ، ذي البطشِ والجبروتِ، لا محيدَ عنه ولا مفرَّ، أحمده سبحانه وأشكره لم يزل يوالي إحسانه من شكرَ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له على رغمِ أنفِ من جحدَ به وكفرَ، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ البشرِ والشافعُ المشفعُ في المحشرِ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه السادةِ الغررِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم العرض الأكبرِ.

أما بعد فاتقوا الله أيها الناسُ كما أمرَ، واجتنبوا الفواحشَ ما بطن منها وما ظهرَ، فدنياكم دارُ ممرٍ والآخرةُ هي المقرُّ.

فلسطينُ الكريمة قدسَنا المعظم ما أشدَّ ما تكابدين من عسْفِ القويِّ وكيدِ الماكرِ وقسوةِ الظالمِ وجفاءِ الأهل.

إن دموعَكِ منذُ الفاجعةِ بل الفواجع لم ترقأْ وإن جروحَكِ منذ تلك الوقائع لم تندَمِلْ. وإن صوتك الجازعَ لن يزالَ مجلجلاً في الأعماقِ. غير أن جرحَكِ لن يواسىٰ وفتقَكِ لن يُرفأَ إلا حينَ يتنافسُ محبوكِ من المسلمين في مجدِ الموتِ وشرفِ التضحيةِ. وإن في صورِ المبعدينِ وأحرار المنتفضين لمسالكِ للنصرِ واحقاقِ الحقِّ.

سوف يفزعُ المحبونَ إليكِ فزعَ المغيثِ المسْعِفِ وليس فزعَ

النادبِ الآسفِ فمصابنا بكِ ومصابكِ بنا لا يفيدُ فيه بكاءٌ ولا ينفعُ فيه حزنٌ على ثراكِ وثرىٰ إخوانِكِ في كشميرَ والبوسنةِ والهرسكَ والصومالِ والفلبينِ، سوفَ يغضبُ مجدٌ، ويُسَطرُ تاريخٌ ويغاثُ ملهوفٌ إن غَضْبتُهم مفزِعةٌ وإن يقظتُهم مروِّعةٌ وما ذلك على الله بعزيز فالقرآنُ محفوظٌ والمحجةُ بيضاءُ والطريقُ أبلجُ وإن تتولوا يستبدلْ قوماً غيرَكم ثم لا يكونوا أمثالكم.

لا . . . يا مؤتمر السكان

الخطبة الأولى

الحمد للهِ خلقَ الخلائقَ وقَدَّرَ أقواتَها وقسَّم أرزاقها وحدَّد آجالها، فلن تموتَ نفسٌ حتى تستوفيَ رزقَها وأجلَها.

أحمدُه سبحانَه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه أبان الطريقَ وأوضحَ السبيلَ فاستبانتْ نفوسٌ الحقَّ وأجابتْ دعوةَ ربِّها، وضلَّتْ أخرىٰ فآثرتْ هواها على هُداها فاستلسمتْ لشهواتِها، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ الحقِّ واليقينِ، إيماناً بحقيقتها وعملاً بمقتضياتِها. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، باتباعِه تبلغُ النفوسُ مُناها في آخرتها ودنياها. صلى اللهُ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خيرُ الأمةِ وأزكاها وأبرُّها وأتقاها، والتابعينَ ومن تبعُهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فيا أيُّها الناسُ اتقوا اللهَ حقَّ التقوىٰ واستمسكوا من دينِكم بالعروةِ الوثقىٰ.

أيُّها المسلمون: كرَّمَ اللهُ بني آدمَ وحملَهم في البَرِّ والبحرِ والجوِّ ورزقهُم من الطيباتِ وفضَّلَهم على كثيرٍ ممن خلقَ تفضيلاً. بشرٌ مكرمٌ جعله اللهُ أهلاً لهدايتِه، ومحلاً لتكاليفِه، هو الوحيدُ بين المخلوقاتِ عاقلٌ ذو إرادةٍ متحكمٌ في رغباتِهِ قادرٌ على كبح جماح شهواتِهِ. نعم إن سرَّ التكريمِ وجوهرِ الإنسانيةِ العقلُ والإرادةُ

وقبولُ التشريعِ. بغيرِ كبحِ جماحِ النفسِ والتقديرِ الصحيحِ للمضارِّ والمنافعِ، والسيرِ على هُدىٰ اللهِ يكونُ الإنسانُ وحشاً كاسراً في غابةٍ مخيفةٍ.

كم من أمةٍ ابتعدتْ عن نورِ اللهِ، واستسلمتْ لنزواتِها وانطلقتْ لاهثةً وراءَ مشتهياتِها فزلَّتْ بها القدمُ ثم زالتْ إلى العدمِ زلَّتْ ثم زالتْ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

وحضارةُ اليومِ بملاحدتِها وماديِّيْها على هذا الطريقِ المنحرفِ تنجرفُ، كفارٌ باللهِ وكفارٌ بالغيبِ لا يرجونَ للهِ وقاراً. استسلموا لعقولِهم واستعبدتْهم آلاتُهم وحاسباتُهم. يُخطِّطُون للدُّنيا ويدبِّرون في الكونِ بعيداً عن اللهِ وذكرِه وشكرِه. لسانُ حالِهم ومقالِهم يقولُ: (ربَّنا لقد أخطأت التقديرَ وأسأتَ التدبيرَ؛ فالأقواتُ غيرُ كافيةٍ، والمواردُ عندنا متناقصةٌ، والأرضُ لنا غيرُ متسعةٍ، تعالىٰ اللهُ عما يقولُ الظالمون الكافرون الجاحدون علواً كبيراً. ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

يدُ ربِّنا ملآىٰ لا تَغِيضُها نفقةٌ سحاءَ الليلِ والنهارِ، سَوْقُ الرزق بإذن اللهِ، وتوزيعه بحكمةِ اللهِ. خلقَ الأرضَ وباركَ فيها وقدَّرَ فيها أقواتَها، ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

يقالُ ذلكَ أيُّها الإخوةُ: وفي الأيامِ القريبةِ سوفَ يعقدُ

مؤتمرٌ[1] يتظاهرُ أصحابهُ بالحبِّ للبشريةِ والخوفِ عليهم. وهو يَنْضحُ بالكفرِ ويطفَحُ بالإلحادِ ويناوىءُ اللهَ في حِكَمِه وأحكامِه. ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ٨٩].

مؤتمرٌ يُهدِّدُ ـ فيما يزعمون ـ بالانفجارِ السكانيِّ، ويُخوِّفُ بنقصِ خزائنِ اللهِ، مؤتمر يزعمُ أن الحلَّ لمشكلاتِ البشرِ بنشرِ الإباحيِّةِ المطلقةِ، وإقرارِ اللواطِ، وزواجِ الشواذِّ، وفوضىٰ الجنس بين المراهقينَ والأحداثِ والعُزَّابِ والمتزوجينَ وشرعيَّةِ الإنجابِ من غيرِ زواجٍ، وتَمرُّدِ الأبناءِ على ولايةِ الآباءِ والتنفيرِ من الزواجِ المبكرِ. وإباحةِ الإجهاضِ كلِّه.

تمردٌ على كلِّ الشرائعِ السماويةِ، والقوانينِ الشريفةِ، والأخلاقِ الساميةِ، والفطرِ السليمةِ، إلحادٌ صارخٌ وكفرٌ بواحٌ.

لقد أجْلَبوا بخيلِهم ورَجِلِهم وعُدَّتِهم وعَتَادِهم، وكتبوا واستكتبوا تنادوا من كلِّ جانبٍ، لقد زعموا أن قلَّةَ السكانِ تؤدي إلى زيادة التنميةِ. وهذا ميزان معكوسٌ، ومعالجةٌ سلبيةٌ. إن المواردَ لا تزيدُ ـ بإذن اللهِ ـ إلا إذا زادَ عددُ البشرُ، فالإنسان هو الوحيدُ من بين المخلوقاتِ على هذه الأرضِ الذي يتعاملُ ـ بإذن الله وهدايته ـ بالتنميةِ والزيادةِ والمزجِ والخلطِ والتركيبِ والتوليدِ والجمعِ والتفريقِ.

الصينُ أكثرُ الدولِ سكاناً وهي أرفعُها في التنميةِ معدَّلاً. هذا

---

(١) هو مؤتمر السكان انعقد في القاهرة في الفترة من ٢٩/ ٣/ ١٤١٥هـ الموافق ٥/ ٩/ ١٩٩٤م حتى ٨/ ٤/ ١٤١٥هـ الموافق ١٣/ ٩/ ١٩٩٤م.

هو الحديثُ إليهم حسب مقاييسهم.

أما أهلُ الإسلامِ فينظرونَ إلى القضيةِ بمقياسٍ أكبرَ وأدقَّ؛ إن استدرارَ الأرزاقِ، واستجلابَ الخيراتِ، ورفعَ معدلاتِ التنميةِ، لا يكونُ ولنْ يكونَ إلا بالإيمانِ باللهِ رباً مدبِّراً، خالقاً حكيماً، عليه توكلْنا وإليه أنبنا وإليه المصيرُ. ومن مقتضياتِ هذا الإيمانِ اتباعُ الأوامرِ واجتنابُ النواهيْ، نؤكدُ الميثاقَ مع ربِّنا ولا ننقضُهُ، ومن ثَمَّ يكونُ الخضوعُ للهِ وتحكيمُ شرعِهِ، والبعدُ عن الظلمِ والتظالمِ، وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ، وأكلِ الربا، ومنعِ الزكاةِ وحقوقِ المالِ، وتقطيعِ الأرحامِ، وبخسِ الناسِ أشياءَهم، وتضييعِ المواردِ والثرواتِ، وتبديدِها فيما لَا يرضَي اللهُ والحذرُ من ارتكابِ الفواحشِ ما ظهرَ منها وما بطن والإثمِ والبغي بغيرِ الحقِّ والشركِ باللهِ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون.

هذه مقتضياتُ الإيمانِ ثمَّ يكونُ الأخذُ بسننِ اللهِ في العلمِ والعملِ وحسنِ الاستثمارِ، ومراجعةُ السياساتِ الاقتصاديةِ والخططِ التنمويةِ وبرامجِ التعليم والإعلامِ والاستفادةُ الكاملةِ من الفردِ والجماعةِ على نورٍ من اللهِ وهدْيِ الإسلامِ.

إن البلاءَ في سياساتِهم وليس في أناسيِّهم، خزائن الله لا تنفد، وإنما شحَّتْ أنظمتُهم الجائرةُ وحاقتْ بهم خططُهم الماكرةُ. ليس الحلُّ بمعاقبةِ الإنسانِ، وإهلاكِ الشعوبِ، والتعاملِ مع البشرِ كما يُتعاملُ مع النفاياتِ ليُلقىٰ الفائضُ منها في الزبالاتِ ألا ساء ما يحكمون؟؟؟.

أيُّها المسلمون أيها العقلاءُ: إن الأعدادَ البشريةَ وزيادتَها

ونقصَها وتوازنَها كلُّ ذلك خاضعٌ لسنةِ الله وحكمتِه، وقدَره وعلمِه: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد: ١١] ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [فاطر: ١١].

وخضوعاً لهذه السننِ الإلٰهيةِ والحِكَم الربانيةِ جعل نبيُّنا محمدٌ ﷺ «من أعظم الذنوبِ وأكبرِها أن تقتلَ ولدَكَ خشيةَ أن يطعمَ معكَ»[١]. إن حقَّ الحياةِ محفوظٌ لكلِّ نسمةٍ، ولما أذن النبيُّ ﷺ بالعزلِ لمن سأله قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من نسمةٍ كائنةٍ إلى يوم القيامةِ إلا وهي كائنة**»[٢] وفي رواية «**اعزل عنها إن شئتَ فإنه سيأتيها ما قُدِّرَ لها**»[٣]. هذه هي العقيدةُ والواقعُ.

أيُّها الإخوةُ: هذا جانبٌ من القضيةِ، وثَمَّتَ جانبٌ آخرُ: إنهُ حكمُ الظالمِ على المظلومِ والقويِّ على الضعيفِ، فلقد صبوا جامَ غضبِهِم على الدولِ الضعيفةِ والفقيرةِ، استبدوا بالثرَّواتِ واحتكروا الصادراتِ ثم اتهموا الدولَ الفقيرةَ بأن فقرَها وعَوَزَها لكثرةِ سكانِها؛ أليسوا هم الذين يُتلِفون فائِضَ الانتاجِ حتى لا تنخفضَ الأسعارُ؟ أليس أسعارُ ما يردُ منهم في تزايدٍ واسعارُ

---

(١) متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود أخرجه البخاري (٨/ ٣٥٠ - ح٤٧٦١)، ومسلم (١/ ٩٠ - ح٨٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (٧/ ٤٩٤ - ح٤١٣٨)و ومسلم (٢/ ١٠٦٢ - ح١٤٣٨)و وأبوداود (٢/ ٢٥٢ - ح٢١٧٢)، وأحمد (٣/ ٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦٤ - ح١٤٣٩)، وأبوداود (٢/ ٢٥٢ - ح٢١٧٣)، وابن ماجه في المقدمة (١/ ٣٥ - ح٨٩)، وأحمد (٣/ ٣١٢).

ما يصدرُ إليهم في تناقصٍ؟؟ اتفاقياتٌ ومعاهداتٌ جائرةٌ يُبرمونها مع هؤلاءِ الضعافِ الفقراءِ منحازةٌ مع دولِ الشمالِ وما يردُ من الشمالِ وما يُنتجُه الشمالُ؟؟ مساعداتُهم التي يمنُّونَ بها لا تصلُ إلا مخنوقةً بالديونِ، ومثقلةً بفوائد الربا، ومكبلةً بالشروطِ ومحدوديةِ الصرفِ بما لا يرفعُ رأساً أو يورثُ تنميةً. أما السِّتارُ الحديديِّ الغليظُ فمضروبٌ على التقنياتِ ووسائلِ تحسينِ الانتاجِ وتطويرِ وجوه الاستثمارِ، ناهيكَ بسياساتِهم المسعورةِ في التسلحِ وانفاقِ البلايينَ في انتاجِ السلاحِ وترويجهِ، وافتعالِ الحروبِ ونشرِها، وزعزعةِ الاستقرارِ السياسيِّ، والمذابحِ الجماعيةِ والفتنِ الطائفيةِ. لقد ربَّيْنا أبناءَنا صغاراً فقتلتموهم كباراً قتلاً حسياً ومعنوياً.

إن عندهم من مخزونِ السلاحِ ما يكفي لتدمير الأرضِ وإهلاكِ الحرثِ والنسلِ عشراتِ المراتِ، ولو أنهم اكتفوا بمخزونٍ يكفي لتدميرِ العالمِ مرةً واحدةً لفاض في ميزانياتِهم ما يغطي مشروعاتِ الانتاجِ والخدماتِ في العالمِ أجمعَ. ولكنه الإجرامُ الغليظُ، والأنانيةُ المستحكمةُ والجورُ في التوزيعِ والاستئثارُ المقيتُ بما يملكون من صادرٍ وما يقدرون عليه من واردٍ. ومع ذلك يتبجَّحُون ويأمرون ويوصون ويقررون ثم يَنْحوُن باللائمةِ في المشكلةِ الإنمائيةِ والسكانيةِ على هذه الدولِ الضعيفةِ، ولكنه الثور يُضْربُ لما عافتِ البقرُ.

وإن أردتم شيئاً من الحقيقةِ - أيها الأحبةُ - فلتعلموا أن تكاثرَ الدولِ الضعيفةِ والفقيرةِ وبخاصةٍ دولُ الإسلامِ يخيفُهم ويُفْزُعُهم، طفحَتْ بذلك وثائقُهم وملفاتُهم. لقد قررتْ تلك الوثائقُ

والملفاتُ أن تزايدَ السكانِ يهدِّدُ مصالِحهم ويزعزعُ أمنَهم، ولقد قالوا فيما قالوا: إن أقطارهم أصبحتْ تذوبُ كالجليدِ تحتَ الشمسِ أمام تزايدِ الشعوبِ الأخرىٰ، ولقد كان بعضُهم أكثرَ صراحةً حين قال: إنهم يواجِهُون في المستقبلِ خطرَ الأسلمةِ (أي الدخول في الإسلام). لقد تعالت نداءاتُ كُتَّابِهم ومنظِّريهم في التحذيرِ من اختلالِ ميزانِ القوىٰ بين الشرقِ والغربِ حتى صرَّحوا بأن لدىٰ مناطقِ المسلمين خصوبةَ ما لديهم بأضعاف مما سوفَ ينقلُ السلطةَ والقوةَ في مدةٍ لا تتجاوزُ بضعةَ عقودٍ، هذا ما حفلتْ به حساباتُهم ونسبُهم المئويةُ.

نعم ـ أيها الإخوةُ ـ لقد تناقصتْ أعدادُهم، وقلَّتْ نِسبُ المواليدِ فيهم، فأصبحوا يدفعون الإعاناتِ للأسرِ لزيادةِ الإنجابِ، ولن تزدادَ أعدادُهم وقد استباحوا ما حرم اللهُ على ألسنةِ رسلِهِ ونزلتْ به كتبُهُ، فأحلُّوا السفاحَ واكتفىٰ الرجالُ بالرجالِ والنساءُ بالنساءِ، فصارَ حالُهم متردداً بين شذوذٍ وسِحاقٍ.

ألا فاشكروا الله أيُّها المسلمون إذ كثَّركم، وانظروا كيف كان عاقبةُ المفسدين.

ثم ألا فليخسأ الماديون، ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

ليُثبر الملاحدةُ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٠] وليندحر الكافرونَ بالغيبِ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء: ٣١].

والصَّغَارُ والذِّلةُ للإباحيينَ فلقد بايعَ المؤمناتُ رسولَ الله ﷺ ألا يزنِيْن ولا يَقْتلنَ أولادَهنَّ ولا يأتينَ بِبُهتانٍ يفترينهن بينَ أيديْهن وأرجلِهن.

ولنهنأْ بديننا ولنتمسكْ بالحقِّ من عند ربنًا: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١] ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٧].

كلاَّ خابوا وعزِّتكَ ياربَّنا وخسروا.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشركَ والمشركين واخذُل الكفرةَ والملاحدةَ وكلَّ من خذلَ الدينَ. اللهم أصلح أحوال المسلمين وباركْ لهم في أرزاقِهم وذريَّاتِهم واجعلهم شاكرين لنعمك قابليها.

لا . . . لمؤتمر السكان

الخطبة الثانية

الحمدُ لله القاهرِ فوقَ عبادهِ عزاً وسلطاناً، تعالى مجدُه وتعاظَمَ ملكُه، قسمَ الخلقَ بعدلِه ورحمتِه فمنتحلٌ كفراً ومنتحلٌ إيماناً، أحمدُه سبحانه وأشكره، وأسأله المزيدَ من فضله وكرمه والإعانةَ على ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتَه، فطوبىٰ لمن ذُكِّروا بآياتِ ربِّهم فزادتهم إيماناً، وويلٌ ثم ويلٌ لمن ذكروا بآياتِ ربهم فخروا عليها صُماً وعُمياناً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله دعا إلى الحقِّ سراً وإعلاناً، فأشادَ للتوحيدِ منائِرَ وكسر للشركِ أصناماً وهدَّم أوثاناً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه كانوا للدين دعاةً وعلى الحقِّ أعواناً والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ. أيُّها الإخوةُ: إن هذا المؤتمرَ مؤامرةٌ صهيونيةٌ علمانيةٌ إلحاديةٌ دوليةٌ يمارسُ من خلالها إرهابٌ حضاريٌّ على الأخلاقِ والأُسرةِ، وحملةٌ شرسةٌ على ما بقي لأهلِ الإسلامِ من تفوقٍ في سلاحِهم البشريِّ وحِصنِهمُ الأَخلاقيِّ.

إرهابٌ حضاريٌّ، وتعسفٌ دوليٌّ حين تحتمي التوصياتُ والمقرراتُ بمظلةِ الأممِ المتحدةِ لتمارَسَ من خلالِها الضغوطُ السياسيةُ، والمحاصرةُ الاقتصاديةُ، وتُربَطُ بها المساعداتُ الدوليةُ، وتعلو صيحاتُ التشنيعِ الإعلاميةُ، إنهم وبكلِّ صفاقةٍ سوف يصفُون المخالفينَ أو الممتنعينَ بالتحجرِ الفكريِّ والرجعيةِ

الدينيةِ والخروجِ على الإجماعِ الدوليِّ والتمردِ على العالمِ المتحضرِ.

إرهابٌ دوليٌّ حين تَفرضُ الدولُ الكبرىٰ بمنظِّريها الملاحدةِ رأيَها وتُملي أفكارَها، وتفرضُ رؤيَتها الخاصةَ على أممِ الدنيا في دكتاتوريةٍ ضيقةٍ. لماذا يتخذون من أفكارِهم الإلحاديةِ الماديةِ المنحرفةِ المصادمةِ لتعاليمِ الديانةِ الصحيحةِ المناقضةِ للإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ وبالقدرِ خيرِه وشرِه يجعلونها مسلماتٍ ومنحصرةً يجبُ أن يلتزمَ بها جميعُ دولِ العالمِ. هذا هو حالُهم حالُ الناسِ معهم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

ألا فاتقوا اللهَ رحمكُم اللهُ واعتصموا بكتابِ ربِّكم واعملوا لدنياكُم وآخرتِكم.

بين يدي رمضان
الخطبة الأولى

الحمد للهِ خلقَ فقدَّرَ، وملكَ فدبَّرَ، وشرعَ فيسَّرَ، وبيده تصريف الأمور، أحمدُه سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه ما تعاقبَ الجديدان وتوالتِ الشهورُ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الرحيم الغفور، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من صام وصلى، وأعطى واتقى، فكان هو العبدَ الشكورَ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه هم للاهتداءِ نجومٌ وفي الظُّلَمِ بدورٌ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم النشورِ.

أما بعد فأوصيكم ـ عباد الله ونفسي ـ بتقوى الله، فتقواه وقايةٌ من عذابهِ، واحذروا المعاصي فإنها موجباتٌ لغضب الربِّ وأليم عقابه.

أيها المسلمون: شرائعُ الإسلامِ وأحكامُه تمحيصٌ وبرهانٌ لصحةِ الإيمانِ، وهي دليلٌ على الفرقانِ بين المتقين والفجارِ، وما كان الله ليذر الناسَ على ما يدَّعون بألسنتهم ويقولون بأفواههم.

ومن أجل هذا فإنه ما من يومٍ من أيام اللهِ إلا ولربِّنا فيه على عباده وظيفة من وظائفِ طاعاته، ولطيفةٌ من لطائفِ نفحاته يصيبُ بها من يشاءُ بفضلهِ ورحمتهِ.

والمرءُ في أيامِ اللهِ يتقلَّبُ بين السراءِ والضراءِ، وتُنَازِعُ نفسَه

نوازعُ الشهوةِ والهوى، ودوافعُ المحبةِ والبغضاءِ، يتقلبُ في الكدحِ للمعاشِ والضربِ في الأرضِ، يواجهُ كثيراً من الخطوبِ واللغوبِ.

وإن مسالكَ المرءِ وتقلباتِهِ هذه يجبُ أن تكونَ محكومةً بدينِ اللهِ، فمن عملَ بالإسلامِ عُرِفَ بهِ، ومن عمل للإسلام دعا إليه. ولا إسلامَ بدونِ عملٍ، ولا استقامةَ في دروبِ الحياةِ بلا تمسكٍ والتزام. في الصلاةِ حلاوةُ المناجاةِ، وفي الزكاةِ روحُ الجودِ، وفي الجهادِ عزُّ النفسِ واباءُ الضيمِ. وقلْ مثلَ ذلك في كلِّ فرائضِ الإسلامِ وآدابهِ، فيها ما يجلو عن الصدورِ همومَها، ويطهرُ النفوسَ من أدرانها ويملأُ القلوبَ بمذخورِ الخيرِ ونداوةِ الذكرِ.

ويأتي فرضٌ من فرائضِ الإسلامِ في موعدٍ من السنةِ معلوم ليتعالى النداءُ وتُستثارُ الهممُ: «**يا باغيَ الخيرِ أقبلْ ويا باغيَ الشرِّ اقْصُرْ ولله عتقاءُ من النارِ**»[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

شهرُ اللهِ المعظمِ، الموسمُ السنويُ للتجديدِ والتدريبِ والتهذيبِ. شهرُ المحاسبةِ لهذا الكدحِ الطويل.

يأتي سيدُ الشُّهورِ بعد أحد عشر شهراً وكثيرٌ من الناس قد استأسدت شهواتُهم وتنمرَّتْ أهواؤُهم، يأتي ليوقظَ روافدَ الخيرِ في القلبِ، وتتنافى أحاسيسُ البرِّ في النفوسِ، وتثورُ ألوانٌ من المحاسبةِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/٦٦ ـ ح٦٨٢)، وابن ماجه (١/٥٢٦ ـ ح١٦٤٢)، والنسائي (٤/١٢٩)، وأحمد (٤/٣١٢، ٥/٤١١) وصححه الألباني.

شهرُ القرآنِ غُرَّةُ الزمانِ ومُتَّجرُ أهلِ الإيمانِ. صومُه فرضٌ وقيامُه مستحبٌ وأوقاتُه من أشْرفِ أوقاتِ العام، تتدفَّقُ أيامُه ولياليه بنبعِ الهدىٰ ومرابعِ الخيرِ، تتأكدُ فيه صلةُ العبدِ بربِّهِ، وتتوثَّقُ فيه عرىٰ المحبةِ لإخوانه.

في الصومِ صفاءُ القلبِ وزكاءُ النفسِ ونقاءُ البصيرةِ وميدانُ البرِّ.

شهرُ القرآنِ موعدٌ سنويُ، يتلاقىٰ فيه المسلمون على نظامٍ واحدٍ من المعيشةِ وعلى نمطٍ متوافقٍ من تغييرِ العوائدِ، توافقٌ في أوقاتِ الطعامِ واليقظةِ والرقادِ، وليس أصلح لتربيةِ الأمةِ من تعويدِها على القدرةِ على التكيُّفِ لمتغيراتِ الظروفِ وتقلباتِ الزمن.

ولقد أدركَ العقلاءُ أن القدرةَ على تهذيبِ النفوس ورياضتِها والتحكمِ في شهواتِها ومشتهياتِها من أعظمِ أسبابِ السعادةِ ودلائلِ علوِّ الهمةِ ومعالمِ النجاحِ في المهمَّةِ.

أدبُ الصومِ نظامٌ حازمٌ يطبعُ المسلمَ بطابعِ المبادرةِ في الطاعةِ، ويلقِّنُ درسَ الصبرِ، فهو شهرُ الصبرِ ويبرهنُ على صدقِ المراقبةِ؛ «**من صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدمَ من ذنبِه**»[1]، ويدلُّ على حقيقةِ الإخلاصِ للهِ ربِّ العالمين: «**يدعُ طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجلي**»[2]. فنال الصائمون عِظَمَ الجزاءِ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١/ ١١٥ ـ ح٣٨)، ومسلم (١/ ٥٢٣ ـ ح٧٦٠)

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥ ـ ح١٨٩٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٧ ـ ح١٦٤).

لما قدَّموهُ من حُسنِ البلاءِ: «**الصومُ لي وأنا أجزي بهِ**»[1].

غايةُ الصيامِ معالجةُ النفْسِ لتكتسبَ إرادةً صارمةً وعزيمةً جادةً، فلاتتهافتُ على الشهواتِ، ولا تتهالكُ على اللذائذِ، تملكُ الصبرَ والتصبرَ في مواجهةِ طيشِ الغرائزِ وبواعثِ الهوىٰ.

إن صومَ الصائمينَ نورٌ يتلألأُ في الوجوهِ، وخيرٌ يتدفقُ في البيوتِ، وذكرٌ تمتلىءُ به المساجدُ، ونداءٌ تصدعُ به المآذنُ، ومن ثمَّ فإنَّ نفحاتِ الربِّ الرحيمِ تجنيها نفوسُ المخلصينَ، وتسعدُ بها قلوبُ الذاكرين.

الصومُ الحقُّ مددٌ قويٌ لجندِ الحقِّ، ومنبعٌ من الجودِ فياضٌ كالرِّيحِ المرسلةِ تعمُّ ذوي الحاجاتِ والمساكين.

الصومُ الحقُّ إمساكٌ للجوارحِ عن الأذىٰ، وفطامٌ للنفوس عن الهوىٰ، يرتقي بالانسانيةِ إلى مدارجِ الكمالِ ومراقيْ االسُّؤْدَدِ، يرتقي بها من أسفل سافلينَ إلى أحسنِ تقويمٍ، فتتفجرُ فيها طاقاتُ الخيرِ وجوامعُ الصلاحِ.

وإن مَنْ كبح جماحَ شهوةِ الطعامِ والشرابِ لابد أن يفطنَ إلى الحكمةِ العليا من تطهيرِ النفس وتزكيتِها في الأقوالِ والأفعالِ والعزائمِ «**إذا كان يومُ صومِ أحدكم فلا يرفثْ ولا يَصَخبْ فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقلْ إني صائمٌ**»[2]، «**منْ لم يدعْ قولَ الزورِ والعملَ**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥ ـ ١٨٩٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٧ - ح١٦٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤/ ١٤١ ـ ح١٩٠٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٧ - ح١١٥١).

به فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابَه»[1]. نعم: لا تسمعُ منه لغواً في حديثٍ، ولا غِلظةٍ في جدلٍ، ولا فجوراً في خصومةٍ، يكفُّ لسانَه عن البَذاءِ، ويُصافي خصمَه، إذا غلبهُ غضبٌ بادرَ بالاستعاذة ثم أعلن: (إني صائمٌ إني صائمٌ)[2].

معاشرَ الأحبةِ: ذلكم هو الصيامُ وأولئك هم الصائمون. أين هؤلاء من أقوامٍ لا يرون في الصومِ إلا حرماناً لشهواتِهم العارمةِ وغرائزِهم الجامحةِ، فوجوهُهم لاستقبال شهرهم عابسةٌ، وصدورهم به ضائقةٌ، ونفوسُهم فيه منقبضةٌ. ناهيك بأقوامٍ يتمتعون في بأنواعِ من المعايشِ، وألوانٍ من المطاعمِ والمشاربِ، يسرفون على بطونِهم بالأكلِ حتى تمرضَ، وعلى جيوبِهم بالإنفاقِ حتى تنفد، ينفق أحدُهم في شهرِه ما يوازي إنفاقَهُ في عامِه كلِّه أو يكادُ.

استهلاكُ الأغذيةِ عندهم يتضاعفُ في رمضانَ، إن هؤلاء المغفلين يجوعون في النهار ليزدادَ نهمُهم بالليلِ.

أي مسكنةٍ بعيش فيها هؤلاء؟؟ إنهم لم يأخذوا من الحياةِ سوى جانِبها الفضوليِّ العابث، يتأثرون ولا يُؤَثِّرون، ولقد قال بعض الفضلاء: (لو صام المسلمون اليومَ صوماً صادقاً خالصاً لتخلصوا من مصائبِ أنفسهم وشرورِ أعمالهم، ولوصدقوا لما استطاعَ عدوٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٩ ـ ح١٩٠٣)، والترمذي (٣/ ٨٧ ـ ح٧٠٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٢/ ٣٠٧ ـ ح٢٣٦٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤/ ١٤١ ـ ح١٩٠٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٧ ـ ح١١٥١).

أن يحيكَ لهم المؤامراتِ والدسائسَ والفتنَ).

أي غناءٍ وأي فائدةٍ أن يمسك بعضُ الناس عن الطعامِ والشرابِ ولكنَّه في سلوكِهِ وأعمالِهِ مجموعةٌ من المتناقضاتِ والمهملاتِ عبثاً ولهواً وضياعاً.

إن همَّ هؤلاء أن يعيشوا صعاليكَ وطفيليين على موائِد الأمم الجادةِ، لا يعتزون بعقيدةٍ، ولا يستمسكون بخلقٍ، ولا يخلصونَ في عبادةٍ.

أي مفهومٍ معكوس لدى بعضِ المسلمينَ حين يسهرونَ في رمضانَ لتسليةٍ فارغةٍ ولغوٍ طويلٍ، بل إنهم ليُعدِّون لأنفسِهم برامجَ خاصةً كلُّها لهوٌ وضحكٌ ومجونٌ.

السهرُ في الليل أيها الإخوة وكما يعلمُ العقلاءُ والفضلاءُ لا يكون إلا لشرطيٍّ يحرسُ الأمنَ وجنديٍّ يحمي الثغرَ وطبيبٍ يرعى مريضاً ومتعلم يستدركُ ويستذكرُ وعاملٍ في نوبةٍ ليليةٍ، وماعدا ذلك فلا يكونُ السهرُ إلا لمتهجدٍ يتجافىٰ جنبُه عن المضجَع يدعو ربَّه خوفاً وطمعاً ويقطعُ ليلهَ تسبيحاً وقرآناً.

إن حقاً على المسلمين أن يبكُوا ولا يضْحكُوا وأن يَجدُّوا ولا يَهْزِلوا، أين الإحساسِ بضراوةِ العدوِّ وشراسة الكائدينِ؟؟.

أن أوصالاً كبيرة من جسد الأمَّة تُقَطَّعُ وتُنْتَقصُ، وتعيشُ وطأةً من الذلِّ والاستعبادِ، والفقرِ والإبادةِ، والابعادِ والتشريدِ.

أين الصيامُ من أناسٍ قد انطوت قلوبُهم على الحقدِ والحسدِ وتفريقِ كلمةِ المسلمينَ وإضعافِ سلطانِهم؟ أين أدبُ الصيامِ من فئاتٍ تحبُّ أهلَ الفسادِ وتأنَسُ بمجالسِ الغاوينَ؟.

هل صامَ من استغلَّ مصالحَ المسلمينَ، واستطالَ عليهم بلسانِه ويدِه، واشتغلَ بإيذاءِ المؤمنين والمؤمناتِ بغير مااكتسبوا؟ هؤلاءِ المهازيلُ الذين تنهزمُ عزائمُهم أمامَ جوع الصيام ومتطلباتِه كيف يعيشونَ لدينِهم وأمَّتِهم، إن من انهزمَ بينه وبين نَفسِه سوف يكونُ أشدُّ انهزاماً أمام أعداءِ الدينِ والأمةِ.

ومن أعلن استسلامَه في معركةٍ شهوانيةٍ تدومُ ساعاتٍ فقد حكمَ على نفسِه بفقدان خُلُقِ الرجولةِ الصابرةِ. ومن عزَّ عليه أن يعيشَ في جوِّ الرجالِ فقد أخرج نفسَه من قوافلِ الشهداءِ ومواقفِ الأبطالِ.

إن تقصير هؤلاء في صومِهم نموذجٌ شاهدٌ على تقصيرِهم في سائرِ فرائضِ دينهم وقضايا أمتهم.

ومن أجلِ هذا فإن المخالفات الفظيعةِ والجرائم الشَّنيعةَ إنما تنشأُ ممن قلَّ دينُهم ففسدتْ طباعُهم وساءتْ أوضاعُهم، ومن لا دينَ له حقيقٌ بكلِّ شرٍ بعيدٌ عن كلِّ خيرٍ جديرٌ بكل هوانٍ.

واعتبروا ـ يرعاكم اللهُ ـ بكثيرٍ من أحوال هؤلاءِ وماذا دخلَ عليهم من النقصِ والجهلِ وفسادِ الأخلاقِ والعقائدِ حتى صاروا يتهارجونَ فلا يقيمونَ فرائضَ ولا يحفظون حدوداً ولا إلى حق يهتدون.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واتخذوا من استقبالِ شهرِكم موقفَ محاسبةٍ فهو شهرٌ متتابعُ الأيامِ متكررٌ كلَّ عامٍ، وماذلكَ إلا ليتكرر الدرسُ وينمو الغرسُ.

اللهم قد أظلَّنا شهرُ رمضانُ فسلِّمْهُ لنا وسلمنا لهُ ووفقنا لصيامِهِ

وقيامِه وتقبَّلْه منا، اللهم وارزقنا فيه الجدَّ في العملِ والقوةَ في الطاعةِ وحسنَ العبادةِ، وأعذنا فيه من الفتنِ ما ظهرَ فيها وما بطنَ، ونسألُك اللَّهم التوفيقَ لكلِّ خيرٍ والمزيدَ من كلِّ برٍ وأوزِعْنا اللهَّم شكرَ نعمتِك ووفقنا لعملٍ صالحٍ ترضاهُ وأدخلنا بِرحمتك في عبادكَ الصالحين.

بين يدي رمضان
الخطبة الثانية

الحمد لله خصَّ بالتشريف والتفضيل بعضَ مخلوقاتِه، أحمده سبحانه واثني عليه بما هو أهله حمداً وثناءً يملآن أرضه وسمواتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له هو أعلمُ بمواضعِ اختيارِهِ وكراماتِه، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ وصفيُّه من رسله ومُختارُه من بريَّاتِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آلهِ وأصحابِه وأتباعِه من أهل محبتِه وموالاتِه.

أما بعد. فاتقوا اللهَ رحمكم الله واعلموا أن ربكم بفضلِه ومنِّه قد جعلَ شهرَ رمضانَ مضماراً لخلقِه يستبقُون فيه بطاعتِه. فبادروا وفقكم الله إلى الخيراتِ وأصلحوا من أحوالكم، فالمسئولية عُظمىٰ والمحاسبةُ دقيقة.

ولقد أوصىٰ أبوذر رضي الله عنه أصحابه يوماً فقال: (إن سفرَ القيامةِ طويلٌ فخذوا ما يُصْلِحُكُم، صوموا يوماً شديدَ الحرِّ لحر يوم النِّشورِ، وصلوا ركعتين في ظلمةِ الليلِ لظلمةِ القبورِ وتصدقوا بصدقةِ السرِّ ليوم عسير).

ولما قيلِ للأحنف بن قيس إنك شيخٌ كبيرٌ وإن الصومَ يُضْعِفُك قال: (إني أُعِدُّ لسفرٍ طويلٍ والصبرُ على طاعةِ الله أهونُ من الصبرِ على عذابِ الله).

فاستكثروا من الطاعاتِ والنوافلِ من بعدِ الفرائضِ، واسعوا في

قضاءِ حوائجِ المحتاجينَ وتفقدِ أحوال المساكينِ يقول الشافعيُّ رحمه الله: (أُحبُّ للصائمِ الزيادةَ في الجودِ في شهرِ رمضان اقتداءً برسول الله ﷺ ولحاجةِ الناس فيه إلى مصالِحهم ولتشاغلِ كثيرٍ منهم فيه بالعبادةِ عن مكاسبِهم).

وأصدقُ من ذلك وأبلغُ وأجمعُ، ما صَحَّتْ به الأخبارُ عن نبيِّنا محمدٍ ﷺ أنه قال مبشراً أصحابَه بقدومِ رمضانَ وحاثاً لهم على المبادرةِ إلى الفضائل: «**أتاكُم رمضانُ شهرُ بركةٍ يَغْشاكُم اللهُ فيه، فَيُنزلُ الرحمةَ ويَحُطُّ الخطايا، ويستجيبُ فيه الدعاءَ يَنظرُ تعالى إلى تنافُسَكُم فيه ويباهيْ بكمْ ملائكتَهُ فأرُوا اللهَ من أنفسِكُم خيراً فالشقيُّ من حُرِمَ فيه رحمةَ اللهِ**»[1].

(١) قال الحافظ الهيثمي رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجده من ترجمه انظر المجمع (٣/ ١٤٢). وقال المنذري: رواه الطبراني، ورواته ثقات إلا أن محمد بن قيس لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل انظر الترهيب (٢/ ٩٩).

صوموا لعلكم تتقون

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ ما تعاقبَ الجديدانِ وتكرَّرتِ المواسمُ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه شكر التقيِّ الصائِم، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عاملٍ بها وعالم، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه حميدُ الشِّيمِ وعظيمُ المكارمِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه كانوا على نهج الهدىٰ معالمٌ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم ونفسيْ ـ أيها الناسُ ـ بتقوىٰ اللهِ، فالعزُّ والشرفُ في التقوىٰ، والسعادةُ والعلا عند أهلِ التقوىٰ. التقوىٰ ـ أيها المسلمون ـ كنزٌ عظيمٌ، وجوهرٌ عزيزٌ. خيرُ الدنيا والآخرةِ مجموعٌ فيها: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]. القبول معلَقٌ بها: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧]، والغفرانُ والثوابُ موعودُ عليها: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق: ٥]. أهلها هم الأعلونَ في الآخرةِ والأولى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

غير أن أزمنتنا المتأخرةَ، وعصورَنا المادية كستْ قلوبَ أصحابِها طبقاتٍ من الغفلةِ، وعَشَتْ على أبصارها سحبٌ من الصدودِ كثيفةٌ. فعَمُوا عن الطريق، وحَسُنَ ظنُّهم بالترقي في جاهِ الدنيا وسلطانِها، فالشقيُّ في ميزانِهم من قلَّتْ مادَّتُه وقُدِرَ عليه

رزقُهُ. وهذا لَعَمْرُ الحقِّ غفلةٌ شنيعةٌ، وجهلٌ في المقاييس عريضٌ. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

نعم أيُّها الإخوةُ: المتقون تَقَرُّ أعينُهم بالطاعاتِ في الدنيا، وبعالي الدرجاتِ من الجنةِ في الأخرىٰ.

يقالُ ذلك أيُّها المسلمون وقد أظلَّكُم هذا الشهرُ الكريمُ المباركُ، شهرٌ فرضَ اللهُ عليكم صيامَهُ لعلكم تتقون.

أيُّها الإخوةُ: غايةُ الصيامِ تقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ. تقوىٰ يتمثلُ فيها الخوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتنزيلِ، والقناعةُ بالقليلِ، والاستعدادُ ليومِ الرحيلِ. تقوىٰ صادقةٌ دقيقةٌ يتركُ فيها الصائمُ ما يهوىٰ حذراً مما يخشىٰ. ولئنْ كانتْ فرائضُ الإسلام وأحكامُهُ وأوامرُه ونواهيْهِ كلُّها سبيلَ التقوىٰ، فإنَّ خصوصية الارتباطِ بين الصيامِ والتقوىٰ شيءٌ عجيبٌ.

أيُّها الإخوةُ: جوارحُ الإنسان عينٌ وأذنٌ ويدٌ ولسانٌ، وبطنٌ وفرجٌ، والقلبُ من ورائِها أصلُها وحاكمُها.

صامَ القلبُ واتقىٰ إذا جرَّدَ العبوديةَ للهِ وحدهُ، خضعَ لجلالِه، وسعىٰ لقُربه، وأنِسَ بمناجاتِهِ. خلُص من الشركِ، وسلِمَ من البدعِ، وتطهَّرَ من المعاصي. قلبٌ تقيٌ يرىٰ الهوىٰ والشهوةَ والظنَّ والبغيَ، والعداوةَ والبغضاءَ، والغلَّ الحسدَ والجدلَ والمراءَ أمراضاً قلبيةً فتاكةً تقتلُ الأفرادَ وتُهلِكُ الأممَ. القلبُ التقيُّ يرفضُها ويأباها ويتَّقيْها ويتقيَّؤُها، وصيامُه ينفيْها ويجفوها.

قلبٌ صائمٌ متدينٌ للهِ بالطاعةِ، مستسلمٌ له بالخضوعِ والاستجابةِ، منقادٌ لتنفيذ الشرعِ في الأمرِ والنهي. عبوديةٌ للهِ خالصةٌ لا يصرفُه عنها شهوةٌ ولا شبهةٌ، ولا يشوشُ عليه فيها أمَانٌ ولا طمعٌ، قلبٌ قويٌ تقيٌ، للهِ صلاتُه وصيامُه ونسكُه ومحياُ ومماتُه. «**فمن صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدمَ من ذنبِهِ**»[1].

وإذا صلحَ القلبُ صلحتْ الجوارحُ، فقامتْ بحقِّ الطاعةِ وكفَّتْ عن الآثام. فالبطنُ محفوظٌ وما حوىٰ، تركَ الطعامَ والشرابَ والشهوةَ من أجل اللهِ تُقىً عالٍ يقيْ النفسَ جماحَ غرائزِها، وإرادةٌ مستعليةٌ مستحكمةٌ تأخذ أمرَ ربِّها بقوةٍ، وتزدجرُ عن النواهيْ باستسلامٍ.

لقد كان على الهدىٰ وائتمرَ بالتقوىٰ من منع جسده تُخْمة الغذاءِ ليمنعَ جوارحَه السوءَ والأذىٰ. قلةُ الشَّبَع تكبحُ الجماحَ، وتُبْعدُ نزغاتِ الشياطين، والشيطانُ يجري من ابن آدمَ مَجرىٰ الدم[2]. قلةُ الشبع تجعلُ الجوارحَ أقربَ لفعلِ القربةِ. يَرقُّ القلبُ ويَغْزُرُ الدمعُ ويُخَذلُ الشيطانُ. وانظرْ ـ حفظَ اللهُ دينَكَ وزادَ في تُقاكَ ـ في ضعافِ مهازيلَ؛ ممن جاعَ نهارَهُ وملأَ في الليل بطنَه، فهو صريعُ لذةٍ عارمةٍ وعبدٌ لشهوةٍ جامحةٍ. هل حققَّ معنىٰ التقوىٰ حين تفنَّنَ بأطايبِ الطعام وألوانِ الموائدِ؟ بينما قليلٌ منه قد يُشْبع جياعاً ويُسعد أسراً؟؟ قليلٌ منه قد يُكَفْكِفُ دموعاً ويوقفُ عبراتٍ؟

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١/ ١٥٥ ـ ح٣٨)، ومسلم (١/ ٥٢٣ ـ ح٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٣٣١ ـ ح٢٠٣٩)، وأبوداود (٢/ ٣٣٣ ـ ح٢٤٧٠)، وابن ماجه (١/ ٥٦٦ ـ ١٧٧٩)، وأحمد (٣/ ١٥٦).

هل أعطىٰ واتقىٰ؟ أم كيف أعطى؟ وماذا اتقى؟ من جعل رمضانَ تبذيراً وفطرَهُ تُخمةً؟؟ مسكينٌ بائسٌ لا يرىٰ في الصومِ إلا جوعاً لا تتحمَّلُه مَعِدَتُهُ، وعطشاً لا تقوىٰ عليه عروقُهُ.

أي تقوىٰ وأي مقاومةٍ عند أمثالِ هؤلاءِ المهازيلِ؟؟ أولئك أقوامٌ انهزمتْ عزائِمُهم أمامَ جوعِ بطونِهم. لقد أورثَهُم الشِّبَعُ قسوةً، فجعلهم نَؤُومِين، وأقعدَهم كُسالاً.

ألا فاقعُدوا فأنتم الطاعِمُون الكاسون؟؟؟ من أعلن استسلامه في معركةِ لُقيماتٍ لا تدومُ سوى سُويعاتٍ فليس جديراً بأن يعيشَ عِزةَ المتقين، وعلياءَ الشهداءِ والمجاهدين.

اللهُ أكبرُ؛ لقد فُرِضَ الصيامُ لتمحيصِ التقوىٰ، وليصبحَ المسلمُ صائماً تقياً في مطعمه ومشرَبِه؛ قصدُه رضا محبوبِه: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»[1]، هذا حالُ البطنِ وما حوىٰ.

فياتُرىٰ مابال الرأسِ وماوعىٰ؟ من لم يَدعْ قولَ الزورِ والعملَ به كيف صامَ؟ وماذا اتقَىٰ؟ حظُّه من صيامِه الجوعُ والعطشُ ونصيبُه من قيامِه السهرُ والنصبُ. أين التقوىٰ في أسماعِهم وأبصارِهم؟ لغوٌ ولهوٌ وقيلَ وقالَ، وأصواتُ معازفَ، وصورٌ ماجنةٌ، وقِصصٌ خالعةٌ. في النهار نومٌ في تقصيرٍ، وفي الليلِ سهرٌ في غيرِ طاعةٍ، متبرمون في أعمالِهم سيِّئون في معاملاتِهم ويتثاقلون في أداءِ مسؤلياتِهم، نشاطٌ في اللهوِ والسمرِ،وكسلٌ في الجدِّ العبادةِ.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥ ـ ح١٨٩٤، ومسلم (٢/ ٨٠٧ ـ ح١٦٥).

أيُّها الأحبةُ: شهرُكُم شهرُ التقوىٰ، شهرُكُم موسمٌ عظيمٌ للمحاسبةِ، وميدانٌ فسيحٌ للمنافسةِ، تصفو فيه نفوسٌ من داخلِها، وتقتربُ فيه قلوبٌ من خالقِها. تفتحُ فيه أبوابُ الجنةِ، وتغلقُ أبوابُ النارِ، وتُصفَّدُ الشياطينُ، وتكثرُ دواعيْ الخيرِ وأسبابُ المثوبةِ.

رحمةٌ ومغفرةٌ وعتقٌ من النارِ. فأقبلوا على الطاعةِ، وتزودوا من التقى واستروِحُوا روائحَ الجنةِ وتعرَّضوا للنفحاتِ.

الصائمونَ المتقونَ لا يزالونَ في صلاةٍ وصيامٍ وتلاوةٍ وذكرٍ وصلةٍ وإحسانٍ وجدٍ وعملٍ. فاطلبوا الخيرَ دهرَكُم، وتعرَّضوا لنفحاتِ ربّكم، فخيرُكُم من طالَ عمرُهُ وحسُنَ عملُه، وشرُّ الناسِ من طالَ عمرُه وساءَ عملُه.

أيُّها المتقونَ الصائمونَ: فتِّشُوا عن المحتاجين من أقربائِكم والمساكينَ من جيرانِكم والغرباءِ من إخوانِكم، لا تنسوا بِرَّهم وإسعادَهم، أشرِكُوهم معكم في رزقِ ربّكم. اذكروا جوعَ الجائعين، ولوعةَ الملتاعين، وعبراتِ البائِسين، وغربةَ المشرَّدين ووحشة المهجَّرين.

اسألوا في شهرِ التقوىٰ والمحاسبةِ: هل قام بحقِّ التقوىٰ من باتَ شبعانَ وحولَه جائعٌ يستطيعُ إشباعَه فلم يفعلْ؟ وهل قام بحقِّ الشهرِ من رأى نفساً مؤمنةً بائسةً يستطيعُ إسعادها فلم يفعل؟.

أيُّها المسلمون: صوموا حقَّ الصيامَ لعلكم تتقون. ومن يتقِ اللهَ يكنْ اللهُ معَهُ، ومن كان اللهُ معَهُ فمعه الفئةُ التي لا تُغلبُ، والحارسُ الذي لا ينامُ، والهادي الذي لا يَضِلُّ، وإذا كان اللهُ

معك ياعبدَاللهِ فمن تخاف؟ وإذا كان عليك فمن ترجو؟؟.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

صوموا لعلكم تتقون

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ جعلَ الصيامَ جُنةً، وسبباً موصلاً إلى الجنةِ، أحمده سبحانه وأشكرُه هدى إلى خيرِ طريقٍ وأقومِ سنةٍ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه بعثه إلينا فضلاً منه ومنَّةً، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فاتقوا اللهِ أيُّها الناسُ، فالشهورُ والأعوامُ والليالي والأيامُ مواقيتُ الأعمالِ ومقاديرُ الآجالِ تمرُّ سريعاً وتنقضي جميعاً. إنها أيامُ الله خلقها وأوجدَها وخصَّ بعضَها بمزيدٍ من الفضلِ، فما من يومٍ إلا وللهِ فيه على عبادِه وظيفةٌ من وظائفِ طاعاتِه، ولطيفةٌ من لطائفِ نفحاتِه، يصيبُ بفضلِه ورحمتِه من يشاءُ من عبادِه وهو الغفورُ الرحيمُ. وإن بين أيديكم شهراً عظيماً، وأياماً فاضلةً وليالِيَ شريفةً، فأحسنوا فيها الوِفادةَ وجِدُّوا فيها بالعملِ. فلم يكن سلفُكُم يستعدون لها بمزيدٍ من الأكلِ والشربِ، ولكن بالطاعةِ والعبادةِ والجودِ والسخاءِ، فهم مع ربِّهم عبادٌ طائعون، ومع إخوانهم بررةٌ محسنون، والأسوةُ في ذلك والأمامُ نبيُّكم محمدٌ عليه الصلاة والسلام فهو أجودُ ما يكونُ في رمضانَ[1]، ويجتهدُ فيه ما لا يجتهدُ في غيرِه، يحي ليلَه ويوقظ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس أخرجه البخاري (٤/ ١٣٩ ـ ح١٩٠٢)، =

أهلَه ويشدُّ المئزرَ[1] . ذلكم هو مسلكُ التقوىٰ، وهذه مراسمُ الاستقبالِ فاعملوا وأحسنو وأبشروا.

= ومسلم (٤/ ١٨٠٣ ـ ح٢٣٠٨) ونصه: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة».

(١) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري (٤/ ٣١٦ ـ ح٢٠٢٤)، ومسلم (٢/ ٨٣٢ ـ ح١١٧٤) واللفظ له ونصه: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر».

قربات في العشر الأخيرة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أهلِ الحمدِ والشكرِ، والإحسانِ والبرِ، أحمدُه سبحانه فضلَ شهرَ رمضانَ وخصَّ أيام العشر، وعظَّم فيها ليلةَ القدرِ، وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه، نِعَمُه تَجِلَّ عن الحصر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه أكرمُ رسولٍ نزل عليه أشرفُ ذكرٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر.

أما بعدُ فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسِي بتقوىٰ الله عز وجل، فتقوىٰ الله أكرمُ ما أسررتمْ وأجملُ ما أظهرتم، وأفضلُ ما ادخرتم، أعاننا الله على لزومِها، وأوجب لنا ثوابَها.

أيُّها المسلمون: هذه أيامُ شهرِكم تتقلَّصُ، ولياليه الشريفةُ تتقضَّىٰ، تتقلَّصُ وتتقضىٰ شاهدةً بما عملتم، وحافظةً لما أودعتم، هي لأعمالكم خزائنُ محصنةٌ، ومستودعاتٌ محفوظةٌ، تُدْعَون يومَ القيامةِ: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ [آل عمران: ٣٠] ينادي ربُّكم: «**ياعبادي إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم ثم أُوَفِّيْكُم إيَّاها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجدَ غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٥ ـ ح٢٥٧٧).

هذا هو شهرُكم، وهذه هي نهاياتُه، كم من مستقبلٍ له لم يستكملْهُ؟؟ وكم من مؤمِّلٍ بعود إليه لم يدْرِكْه. هلا تأملتم الأجل ومسيرَه، وهلا تبينتم خداعَ الأملِ وغرورَه.

أيها الإخوةُ: إن كان في النفوس زاجرٌ، وإن كان في القلوبِ واعظٌ، فقد بقيتْ من أيامه بقيةٌ. بقيَّةٌ وأيُّ بقيةٌ، إنها عشرُهُ الأخيرةُ. بقيةٌ كان يحتفي بها نبيُّكم محمدٌ ﷺ أيَّما احتفاءٍ. في العشرين قبلها كان يَخلطُها بصلاةٍ ونوم فإذا دخلتْ العشرُ شمَّرَ وجَدَّ وشدَّ المئْزرَ. هجرَ فِراشَهُ، وأيقظَ أهلَه[1]، يطرُق البابَ على فاطمةَ وعليٍ رضي الله عنهما قائلاً: «**ألا تقومان فتصليان**»[2] يطرُق البابَ وهو يتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، ويتجهُ إلى حُجُراتِ نسائِه آمراً: «**أيقظوا صواحب الحجر فرب كاسية في الدنيا عاريةٌ يوم القيامة**»[3].

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري (٤/ ٣١٦ ـ ح٢٠٢٤)، ومسلم (٢/ ٨٣٢ ـ ح١١٧٤) واللفظ له ونصه: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر».

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٢٢)، والبخاري (٣/ ١٣ ـ ح١١٢٧) ولفظه عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يارسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلا».

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٣ ـ ح١١٥)، (٣/ ١٣ ـ ح١١٢٦)، (١٠/ ٣١٥ ـ ح٥٨٤٤)، (١٠/ ٦١٣ ـ ح٦٢١٨)، ومالك في الموطأ مرسلا (٢/ ٩١٣) كتاب اللباس ح٨.

«**لم يكن النبيَّ ﷺ إذا بقي من رمضانَ عشرةُ أيامٍ لا يدعُ أحداً من أهلِه يطيقُ القيامَ إلا أقامَهُ**»[1].

أيُّها المسلمون: اعرفوا شرفَ زمانِكم، واقدروا أفضلَ أوقاتِكم، وقدموا لأنفسِكم لا تضيُّعُوا فرصةً في غير قربةٍ.

إحسانُ الظنِّ ليس بالتمنيِّ، ولكن إحسانَ الظنِّ بحسن العملِ، والرجاءُ في رحمةٍ مع العصيانِ ضربٌ من الحُمقِ الخذلانِ، والخوفُ ليس بالبكاءِ ومسحِ الدموع ولكنَّ الخوفَ بتركِ ما يُخافُ منه العقوبةُ.

أيُّها الأحبةُ: قدِّموا لأنفسِكم وجدُّوا وتضرَّعوا. تقول عائشةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها: يارسولَ اللهِ: أرأيتَ إن علمتُ ليلةَ القدرِ ماذا أقولُ فيها؟ قال قولى: «**اللهم إنك عَفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنى**»[2].

نعم أيُّها الإخوةُ: الدعاءَ الدعاءَ. عُجُّوا[3] في عشرِكُم هذه بالدعاءِ. فقد قال ربُّكم عزَّ شأنهُ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. أتعلمون من هُم هؤلاءِ العبادُ؟ الخلائقُ كلُّهم عبادُ اللهِ. ولكنَّ هؤلاءُ عبادٌ مخصوصون إنهم عبادُ

---

(١) قال الحافظ في الفتح: رواه الترمذي ومحمد بن نصر من حديث زينب بنت أم سلمة. انظر البخاري مع الفتح (٣١٦/٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٩٩/٥ ـ ح٣٥١٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٢٦٥/٢ ـ ح٣٨٥٠) وصححه الألباني.

(٣) العج: رفع الصوت.

الدعاءِ، عبادُ الإجابة، إنهم السائلون المتضرعون سائلون مع عِظَم رجاءٍ ومتضرعون في رغبةٍ وإلحاحٍ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

إن للدعاءِ ـ أيُّها الإخوةُ ـ شأناً عجيباً، وأثراً عظيماً في حسنِ العاقبةِ، وصلاحِ الحالِ والمآلِ والتوفيقِ في الأعمالِ والبركةِ في الأرزاقِ.

أرأيتُم هذا الموفَّقَ الذي أدرَكه حظُّه من الدعاءِ ونالَ نصيبَه من التضرُّعِ والالتجاءِ يلجأُ إلى اللهِ في كلِّ حالاتِه، ويفْزَعُ إليه في جميعِ حاجاتِه، يَدعو ويُدْعىٰ لهُ، نال حظَّهُ من الدعاءِ بنفسه وبغيرِه، والداه الشفوقان، وابناؤه البررةٌ والناسُ من حوله كلُّهم يحيطونَه بدعواتِهم، أحبَّه مولاهُ فوضعَ له القبولَ، فَحَسُنَ منه الخُلُقُ وزانَ منه العملُ، فامتدتْ له الأيدي، وارتفعتْ له الألسنْ تدعو له وتحوطُه، ملحوظٌ من اللهِ بالعنايةِ والتسديدِ، وبإصلاح الشأنِ مع التوفيقِ.

أين هذا من محرومٍ مخذولٍ لم يذُقْ حلاوةَ المناجاةِ يستنكفُ عن عبادةِ ربِّه، ويستكبرُ عن دعاءِ مولاهُ. محرومٌ سدَّ على نفسِه بابَ الرحمةِ، واكتسى بحُجُبِ الغفلةِ.

أيُّها الإخوةُ: إن نزعَ حلاوةِ المناجاةِ من القلبِ أشدُّ ألوانِ العقوباتِ والحرمانِ. ألم يستَعِذْ النبيُّ ﷺ من قلبٍ لا يخشعُ وعينٍ لا تدمعُ ودعاءٍ لا يُسْمَعُ؟؟؟.

إن أهل الدعاءِ الموفَّقينَ حين يعُجُّون إلى ربِّهم بالدعاءِ، يعلمون أن جميعَ الأبوابِ قد توصدُ في وجوهِم إلا باباً واحداً

هو بابُ السماءِ. بابٌ مفتوحٌ لا يُغلقُ أبداً، فتحهُ من لا يردُّ داعياً ولا يُخيِّبُ راجياً. فهو غياثُ المستغيثين، وناصرُ المستنصرين، ومجيبُ الداعين.

أيُّها المجتهدون: يجتمعُ في هذه الأيامِ أوقاتٌ فاضلةٌ وأحوالٌ شريفةٌ. العشرُ الأخيرةُ، جوفُ الليلِ من رمضانَ، والأسحارُ من رمضانَ، دبُرُ الأذانِ والمكتوباتِ، أحوالُ السجودِ، وتلاوةُ القرآنِ، مجامعُ المسلمين في مجالسِ الخيرِ والذكرِ، كلها تجتمعُ في أيَّامِكم هذه. فأين المتنافسون؟؟؟.

ألظُّوا[1] بالدعاءِ ـ رحمكم اللهُ ـ لا تسأموا ولا تعجَزُوا ولا تستبطؤا الإجابةَ. فيعقوبُ عليه السلامُ فقد ولدَهُ الأولَ ثم فقد الثاني في مُدَدٍ متطاولةٍ، ما زاده ذلكَ بربِّه إلا تعلقاً: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ [يوسف: ٨٣] ونبيُّ اللهِ زكريَّا عليه السلام؛ كَبُرَ سنُّه واشتعلَ بالشيبِ رأسُهُ ولم يزلْ عظيمَ الرجاءِ في ربِّه حتى قال محقِّقاً: ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾ [مريم: ٤].

لا تستبطىءْ الإجابةَ ـ ياعبدَاللهِ ـ قربُّكَ يُحبُّ تضرَّعَكَ، ويحبُّ صبرَكَ، ويُحبَّ رضاكَ بأقدارِه، رضاً بلا قنوطٍ، يبتليكَ بالتاخيرِ لتدفعَ وَسْوَاسَ الشيطانِ، وتصرفَ هاجسَ النفسِ الأمارةِ بالسوءِ، وقد قال نبيُّك محمدٌ ﷺ **«يُستجابُ لأحدِكم ماَ لم يعجلْ، يقولُ دعوتُ فلم يستجبْ لي»**[2].

---

(١) أي: ألحُّوا.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري(١١/ ١٤٥ـح٦٣٤٠)، ومسلم(٤/ ٢٠٩٥ـح٢٧٣٥)

أيُّها الإخوةُ: ويَجْمُلُ الدعاءُ وتتوافرُ أسبابُ الخيرِ ويعظُم الرجاءُ حينَ يقترنُ بالاعتكافِ، فقد اعتكفَ رسولُ الله ﷺ هذه الأيامَ حتى توفاه الله.

عجيبٌ هذا الاعتكافُ في أسرارِه ودروسِه؟؟؟.

المعتكفُ ذكرُ اللهِ أنيسُه، والقرآنُ جليسُه، والصلاةُ راحتُه، ومناجاتُ الحبيبِ متعتُه، والدعاءُ والتضرعُ لذتُه.

إذا أوىٰ الناسُ إلى بيوتِهم وأهليهم، ورجعوا إلى أموالِهم وأولادِهم لازمَ هذا المعتكفُ بيتَ ربِّه وحبَس من أجلِه نفسَهُ، ويقفُ عند أعتابِه يرجو رحمتَهُ ويخشىٰ عذابَه، لا يُطلقُ لسانَه في لغوٍ ولا يفتحُ عينَه لفحشٍ ولا تتصنَّتُ أذُنُه لَبذَاءٍ. سلِمَ من الغيبةِ والنميمةِ جانب التنابُزَ بالألقابِ، والقدحَ في الأعراضِ، ومسارقةَ الطبعِ من الأخلاقِ الرديئةِ، استغنىٰ عن الناس وانقطعَ عن الأطماعِ، علمَ واستيقنَ أن رضا الناسِ غايةٌ لا تدركُ.

في درسِ الاعتكافِ انصرَفَ المتعبدُ إلى التفكيرِ في زادِ الرحيلِ وأسبابِ السلامةِ، السلامةِ من فضولِ الكلامِ، وفضولِ النظرِ، وفضولِ المخالطةِ.

في مدرسةِ الاعتكافِ يتبيَّنُ للعابدُ أن الوقتَ أغلىٰ من الذهبِ فلا يبذلُهُ في غيرِ حقٍّ، ولا يشتري به ما ليسَ بحمدٍ، يحفظُهُ عن مجامعَ سيئةٍ، بضاعتُها أقوالٌ لا خير في سماعِها، ويتباعدُ بهِ عن لقاءِ وجوهٍ لا يسرُّ لقاؤُها.

أيُّها المسلمون: أيامٌ فاضلةٌ تُشْغلُ بالدعاءِ والاعتكافِ، وتُستغل فيها فُرصُ الخيرِ وإن من أعظَم ما يُرجىٰ فيها ويُتحرىٰ ليلةُ القدرِ:

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ ﴾ [القدر: ٢] من قامَها إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبه.

ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، خفيَ تعيينُها اختباراً وابتلاءً، ليتبيَّنَ العاملون وينكشفَ المقصِّرون، فمن حرصَ على شيءٍ جدَّ في طلبِه، وهان عليه ما يَلقىٰ من عظيمِ تعبِه.

إنها ليلةٌ تجريْ فيها أقلامُ القضاءِ بإسعادِ السعداءِ وشقاءِ الأشقياءِ: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ [الدخان: ٤] ولا يهلكُ على الله إلا هالكٌ.

فاتقوا الله رحمكم الله واعملوا وجددوا وأبشروا وأملوا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾ [سورة القدر].

قربات في العشر الأخيرة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ عَظُمَ شأنُه ودامَ سلطانُه، أحمدُه سبحانه وأشكرُه عمَّ امتنانُه وجَزُلَ إحسانُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه به علا منارُ الإسلامِ وارتفع بنيانُه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيُّها الناسُ: أُوصيكُم بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ فإن تقوىٰ اللهِ خلفٌ من كلِّ شيءٍ، وليس من تقوىٰ اللهِ خلفٌ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨].

أيُّها المسلمون: أيامكم هذه من أعظمِ الأيامِ فضلاً وأكثرِها أجراً، تصفو فيها لذيذُ المناجاةِ، وتُسكبُ فيها غزيرُ العبراتِ، كم للهِ فيها من عتيقٍ من النارِ؟؟ وكم فيها من منقطعٍ قد وصلته توبته؟؟.

المغبون من انصرفَ عن طاعةِ اللهِ، والمحرومُ من حُرِمَ رحمةَ اللهِ، والمأسوفُ عليه من فاتتْ عليه فُرَصُ الشهرِ، وفرَّطَ في فضلِ العشرِ، وخابَ رجاؤُه في ليلةِ القدرِ، مغبونٌ من لم يرفعْ يديه بِدَعْوةٍ، ولم تذرفْ عينُه بدمعةٍ، ولم يخشعْ قلبه للهِ لحظةٍ. ويحَهُ ثم ويحَهُ أدرك الشهرَ ألم يحظَ بمغفرة؟؟ ألم ينلْ رحمةً؟؟ يا بؤسه ألم تُقَلْ له عثرةٌ؟ ساءت خليقتُه وأحاطتْ به خطيئتُه، قطَّع شهرَهُ

في البطالةِ وكأنُه لم يبقَ للصلاحِ عنده موضعٌ، ولا لحبِّ الخيرِ في قلبِه مَنْزَعٌ. طالَ رُقادُه حين قامَ الناسُ؟؟ هذا والله غايةُ الإفلاس والإبلاس؟؟ عصىٰ ربَّ العالمين، واتَّبعَ غيرَ سبيل المؤمنين؟؟ أُمَرَ بالصلاةِ فضيَّعَها، وَوَجبتْ عليه الزكاةُ فانتقَصَها ومنَعَها؟؟ دعتْهُ دواعيْ الخيرِ فأعرضَ عنها، مسؤلياته قصَّر فيها، وقصَّرَ فيمن تحت يديه من بنين وبنات. يفرط في مسئولياته وقد علم أن من سنة نبيِّكم ﷺ **أنه يوقظ أهله**(١). أما هذا فقد اشتغل بالملهياتِ وقطَّع أوقاته في الجلبةِ في الأسواقِ والتعرض للفتنِ.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله وقوا أنفسَكُم وأهليكم ناراً فإن الشقيَّ من حُرِمَ رحمة الله.

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ١٦١ ـ ح٧٩٥) وقال: حديث حسن صحيح.

الحج مدرسة وموقف
الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمدِ، لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفواً أحدٌ، أحمده سبحانه حمداً لا يُحَدُّ، وأشكره شكراً لا يُعَدُّ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبةَ ولا ولدَ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوثُ إلى الأبيضِ والأحمرِ والأسودِ. صلى الله وسلم وبارك عليه هدى بإذن ربه إلى السبيلِ الأقومِ والمنهج الأرشدِ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم وجدَّ واجتهد.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ، جِدُّوا في طلبِ الخيراتِ واغتنموا أوقاتكم في الأعمالِ الصالحاتِ.

أيُّها الحاجُّ الكريمُ: هاأنت تخطو خطواتِك إلى هذه الأرضِ الطيبةِ، الطاهرةِ المقدسةِ، خطواتٍ وئيدةً مهيبةً، تقبل اللهُ حجَّكَ وغفرَ ذنبكَ وشكرَ سعيَكَ.

إنها أرضُ الإسلامِ الأولىٰ، لقد كانت ميداناً لأروعِ حوادثِ التاريخِ، وأخلدِ ملاحمِ الإنسانيةِ.

هذه الأرضُ المباركةُ بكعبتِها ومسجدِها، وشعائرِها ومشاعرِها، تَروِي تاريخاً طويلاً زاخراً بألوانِ الجهادِ وصورِ البطولاتِ ومصارعِ الشهداءِ وجميلِ الانتصاراتِ. يتردَّدُ في أجوائِها وأصدائِها نداءُ محمد ﷺ حينَ انبثقَ معهُ نورُ الإسلامِ،

فتغيرتْ معالمُ التاريخِ، وقَفَزتْ الإنسانيةُ إلى أسمىٰ آفاقِها.

هـل تعيـشُ أيهـا الحـاجُّ ـ حفظـك الله ـ هـذه المشـاعـرَ والأحـاسيـسَ؟؟ وهـل ملكـتْ عليـكَ روحَـكَ وقلبَـكَ ونفسـكَ وجسَدَكَ؟؟ هل أدركتَ أن الحجَّ ركنٌ شديدٌ من أركانِ التواصلِ ورباطٌ وثيقٌ بين الماضيْ والحاضرِ والمستقبلِ؟؟ إنه شاهدُ التاريخِ ونورُ العقيدةِ وبرهانِ الإيمانِ. إنه الركنُ والرباطُ الذي يجعلُكَ تقفُ موقِفَ الناظرِ المتأمِّلِ والمحاسبِ والمقارنِ.

الحجُّ مدرسةٌ والحجُّ موقفٌ. ياترىٰ هل تحسنُ المقارنةَ؟ وهل تُتْقنُ الموازنة؟.

ها هو عمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه يكتبُ لإمرائِه وولاتَه أن يوافوه بالموسم ليبحثَ شؤونَ الأقاليمِ وأمورِ الرعيةِ ليتحققَ من بَسْطِ العدلِ ويطَمئنَّ على وصولِ الحقِّ.

هذا موقف؟؟؟.

وفي مقابله يقفُ رجلٌ من ساسةِ الغربِ صارخاً في قومِه؛ بل في العِلْيَةِ من قومِه ليقول: إن العقبةَ الكؤودَ أمامَ الاستقرارِ والتمكنِ من الإسلام وأهلِ الإسلامِ وديارِ الإسلامِ شيئانِ لابُدَّ من القضاءِ عليهما مهما كلَّفنا الأمرُ، أولهما: هذا الكتابُ ـ يعنى القرآن العظيمَ. وسكتَ قليلاً ثم اتجهَ نحو الشرقِ قائلاً وهذه؟؟ وأشار بيده نحو مكةَ والكعبةِ؛ ألا شُلَّتْ يَمينُهُ.

أيُّها الحاجُّ ـ رعاكَ الله ـ وأنت تقفُ موقفَ المتأمِّلِ: كم حاولَ الأعداءُ تمزيقَ الأمةِ؟؟ كم اصطنعوا من الفواصلِ!! وكم افتعلو من الحواجزِ؛ جغرافياً وقومياً وحزبياً وسياسياً ومذهبياً وطائفياً.

لقد قطعوا الأسبابَ، وحرَّموا التواصلَ، وفصلوا الحاضرَ عن الماضي المجيدِ، وأظلموا الطريقَ نحو المستقبلِ المأمولِ.

نعم لقد حاولوا إطفاءَ جذوةِ الدِّينِ الموحِّدِ، وقتلَ اللغةِ المشتركةِ، وطمسَ التاريخِ المجيدِ، ولقد قطعوا ـ أخزاهم اللهُ ـ في تحقيق مآربِهم شوطاً بعيداً. وما دمتَ في موقفِ الاعتبارِ ودروسِ الحجِّ فإن أمامكَ صورتين بائستين تجمعُ لكَ ذلك كلَّه؛ إنا صورةٌ من إخوانِك في فلسطين وصورةٌ من إخوانِك في البوسنةِ والهرسك.

أما الصورةُ من فلسطين؛ فحالُ اليهودي الآثم مع عصبته حين قتلَ المصلين الصائمينَ الركعَ السجودَ في جامعِ الخليلِ في فجرِ الجمعةِ من رمضان[١] في فلسطينِنا المحتلةِ وقد قال حكامُ صهيون إنه مجنونٌ. ومن كان مجنوناً فليس بمجرمٍ.

نعم؛ إن الأعمالَ التي يمارسُها صهيونُ وغلاتُهم في الخليلِ وفي القدسِ وفي غزةَ وفي كلِّ الأرضِ المحتلةِ أعمالُ مجانينَ إذا ما قيستْ بمقياسِ العقلِ، وهي أعمالُ مجرمين إذا ما وزنت بميزانِ العدلِ، وهي همجيةٌ إذا عُرِضتْ على معايير الإنسانيةِ، وهي قبلَ ذلك وبعدَهُ عداونٌ صارخٌ آثمٌ إذا ما قَيستْ بمقياسِ الدينِ والحقِّ.

هذه صورةٌ. أما الصورةُ من البوسنةِ. والبوسنةُ كلُّها مأساة الصورةُ التي تجسِّدُ شريعةَ الغابِ وقانونَ الاستبدادِ. شريعةٌ وقانونُ

---

(١) عام ١٤١٤هـ.

يكون الغاصبُ فيها مالكاً، والمعتدي مدافعاً، والمجرمُ محقاً.

إنها صورة قوارجدة[1] التي افترسها الصربُ المجرمونَ على سمعِ العالمِ وبَصَرِه، في دُوَلِه الكُبرىٰ ومنظمتِه المتواطئةِ.

سُئِلَ أحدُ أصحابِ القرارِ في دولةٍ كبرىٰ[2]: هل ستسمحُ دولتُه بسقوطِ مدينةِ قوارجدةَ في أيدي الصربِ؟.

فكان الجواب: إننا لن نتدخلَ من أجلِ منعِ حدوثِ ذلك؟.

ولفظاعةِ الجوابِ وشناعةِ المنطقِ سألوا زميلَه[3]، وقد كان أكثرَ نفوذاً منه، سألوه عن رأيه في إجابةِ صاحبِه فقال: إنها إجابةٌ مُرضيةٌ. أما متحدِّثُهم الرسميُّ فقد فتح الله عليه بهذا التصريح: (إن نوايا الصربِ غير واضحةٍ عندي، ولكنهم يواصلون الهجومَ والقصفَ، ولا أعرف ماذا سيفعلون؛ فلستُ خبيراً بنواياهم). ماهذه البراءةُ؟ بل ماهذه الصفاقةُ؟.

أما المنظمةُ الدوليةُ مظلةُ الحقِّ العدلِ والإنصافِ عندهم فيقول قائلها[4]: (من الواضح أن ما يحدثُ في البوسنةِ مهمٌ ويثيرُ القلقَ ولكنني لا أعتقدُ أنه يجبُ المبالغةُ في الآثارِ الاستراتيجيةِ لما يحدثُ). ما أرخصَ دماءَ البشرِ أمامَ الغاياتِ الاستراتيجيةِ. بل ما أرخصَ دماءَ المسلمين أمامَ شعارِهم الدولي المتأنقِ: ((حقـوقِ الإنسـانِ)).

---

(١) قوارجدة: منطقة في البوسنة.
(٢) وزير الدفاع الأمريكي.
(٣) وزير الخارجية الأمريكي كريستوفر.
(٤) قائد قوات الأمم المتحدة في البوسنة.

أيُّها الإخوةُ المسلمونَ: إن ما يحدثُ اليومَ في هذا الموقعِ سيمتدُّ إلى غيرِهِ. وما حالُ كشميرَ عنكم ببعيدٍ إنها على ذاتِ الطريقِ تسيرُ.

إن أطماعَ الأعداءِ لن تقفَ عند حدٍ. ولن تُعذرَ أمةُ الإسلامِ بِضَعفِها لأن ضعفِها بسببِ فُرقتِها.

إذنْ أينَ المخرجُ؟ وكيفَ المخرجُ؟.

المخرجُ جليٌّ، والطريقُ أبلجُ. ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

إنه الدينُ ولا شيءَ غيرُ الدينِ. إنه الدينُ الذي يُكسبُ الأمةَ تَميُّزاً يمنعُها من الذوبانِ والتميعِ والتطبيعِ، يُحصِّنُها مما يُرادُ بها، ويحفظُها مما يُخطِّطُ أعداؤُها.

إنها العقيدةُ التي تجمعُ كلمتَها، العقيدةُ التي تَحْصُرُ عداوتَها في أعدائِها.

لن يكونَ الغَبَشُ، ولن يكونَ اللَّبسُ في أمةٍ تُحسنُ قِراءةَ سورةِ الفاتحة من كتابِ ربِّها، تُردِّدُها وتَستيْقِنُها وتعملُ بها: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

الأمةُ في عقيدِتها تمثِّلُ الجسدُ الواحدَ والبنيانَ المرصوصَ. هل يجتمعُ الدينُ الصحيحُ والعقيدةُ الصافيةُ مع الثقةِ بالعدوِّ وتصديقِ

أخبارِه والاعتمادِ على وعودِه؟.

تُقرِّرُ العقيدةُ أن الركونَ إلى الذينَ ظلموا والرضا عن أحوالهم ليس له نتيجةٌ إلا أن يُسامَ المسلمون سوءَ العذابِ، تُمتهن الكرامةُ، وتداسُ المهابةُ، وتُسترخصُ الدماءُ ويُستباح الحمىٰ، وتُنتقصُ الديارُ وتُستنزَفُ الأموالُ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

تُقررُ العقيدةُ أن العدوَّ إذا علا أمرُهُ فلن يقبلَ من المسلم إلا الردةَ أو القتلَ: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف: ٢٠].

تُجلِّيْ العقيدةُ العلاقةَ مع العدوِّ في أجلىٰ صورةٍ، إنهم إنْ أبدوا الودَّ ظاهراً وتظاهروا بالحرصِ على مصالحِنا وحقوقِنا فما هذا إلا بظاهرٍ من القولِ، أما قُلُوبُهم وغاياتُهم فمنعقدةٌ على العداوةِ والبغضاءِ: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨].

العقيدةُ تؤكِّدُ أن الأعداءَ لا يألون جهداً في إلحاقِ الضررِ بالمسلمينَ، وإذا حلَّتْ بالمسلمين الكوارثُ والمصائبُ، وخسروا الأهلَ والديارَ والأموالَ فذلك ما يشتهون، وتولَّوا وهم فرحون: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وفي النهايةِ فإن عقيدتَكَ أيُّها المسلمُ تؤكِّدُ لكَ أن أعداءَك مستمرون في القتالِ والايذاءِ سراً وجهراً قديماً وحديثاً، في صفاقةٍ ظاهرةٍ، أو خطةٍ ماكرةٍ، في حروبٍ باردةٍ أو معاركَ ملتهبةٍ، ليس

لهم غايةٌ إلا أن يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

وبعدُ أيها الأخوةُ فهذه مواقفُ، وهذه دروسٌ، والطريقُ أبلجُ، والمحجةُ بيضاءُ، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الحج مدرسة وموقف

الخطبة الثانية

الحمد للهِ حمداً كثيراً كما أمرَ، أحمده سبحانه وأشكرُه وقد تأذنَّ بالزيادةِ لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ البشرِ والشافعِ المشفَّعُ في المحشرِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه السادةِ الغررِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فاتقوا الله أيها الناس وأطيعوهُ، وعظموا أمره ولا تعصوه.

أيُّها المسلمون: إن مع العسر يسراً، وإن للكربِ نهايةً وإن الظلمات تحمل في أحشائِها الفجرَ المنتظرَ.

إن الدينَ الذي صلحَ به الأولون سيصلحُ به الآخِرون لا محالةَ.

إن الدين الذي ضَمِن العزةَ والمنعةَ والقوةَ لأسلافنا الماضين لا يزالُ هو الدينُ الذي لايغيِّرُه الزمنُ، ولا تجافيْهِ الفطرةُ، ولا تَنْسخُه المذاهبُ.

يجسِّدُ ذلك حقيقةَ التجسيدِ الحديثُ النبويُّ في قوله ﷺ: **«مثلُ ما بعثني به اللهُ من الهدىٰ والعلم كمثلِ غيثٍ أصاب أرضاً كان منها طائفةٌ طيبةٌ قبلتْ الماءَ وأنبتَتْ الكلأ والعشبَ الكثيرَ، وكان منها أجادبُ أمسكتْ الماءَ فنفعَ اللهُ بها الناسَ فشربوا منها**

وسقَوا وزَرَعوا، وأصابَ طائفةً منها أخرىٰ إنما هي قيعانٌ لا تُمسكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً»[1] .

وإذا كان المَسلمون اليومَ في كثيرٍ من أحوالِهم قيعاناً تَحدَرتْ في رواسبِ العقائدِ الخاطئةِ فأصبحت غايةُ الدينِ عندهم مظاهرَ من العبادةِ وظواهرَ من البدعِ وأقاويلَ من الوعظِ فقد آن الأوانُ ليكشفوا عن العيونِ غشاوةَ الباطلِ ويَجْلو عن القلوبِ صدأ الغفلةِ، فيُبصروا الطريقَ ويستبينوا الغايةَ، فيتعاطفون على البعدِ، ويتناصرون على القربِ، ويتحدون في مواقِفِهم من الأحداثِ، ويقيمون شرعَ اللهِ، ويصدقون مع ربِّهم مع أنفسِهم، وحينئذٍ تشرِق الصباحُ، وينجليْ الظلامُ، يهدي اللهُ لنورِه من يشاء ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الملك: ٢٠].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١/ ٢١١ ـ ح٧٩)، ومسلم (٤/ ١٧٨٧ ـ ح٢٢٨٢) واللفظ له.

خطبة عيد الأضحىٰ
كلكم لوامون فأين المصلحون؟
الخطبة الأولى

الله أكبر (تسعاً). الله أكبرُ خلقَ فقدَّرَ، وملكَ فقهرَ، وأرادَ فأمرَ، الله أكبرُ عزَّ سلطانُه وعمَّ إحسانُهُ، عنت الوجوهُ لعظمَتِه، وخضعتْ الخلائقُ لقدرتِه. الله أكبرُ ما عبدَ عابدٌ ربَّهَ وشكرَ، وما أذنبَ مذنبٌ فأنابَ واستغفرَ. الله أكبرُ عددَ ما ذكرهُ الذاكرونَ وكبَّرهُ المكبِّرون، والله أكبرُ عددَ ما هلَّلَ المهللون ولبى الملبون، الله أكبرُ ما أحرموا بالحجِ والعمرةِ وقصدوا البيتِ العتيقَ، طافوْا سعَوْا والتزموا الملتزمَ، وصلَّوْا خلفَ المقامِ وفي الحِجْرِ وشربوا من ماءِ زمزمَ. الله أكبرُ كبيرا والحمدلله كثيراً وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلا.

الحمدللهِ فالقِ الإصباحِ جاعلِ الليلِ سكناً، خالقِ الخلقِ القائم بأرزاقِهِم فما لأحدٍ عنه غِنىٰ. له الكمالُ والدوامُ سبحانَه وما سواهُ لهُ النقصُ والفنا.

أحمده سبحانهَ وأشكرهُ وأتوبُ إليه وأستغفره سراً وعلناً. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ حقٍ مخلصاً موقناً. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا وحبيبنَا محمداً عبدُاللهِ ورسولُه بحبِّه واتباعهِ ينالُ العبدُ المنىٰ، جاهدَ في الله حقَّ جهاده، وأَقامَ أَعلامَ الملةِ فما وهنَ عزمُهُ وما انثنىٰ. صلَّىٰ اللهُ وسلمَ وباركَ عليه وعلى آلهِ وأصحابهِ قدوتِنا وأئِمتنا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الفنا.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

أما بعد أيُّها المسلمون حجاجَ بيتِ اللهِ: توحيدُ الله افرادهُ بالعبادةِ ذلكمُ هو أصلُ الدينِ وقاعدتُه. التوحيدُ هو ملاكُ الإسلام ودعامتُه، لا تصح قربةٌ ولاَ عبادةٌ ولا يُقْبلُ عملٌ ولا طاعةٌ إلاَ بإخلاصِ التوحيدِ لله: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ.. ﴾ [البينة: ٥] من ذا الذي يُرجىٰ خيرهُ ونفعهُ إلا اللهُ، ومن ذا الذي يُطاع أمرُه ويُنفَّذُ مرادُه إلا الله، من ذا الذي يُخشىٰ بأسُه ويُخافُ بطشهُ إلا الله. له العزةُ والملكوتُ، وبيده القوةُ والجبروتُ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢، ١٠٣] بيده التصريفُ والتدبيرُ. أرسلَ الرسلَ وشرعَ الشرائعَ ليحقَّ الحقَّ ويبطلَ الباطلَ وليقومَ الناسُ بالقسط: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

سبحانك ربي أنتَ أهلُ الحمدِ والمجدِ، لك الأسماءُ الحسنىٰ والصفاتُ العلا، أهلُ التقوىٰ وأهلُ المغفرةِ، لانُحصي عليك ثناءاً ولا نبلغُ حقَّكَ توقيراً وإجلالاً.

أيها المسلمون ذلكم الله ربكم وتلك هي أسماؤهُ وصفاتهُ، وذلكم هو خَلقُه وأمرُه.

المسلمُ الحقُّ يؤمنُ به إلٰهاً واحداً فرداً صمداً، يخضعُ له وينقادُ، لهُ يُصلي ويسجدُ، وإليه يسعىٰ

ويحفِد[1] يرجو رحمته ويخشىٰ عذابَه، يؤمنُ برسولِه محمدٍ ﷺ، يصدقهُ فيما أخبرَ ويطيعُهُ فيما أمرَ ويجتنبُ ما عنه نهىٰ وزجرَ.

هذا هو الدينُ، وذلكمُ هو التوحيدُ، وذلكمُ هو المسلمُ بعقيدتِه وعبادتِه وأخلاقِه وسلوكِه اصطبغتْ سريرتُه بالدينِ الحقِّ توكلاً على الله واستيثاقاً بحبلِه، فيه يحبُّ ويبغضُ، ومن أجله يعطي ويمنعُ، وفيه يخاصمُ ويسالمُ.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

أيها الأخوةُ في الله حجاجَ بيتِ الله في هذه الأجواءِ العابقةِ بعبَقِ الإيمانِ، وأمامَ هذه المناظرِ والمشاهدِ الحيةِ النابضةِ، وحجاجُ بيتِ اللهِ يخطونَ خطواتِهم على هذه الأرضِ الطيبةِ، ويزدلفون في هذه المشاعرِ الآمنةِ بأمانِ الله ثم يقظةِ مسؤوليها ورعاية قادتِها؛ في هذه الأجواءِ يغمرُ قلبَ المتأملِ شعورٌ كريمٌ فياضٌ بانتماءِ أفرادِ هذه الأمةِ إلى هدفٍ واحدٍ وغايةٍ واحدةٍ، إنها أمةُ التوحيدِ والإيمانِ، أمةُ الرسالةِ المحمديةِ. صبغةُ التوحيدِ هذه وشعارُ الوحدةِ هذا يأبى أعداءُ الأمةِ إلا أن يَقْسروها على خلعه وطمس لونه، وتشويه صورتهِ إن أمتنا أيها المسلمون تعيشُ في أيامنا هذه أياماً كوالح.

إن جحيمَ السياسةِ المعاصرةِ، وتطاحنَ الاتجاهاتِ الوافدةِ أرسلَ شواظاً من الأحقاد والمهاتراتِ تشقىٰ بها البشريةُ اليومَ، وأمةُ الإسلامِ قد نالها منهُ نصيبٌ غيرُ يسير.

---

(١) أي: يُسرع في العمل والخدمة.

إن مدناً عظاماً تُدكُّ، وأمةً كبرىٰ تُمزَّقُ ووعياً فكرياً يُغيَّبُ. توالتْ على الأمةِ الضرباتُ، وكشَّر الأعداءُ عن أنيابِهم. هجومٌ من الأعداءِ على الديارِ يتجددُ، مطلوبٌ من المسلمين الارتدادُ عن دينهم، والتنازلُ عن ديارِهم والتنكرُ لمبادئِهم وشريعتِهم وما حال البوسنة والهرسك عنا ببعيد، يريدونَ قَسْرَهمُ على مبادىءَ تُناقضُ دينَهم قسراً، مبادىءُ من الحريةِ كاذبةٌ، ودعواتٌ من الديموقراطيةِ الكافرةِ وحقوقٌ إنسانيةٌ مزوَّرةٌ وتمردٌ على الشريعةِ وتطبيقِها.

أيها المسلمون: ومع ضجيجِ الخصومةِ السافرةِ والجدلِ المتُنامي يعسرُ البحثُ عن الحقيقةِ، والتعرفُ على الصوابِ ومع الأَسفِ كلَّ الأسف أنه قد يذهبُ الرجالُ ولكن يبقى التلاومُ، والجدالُ يتعالىٰ دخانهُ ويتصاعدُ غبارهُ حتى يهدِّدَ وحدةَ الأمةِ ويَهزَّ كيانَها.

ومن جَرَّاءِ كلِّ ذلك فقد تقلَّبتْ بالأمة التياراتُ، وتسلَّطتْ عليها حركةُ تمزيقٍ فكريٍّ وروحيٍّ. لقد نِيْلَ منها حتى وقعتْ في دوَّامةٍ من التفككِ والفرقةِ في كثيرٍ من مواقِعِها.

ومن أجل هذا فقد أصبحَ لزاماً على أهلِ النصحِ والصدقِ والتأثيرِ والتوجيه من القادةِ والساسةِ والعلماءِ المربينِ والدعاةِ والمفكرينِ أصبح عليهم لزاماً كلٌّ من موقع مسئوليتِهِ حقٌ عليهم أن يتداركوا الأمةَ، يتداركوها من الدَّاخل. . .نعْم فليتداركوها من الداخلِ.

فلقدْ عَلِمَ هؤلاء النخبةُ أن سلاحَ الأعداءِ كان بتقطيعِ أمةِ التوحيدِ وتمزيقها وصبغِها بألوانٍ من السياساتِ الثقافاتِ تتغيرُ

معها صبغةُ اللهِ.

ومن المعلوم أنَّ الإنقاذَ ـ بإذن اللهِ وتوفيقِهِ ـ يكونُ بالرجوعِ إلى الجماعةِ فيدُ اللهِ مع الجماعةِ، وشعارُ الإسلامِ هو الجماعةُ، إلا أن الجماعةَ رحمةٌ وإن الفرقةَ بلاءٌ وعذابٌ.

يجبُ اختصارُ المسافاتِ وردمُ الفجواتِ التي تفصلُ بين المنتسبينَ إلى الإسلامِ.

ومن أجلِ ألا يكونَ ذلك خيالاً وأمانيَّ ولا خطاباً مجرداً يجبُ أن تبدأ الأمةُ بايقافِ تيارِ التلاومِ والتحسرِ والتذمرِ.

لقد توالتِ النكباتُ على الأمةِ فلم يجدوا متنفساً إلا أن يُقبِلَ بعضُهم على بعضٍ يتلاومون.

إنك ترىٰ المهتمَّ بالسياسةِ والقضايا الدوليةِ يُلقي باللائمةِ على الصهيونيةِ والشيوعيةِ والرأسماليةِ والصليبيةِ وهذا حقٌ ولكنه ليس كلَّ الحقِّ.

وترى رجلَ العلم والدعوةِ يبكي على الأخلاقِ ويَنْدُبُ الفضائلِ ويتبرمُ من عوراتِ المجتمعِ ونقائِصِهِ بل تراه متَّهماً هذا في ورعِهِ وزهدِهِ وذاك في إخلاصِهِ ونيَّته ويَزعمُ أن الآخرَ قد فتنتهُ الدنيا واتَّخذَ الدينَ مطيةَ هكذا يتلاومون.

والتجارُ في تجاراتِهم والصناعُ في صناعاتِهم والموظفون في وظائفهم يشكون من فشوِّ الغشِّ وفقدانِ الثقةِ وانتزاعِ الأمانةِ وفسادِ البضاعةِ وانتشارِ الغبنِ والتدليسِ والزورِ والتزويرِ.

وإذا تحدثَ الأديبُ والمفكرُ نثرَ عليكَ دموعَ الخنساءِ وملاء

أذنيكَ بتشاؤمِ ابن الرومي وأبي العلاءِ بأساليبَ من اللومِ والهجاءِ يتبرمُ من الفسادِ وضياعِ الحقوقِ وقلةِ الكفاءةِ ووضعِ غيرِ المناسبِ في المكانِ غيرِ المناسبِ هكذا يُسمَعُ السخطُ والتَّسخطُ من صادقٍ ومن حاقدٍ في تصريحٍ أو تلميحٍ يُلحْظُ هذا في كلِّ طبقةٍ ومجتمعٍ وفي كلِّ نادٍ ومجلسٍ.

أيها القادةُ أيها العلماءُ أيها المربون أيها المفكرونُ:

هل هذا النوعُ من التلاومِ يَحُلُّ مشكلةً؟ أو يُنْجِزُ قضيةً؟ إذا كنتم كلكم لائمينَ فمن هم الملومون؟ وإذا كنتم كلكم ناقدين فأين هم المصلحون؟.

يُحكى أن مالكَ بن دينارٍ وعظَ أصحابه موعظةً ذرفتْ منها دموعُهمْ وارتفعَ بها بكاؤهم ونشيجُهم وبينما هو كذلك إذ افتقد كتابه الذي بين يديْه فنظر إليهم وكلُّهم من أثرِ وعظِهِ يمسحُ دموعَه ويُخفيْ نشيجَه ثم قال: ويحكم كلُّكم يبكي فمن سرق الكتاب؟.

نعم أيها الأحبة: إذا كنَّا نتلاوم ونكتفي بالتلاومِ فمن ذا الذي أضاع الأمة؟ ومن هو مصلُحها؟.

إن الاصلاحَ الصادقَ والطريقَ السديدَ يبدأ من البعدِ عن هذا النوعِ من التلاومِ المميتِ والنقدِ الهادمِ غير الهادفِ يبدأ بأخذِ الكتابِ بقوةٍ أخذِهِ بحزمٍ وجدٍ.

النقدُ والتلاومُ يجبُ أن يبقىٰ حبيساً في ركنٍ خاصٍ، لا يجوز أن تمتلىءَ به الساحةُ يلوكهُ من يفقَهُ ومن لا يفقَهُ يجبُ أن يكون نقداً بناءً في دائرةٍ محددةٍ.

لا يجوز السماحُ بمثل هذا التلاومِ ليكون متنفساً تُلقىٰ من خلفه

التبعةُ على الآخرين، ولا يجوز أن يكون سبيلاً لتوزيع الآهاتِ والاتهاماتِ هنا وهناك؛ إن هذا لا يزيدُ الأمةَ إلا خيالاً وخَبالاً.

فكيف إذا صاحبَ هذا هوىً مغرضٌ ومقاصدُ مدخولةٌ؟؟؟ وكان مطيةً للتشهيرِ والتفتيشِ عن المعايبِ ونزعِ الثقةِ في الصالحينَ المخلصينَ؟؟؟.

إن هذا ـ كما علمتم ـ نوعٌ من الهروبِ من الواقعِ وارضاءِ النفسِ والقاءِ المسؤليةِ على الآخرين.

ومن أجلِ هذا فإنك ترىٰ هؤلاء وأمثالَهم يكتفون بتمجيدِ الماضي والتباكي عليه (وهو ماضٍ مجيدٌ حقاً وحقٌ عليه أن يُبْكىٰ) ولكنهم يُمجدِّونهَ وهم عاطلون، ويفاخرون به وهم مقصِّرون، ويغترُّون به وهم متخاذِلون، ولو فكرتَ ثم فكرتَ وتحقَّقْتَ ثم تحققت لعلمتَ أن ضعيفَ الهمةِ العاجزَ الكسولَ الذي يتمنىٰ على اللهِ الأمانيَّ هو الذي يَغْرَقُ ويُغْرِق في هذا التلاوم، ويتنفسُ من خلالِ هذا التباكيْ فيستعيضَ عن خذلانِه وتخذيله بهذه الجعجعةِ الفارغةِ.

وبرهانُ ذلك أنكَ ترى قُطْعاناً من الشبابِ كُسالىٰ سمَّارَ النوادي، ونوَّامَ الضُّحىٰ، لا يتجهون إلى علمٍ جادٍ، ولا إلى عملٍ مثمرٍ من أجلٍ أن يرفعَ لهم شأناً ويبنيَ لهم مصنعاً وينبت لهم حقلاً ويحقق لهم اكتفاءً واستقلالاً. إنما هو متكىء على أريكته يوزعُ الاتهاماتِ ويلقيْ باللائمةِ على هذا وذاكَ وقد نامَ على وسادٍ عريضٍ من الأحلامِ والأماني ينتظرُ السماء أن تمطرَ ذهباً و فضةً.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

أيها الإخوة: إن الأمة تحتاجُ إلى مدرسةٍ تربَّىٰ بها الأجيالُ على الجدِّ القوةِ والخلقِ المتينِ والعلم النافعِ والعملِ الصالحِ تحتاجُ إلى مزرعةٍ ومصنع تستغني بها الأَمةُ عن الشرقِ والغربِ تحتاجُ إلى مصارفَ وشركاتٍ مؤمنةٍ تُستَثْمرُ بها أموالُ الأمةِ وطاقاتُها.

هذا جانبٌ في البناء.

جانبٌ آخر يجبُ التوجهُ إليه يقيْ من الاشتغالِ بالتلاوم والنقدِ الهادمِ ذلكم هو معرفةُ مواهب أبناء الأمة وتنميتُها والتعرفُ على القدراتِ وبناؤها. فربُّنا سبحانه كما فاوتَ بين الناسِ في ألسنتهم وألوانهم فقد فاوت بينهم في مواهبِهم وقدراتِهم.

والبناء الشامخُ لا يقومُ على أركانِه إلا حينَ يشاركُ في بنائِه كلُّ مختصٍ في مجالهِ وميدانِه.

وإنَّ النظرَ الثاقبَ لحياةِ الصَّحْبِ الكرام مع رسولِ الله ﷺ لَيرىٰ في التربيةِ النبويةِ والإدارةِ المحمديةِ لشؤون الأمةِ مراعاةَ ذلك بجلاء. فطائفةٌ من كبارِ الصحابةِ وقادةِ الأمة لم يكونوا من مكثري الروايةِ فقد قامَ بهذه المهمةِ طائفةٌ منهم ممن رُزِقَ حافظةً مميزةً. وقد نبه عليه الصلاة والسلامُ على خصائصِ بعضِهم، فأقرأُهم أُبيٌّ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذٌ، وحبرُ الأمةِ فقيه الدينِ وعالمُ التأويل عبدالله بنُ عباس، واهتدُوا بهديِّ عمارٍ، وأبوذرٍ لا يسألُ الإمارةَ وخالدٌ سيفٌ من سيوفِ الله ناهيكَ بالقادةِ والسادةِ ذوي الخلافةِ الراشدةِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم.

كلٌ قد علمَ رسولُ اللهِ ﷺ موقِعَه وموهبتَه وبلاءَه في دينِ الله وأثَرَهُ.

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.

أيها الأخوةُ في الله:

إن الطريقَ الصحيحَ والمنهجَ الأقومَ أن يُستفادَ من كلِّ مسلم ذي موهبةٍ في موقعه، يُعرفَ له فضلُه وأثرُه، والفضلُ بالتقوىٰ وحسنِ العملِ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ [الملك: ٢].

فهذا عالمٌ ينشرُ علمهَ قد أخذ على عاتقِه أزالةَ غشاوةِ الجهلِ عن الناسِ يُبصرُهم بحقِّ اللهِ عليهم.

وذلكَ محتسبٌ آمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عن المنكرِ أعطىٰ لذلك نفيسَ وقتِهِ وصرفَ له عظيمَ همتِهِ قد رُزِقَ من الصبرِ والحلمِ ما يتحمَّلُ به أذىٰ الناسِ.

وآخرُ رزقَ قلباً رقيقاً وصدراً حنوناً، توجَّهَ للأكبادِ الجائعةِ والبطونِ الخاويةِ فهو ينفقُ مما آتاه الله أو يسعىٰ بشدةِ ساقيهِ ليأخذَ من الأغنياءِ أو يشرحَ الحالَ لذوي الرأيِ من الوجهاءِ.

وآخرونَ قد فتحَ الله لهم بابَ الجهادِ فهم يُغْنونَ فيه الغناءَ الواسعَ ينتقلونَ من موقعٍ إلى موقعٍ، حاملين أرواحهم على أكُفِّهِم يبذلونها رخيصةً في سبيلِ اللهِ ينصرونَ دين الله ويُعزُّون أهلَ الإسلامِ.

وآخرون منهم سخرَّهم اللهُ لدعوةِ غيرِ المسلمين فاهتموا بشؤون الجالياتِ وغيرِ الجالياتِ رزقوا الصبرَ ودماثةَ الخلقِ ووسائلَ البذلِ والتضحيةِ بالجهدِ والوقتِ والمالِ مما لا يضيعُ ثوابُه عند الله.

وانظرو إلى ذلكمْ الذي قد وهبهُ الله قلماً سيالاً، ولساناً صادقاً، فهو يصولُ ويجولُ في معاركَ فكريةٍ ومناقشاتٍ إسلامية شعراً ونثراً وإذاعةً ونشراً، دفاعاً عن حياضِ الإسلامِ وساحاتِه لينفي عنه الدخلاءَ ويكشفَ الأُجَرَاءَ. ولا يغيبُ عن البالِ من رُزقَ الصبرَ والاحتسابُ فجلسَ للناشئةِ الصغارِ يقضي زهرةَ حياته وخلاصةَ عمره في التربيةِ والتنشئةِ والتعليم يُعلمُهم كتابَ اللهِ والنافعَ من العلومِ تربيةً على الإسلام وفضائلِه. ناهيك بالطبيبِ الحاذقِ الذي قد برعَ في تخصُّصه فخففَ بإذن الله الآلامَ وواسىٰ الجروحَ وحفَظَ على المسلمين عوراتِهم يعاونُه أخوة له فنيون مهرةٌ من الصيادلةِ والممرضينِ وقل مثل ذلك في المهندسين والكميائيين وغيرهم من الفلاحين والمزارعين والصناع وكل ماهرٍ سِيْمَا كلِّ أولئك الصلاحُ ومسلكُهم الحشمةُ والأدبُ ورائدهُم البراعةُ والإخلاصُ وانظروا إلى من شرحَ الله صدورهم فقاموا في الناسِ من أجلِ تيسير أمورِ الزواجِ ومكافحةِ مظاهرِ الإسرافِ وقاموا في دعمِ الجمعياتِ الخيريةِ وهيئاتِ البرِّ والإغاثةِ في كلِّ مكانٍ.

أيها الناسُ: إنَّ هذه أنواعٌ من الحاجاتِ، وألوانٌ من المواهبِ مما لا يقعُ تحتَ حصرٍ، كلّها جهودٌ خيِّرةٌ، ومسالكٌ لازمةٌ لا تستغنيْ الأمة عن واحدٍ منها؛ فكيف بها مجتمعةً؟؟ إنها دروبُ خيرٍ لايمكن أن يُتقنَها واحدٌ وفئةٌ. ناهيكَ بإن يقومَ بها فردٌ أو جماعةٌ. وكلُّها مسالكُ، وكلُّها دروبٌ كفيلةٌ بأن تقي الأمةَ التلاوم المذموم، التلاوم المميتْ والنقد الهادم.

يجبُ أن يكونَ الأمرُ واضحاً في تباينِ الناس في قُدُرَاتِهم وإمكاناتِهم، فلا يطلبُ من أحدٍ ما لا يقدرُ عليه وَلا يُبْخسُ أحد

ما وهبَ اللهُ.

يروى أن الخليفةَ المأمونَ ـ الخليفة العباسي ـ أراد من المؤرخ الواقديِّ حِفظَ سورةٍ من القرآنِ من أواسطِ المفصَّلِ فلم يقدرْ فقالَ المأمونُ هذا رجلٌ فتح اللهُ عليه في التأريخ.

وعاتبَ رجلٌ الإمام مالكاً رحمهُ اللهُ لِما رأىٰ من انصرافِه التامَّ إلى العلم وتَرْكِ ما سواه؛ فأجابه مالكٌ رحمه اللهُ إن اللهَ قسمَ بين الناسِ الأعمالَ كما قسمَ بينهم الأرزاقَ فربَّ رجلٍ فُتحَ له في الصلاةِ ولم يُفتحْ له في الصوم، وآخرُ في الصدقةِ وآخرُ في الجهادِ قال مالك: (فنشرُ العلم من أفضلِ أعمالِ البرِّ ورضيتُ بما فُتح لي فيه وما أظنُّ ما أنا فيه بدونِ ما أنت فيه وأرجوا أن يكون كلانا على خيرٍ).

أيها المسلمون حجاجَ بيتِ اللهِ: اتقوا الله ربّكم واتجهوْا إلى العملِ الجادِّ. فكفى تلاوماً؟ وكفى نقداً؟ فإن حالَ الأمةِ اليومَ في كثيرٍ من المواقعِ يُساسُ بغيرِها، ويَبُتُّ في مصائرِها غيرُ أهلها، ويَبحثُ في قضاياها الأبعدون.

اتقوا الله رحمكم الله واعتبروا بكثرةِ الفضائلِ، وإذا بلغ الماءُ قلتين لم يحملُ الخبثَ، فمن غلبتْ فضائلُه هفواتِه اغتُفِرتْ له زلتُهُ فاحفظوا لأهل العلمِ فضلَهم ولأصحابَ المقاماتِ مقاماتِهم ولذي المواهبِ مواهبَهم.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي محمد ﷺ ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

خطبة عيد الأضحىٰ
كلكم لوامون فأين المصلحون
الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعا). الله أكبر عددَ من أمَّ البيتَ الحرامَ على مر السنين والشهورِ والأيامِ. الله أكبرُ ما ارتفعتْ أكفُّ الضراعةِ إلى المولىٰ بطلبِ الصفح ورفع الآثامِ، الله أكبرُ ما تفضَّلَ ربُّنا ومولانا بجزيلِ الفضلِ والإنعَامِ الله أكبر كَبيرا والحمدُ للهِ كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.

الحمدُ للهِ دعا عبادَه إلى أشرفِ بيتٍ وأعظمِ مزارٍ، دعاهم إلى أمِّ القرىٰ ليُجْزلَ لهم الضيافةَ والقِرىٰ، ويَحطَّ عنهم الذنوبَ والأوزارَ، فأجابوا دعوتَهُ، ولبَّوْا نداءَهُ، ومن طَلَبَ المعاليَ تحملَ الأخطارَ. أحمدُه سبحانَه وأشكرهُ وأتوبُ إليه واستغفِرُهُ وهو العزيز الغفارُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه أشرفُ من طافَ بالبيتِ المحرَّمِ وسعىٰ ورمىٰ الجمارَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه الأبرارِ وآلهِ الأطهارِ والتابعينَ ومن تبعهمِ بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ.

أما بعدُ. فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ واعلموا أنَّ ضعفَ الأمةِ واضطرابَ أحوالِها في كثير من مواقِعها لم يكنْ إلا من عند أنفسِهم، تسلُّطُ الأعداءِ لم يكنْ إلا بسببِ سوءِ الأعمالِ وعِظَمِ الإهمالِ.

لقد قَطَعَتْ كثيرٌ من الشعوبِ الإسلاميَّةِ أشواطاً من اللَّهاثِ وراءَ الأعداءِ، أحسنَتْ الظنَّ بهم وحَسِبَتْ سرابَهم ماءاً حتى إذا جاءتْه لم تجدْه شيئاً بل وجدتْ سَبُعاً فاغراً فاهُ، ومجرماً آثماً شاهراً سيفهَ يريدُ ابتلاعَها وهلاكها.

خذوا هذا المثالَ من أمثلة السرابِ:

لايزالُ بعض المثقفينَ والمفكرينَ يربطُ ضَعفِ الأمةِ واضطرابِ أحوالها وبينَ قضيةِ المرأةِ ومسألةِ الحجابِ. لقد قالوا ـ وبئس ما قالوا ـ لقد ظنَّوا ويالخيبةَ ما ظنوْا قالوا وظنوا إن القوةَ والمنعةَ والعلوَّ في العلمِ وشؤونِ الاجتماعِ لا ينسجمُ ولا يناسبُ مع فرضِ الحجابِ ومنعِ الاختلاطِ.

نعم لقد زعمُوا أن تَفسُّخَ المرأةِ وخلاعتِها هو الطريقُ إلى القوةِ، وهو مظهرُ العزةُ، لقد جعلوا من تبرجِ الجاهليةِ سبيلاً إلى المعرفةِ الحقةِ والعلمِ النافعِ.

أما السرابَ ـ أيها الواهمون ـ فهاهي معظمُ الشوارِعِ والأسواقِ في كثيرٍ من ديارِ بني الإسلامِ قد فاضَتْ بمظاهرِ التبرجِ والسفورِ، ودخلتْ المرأةُ فيها كلَّ نادٍ، واختلطتْ بثعالبِ الرجالِ وسباعِها، فُتنتْ وفَتنتْ وأخذتْ زينتَها وأصباغَها.

فأي تقدم جنوا؟ وأيُ قوةٍ حققوا؟ لقد أشبهوا أعداءَهم في المظاهرِ والقَّشورِ؛ أجسامٌ باديةٌ وأنديةٌ بالفُحشِ عامرةٌ؟؟؟.

ما زادهم ذلك إلا ضياعاً ومجوناً، وقتلاً للاوقاتِ وهتكاً للأعراضِ.

سلوا الفتياتِ المسلماتِ المتأدباتِ المحتشماتِ هل منعتْ

الحشمةُ أو صدَّ الحجابُ من تحصيلِ علمٍ أو انجازِ عملٍ للمرأةِ مناسبٍ يتحقَّقُ به غايةٌ شريفةٌ من غير طريقٍ للفتنةِ والإثارةِ.

هل أثقلهنَّ الحجابُ عن ممارسةِ أيِّ نشاطٍ اجتماعيٍّ مشروعٍ يُرادُ من ورائِه إحقاقُ حقٍ أو ابطالُ باطلٍ أو معونةُ ضعيفٍ أو اسداءُ معروفٍ ونشرُ برٍ وإحسانٍ.

إن المؤمناتِ الطاهراتِ الحافظاتِ المحفوظاتِ يمارسنَ مسئولياتِهنَّ البيتيةَ والاجتماعيةَ أصنافاً وألواناً لا تُضاهيهنَّ تلك المسكينةُ التي تنفقُ ساعاتِها وأيامَها في النظرِ في عِطْفَيْها، وتتعهَّدُ زينتَها وأصبَاغها وبَهْرَجها.

ولقد علمَ المؤمنونَ والعقلاءُ أنه لا توجدُ أيُّ علاقةٍ بين العلمِ والعملِ والقوةِ والخيرِ وبين التبرجِ والتعطرِ والميلِ والإمالةِ.

ومثالُ من السرابِ آخرُ حين ظنَّ بعضُهم أن الاقتصادَ لا يُتصَّورُ قيامُه من غيرِ ربا، حتى عَشْعشَ ذلك في عقولهم وأُشْرِبَتْهُ قلوبُهم، وتصحيحُ هذا المفهومِ يسيرٌ؛ أليس قد عُمِرتْ بالربا مصارفُ كثيرةٌ من بلاد الأمةِ؟ وأُتيحَ لها في الحياةِ الاقتصاديةِ ميادينُ فسيحةٌ؟ وسبلٌ عريضةٌ؟ ودخلَ في كثيرٍ من معاملاتِهم ومجالاتِهم ومع هذا لم يَساعدْ في تحقيقِ التقدمِ الذي يحلمون به؟ ولا في التخلص من التخلُّفِ الذي يضجُّونَ منه.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله وارجعوا إلى دينكم وأزيلوا الغشاوات عن أبصاركم. ودعوا اللهاثَ وراء أعدائكم فإنهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

اتقوا الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وتعانوا على البرِّ

والتقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوانِ افعلوا الخيرَ وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادهِ واعلموا أنكم في أيامٍ فاضلةٍ ومواسمَ كريمةٍ، اشغلُوها بذكرِ اللهِ واعمرُوها بالتكبير والتهليلِ، وعظِّموا شعائرِ اللهِ وحرماتِه.

وإن من أعظمِ مايُتقرَّبُ به إلى اللهِ عزَّ وجلَّ في هذه الأيام الأضاحي فهي سنةُ الخليلين إبراهيمَ ومحمدٍ عليهما الصلاةُ والسلامُ. جاءَ في الحديثِ عن عائشةَ رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**ما عَمِلَ ابنُ آدمَ يومَ النحرِ من عملٍ أحبَّ إلى اللهِ من إراقةِ دمٍ، وإنها لتأتيْ يومَ القيامةِ بقرونِها وأظلافِها وإن الدَّمَ ليقعُ من اللهِ بمكانٍ قبل أن يقعُ على الأرضِ فطيبُوْا بها نفساً**»[1].

ولتعلموا وفقني الله وإياكم لصالح العملِ: إنَّ وقتَ الذبحِ يبدأُ من بعدِ صلاةِ العيدِ إلى غروبِ الشمسِ آخرَ أيامِ التشريقِ. ولا يجزىء في الأضاحيْ: المريضةُ البينُ مرضُها، ولا العوراءُ البينُ عَوَرُها، ولا العرجاءُ التى لا تطيقُ المشيَ مع الصحيحةِ، ولا الهزيلةُ التى لا مُخَّ فيها، ولا الهتماءُ التى ذهبتْ ثناياها من أصلها، ولا العضباءُ التي ذهبَ قرنُها أو أكثرَ أذنها، ولا الجدَّاءُ التي نشفَ ضرعها ويَبِسَ من الكِبَرِ، كما لا تجزىء الجرباءُ.

ولا يجزىءُ من الإبلِ إلا ما تمَّ له خمسُ سينينَ ومن البقرِ ما تمَّ له سنتانِ ومن المعزِ ما تمَّ له سنةٌ ومن الضأنِ ما تمَّ له ستةُ أشهرٍ،

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٠٤٥ ـ ح٣١٢٦)، والترمذي (٤/ ٧٠ ـ ح١٤٩٣) وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم (٤/ ٢٢١) وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: فيه سليمان واه وبعضهم تركه، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع الصغير ـ ح٥١١٢ ص٧٣٨) ط. الثالثة.

وتجزىءُ البدنةُ عن سبعةٍ والبقرةُ عن سبعةٍ والشاةُ تجزىءُ عن الرجلِ وأهلِ بيتهِ ولا يبعُ منها شيئاً ولا يُعطيْ الجزارَ أجرتَه منها.

فاتقوا الله عباد الله وانْبِذُوا عن أنفسكم الشحَّ البخلَ، وانفقوا من مالِ اللهِ الذي آتاكم، وأكثروا من ذكرِ اللهِ وشكرهِ وصِلُوا أرحامَكم، وبَرُّوا والدَيْكم وأحسنوا إلى اليتامىٰ والمساكينَ، وتصافحوا وتناصحوا وتسامحوا، وأزيلوا الغلَّ والشحناء من قلوبِكم وتزاوَروا وتهادوا، واحذروا الكبرَ والغيبةَ والنميمةَ وكونوا عباد الله إخواناً.

خطبة الاستسقاء

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمنِ الرحيم مالكِ يوم الدينِ. لا إله إلا الله يحكمُ ما يشاءُ ويفعلُ ما يريدُ. لاَ إله إلا اللهُ الحكيمُ في عطائِه ومنعِهِ، وهو البصيرُ في خفضِهِ ورفعِه، كافيْ من استكفاهُ، ومجيبُ من دعاهُ، ومنجيْ من يخشاهُ، كفى به ولياً وكفى به وكيلاً.

أحمدُه سبحانه وأشكره يغفرُ ذنوبَ التائبين، ويُقيلُ عِثَارِ النادمينَ ولا يُبرمُه إلحاحُ الملحين. عرفتْهُ القلوبُ بلَهفَاتِها، وقصدتْهُ الخلائقُ في حاجاتِها.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعرَّف إلى خلقه بالدلائِلِ والحقائِق، وتكفَّلَ بأرزاقِ جميعَ الخلائِقِ، له الحكمةُ فيما قدَّر وقضىٰ، ولا تُرفعَ إلا إليه الشكوىٰ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله هو الأخشىٰ لربه والأتقىٰ، أصدقُ العبادِ شكراً، وأعظمُهم لربهِ ذكراً، وأكثرُهم له استغفاراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نستغفر اللهَ العظيمَ الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ ونتوبُ إليه. اللهم أنتَ الملكُ لا إله إلا أنتَ، أنت ربُّنا ونحنُ عبيدك، ظلمنا أنفسنا واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا ذنوبنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، تباركت ربنا وتعاليتَ نستغفرُك ونتوبُ إليكَ. اللهم اغفر لنا ما قدَّمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنَّا وما أنت أعلمُ به منا أنت

المقدِّمُ وأنت المؤخِّرُ لا إله إلا أنت، سبحانك ربَّنا، لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

أما بعد أيُّها الناسُ فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله عزَّ وجلَّ فتقوىٰ اللهِ طريقُ النجاةِ والسلامةِ، وسبيلُ الفوزِ والغنيمةِ.

أيها المسلمون: ما حلَّ بسالِفِ الأممِ من شديد العقوباتِ ولا أُخذوا من غِيَرٍ(١) بفظيعِ المثُلاتِ إلا بسببِ التقصيرِ في الإيمانِ والتقوىٰ، وإيثارِ الشهواتِ وغلبةِ الأهواءِ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

إن كلَّ نقصٍ في العلومِ والأعمالِ، والتدبيرِ والأفهامِ، والقلوبِ والأبـدانِ، والأشيـاءِ والممتلكـاتِ سببه الـذنـوبُ والمعـاصـي والمخالفاتُ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

إن ما تُبتلىٰ به الديارُ من قلةِ الغيثِ ونقصِ الأمطارِ، وما ينشأ من غورِ مياهِ العيونِ والآبارِ وما ينالُ المواشي والزروعَ من نقصٍ وأضرارٍ ليس ذلك لعمرو اللهِ من نقصٍ في جودِ الباريْ جلَّ شأنُه وعَظُمَ فضلُه، ولا نقصٍ مما بيمينِه، بل إن يمينَه سبحانَهُ مْلأَىٰ لا يَغيضُها نفقةٌ سحاءَ الليلِ والنهارِ. ولكن سببُ ذلك كلِّه ـ وربِّكم ـ إضـاعـةُ أمـرِ اللهِ والتقصيرُ في جنبِ اللهِ. أيـن التـوحيـدُ وصحةُ

---

(١) الغِيَر: التقلبات وتغير الأحوال

المعتقدِ وصدقُ التعلقِ وصحيحُ التوكل عند كثير من الناس؟ التوحيدُ هو مفزعُ الخلائقَ إلى ربِّها وهو ملجؤها وحصنُها وغياثُها. هذا يونسُ عليه السلام: نادىٰ ربَّه في الظلماتِ ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧] فجاءه الغَوثُ الإلهي ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨].

ما حالُ المتهاونين بالصلاةِ تركاً وكسلاً؟.

أليس هذا في دين الله من أكبر الكبائر؟ بل هو خروجٌ عن الإسلامِ وردةٌ عند كثيرٍ من محققي أهلِ العلمِ.

«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر»[1].

وما هو حالُ الأغنياءِ مع الزكاة قرينةِ الصلاةِ وشقيقتها في كتاب اللهِ؟؟ إنها حقُّ الفقراءِ على الأغنياءِ؛ أين الخوفُ من اللهِ؟ وأين الرحمة بعباد الله؟: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة: ١١].

ضُمُّوا إلى ذلك ركنَ الدينِ الركينَ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ. كيف تبرأُ الذمةُ؟ ومتى تُوفَّىٰ المسؤليةُ؟ والرجلُ يقترفُ المنكرَ وصاحبُه إلى جواره لا يوجِّهُ ولا ينصحُ ولا يُنكرُ بحكمةِ الشرعِ وآدابهِ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦)، والترمذي (٥/ ١٥ ـ ح٢٦٢١) وقال: حديث حسن صحيح غريب، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (١/ ٣٤٢ ـ ح١٠٧٩)، والحاكم (١/ ٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد لا تعرف له علة بوجه من الوجوه ووافقه الذهبي.

﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] ناهيك يا عبدَالله بما بلي كثيرٌ من الناس من الرِّبا والزنا واللواط والسكر والتبرج في النساء والمخدراتِ والفحشاءِ:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٦٨].

أيها المسلمون: الصلواتُ عند كثيرٍ من الناسِ قد ضُيِّعَتْ، والمحرماتُ قد انتُهكتْ، وأركانُ الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ قد اهتزتْ، والذِّمَمُ قد خَربتْ، والغيرةُ على المحارِم قد تضعضعت، والمعاملاتُ قد فسدتْ، والربا قد فشا، وشأنُ المعازفِ والمزاميرِ قد علا، في أنواعٍ من الوسائل مرئياً ومسموعاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد تقررَ عند أهلِ العلم بما صحَّ من الأخبارِ عن رسول الله ﷺ أن منع الزكاةِ وأكلَ الحرامِ وتركَ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ أسبابٌ خاصةٌ في منع القطرِ من السماءِ وعدم إجابةِ الدعاءِ. اللهم لا تقتلْنا بغضبِك، ولا تهلكْنا بعذابك وعافنا قبل ذلك.

معاشر الإخوة: لا تفسدُ الأحوالُ ولا تضطربُ الأوضاعُ في كثيرٍ من الأمم والشعوبِ إلا بطغيانِ الشهواتِ، واختلاطِ النياتِ، واختلافِ الغِيَرِ والمداهناتِ. لا تكونُ ضَعَةُ المجتمعاتِ ولا ضياعُ الأممِ إلا حين يُتركُ للناسِ الحبلُ على الغاربِ، يعيشون كما يشتهون، بالأخلاق يعبثونَ، وللأعراضِ ينتهكون، ولحدودِ الله يتجاوزون، من غير وازعٍ ولا ضابطٍ، وبلا رادعٍ ولا زاجرٍ.

أيها الإخوةُ: إذا كثرُ الخبثُ استحقَّ القومُ الهلاكَ، وبكثرةِ الخبثِ تُنتقصُ الأرزاقُ، وتنزعُ البركاتُ، ويعمُّ الفسادُ، وتفشو الأمراضُ، وتضطربُ الأحوال.

أقبل رسولُ اللهِ ﷺ يوماً على أصحابه فقال: «**خمسٌ إذا ابتليتم بهن - وأعوذُ باللهِ أن تدرِكُوهن - لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكنْ مضتْ في أسلافِهم، ولم ينقصوا المكيالَ والميزانَ إلا أُخِذوا بالسنين وشدة المؤُنةِ وجورِ السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطرَ من السماءِ. ولولا البهائمُ لم يمطروا، ولم ينقضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولهِ إلا سلَّطَ الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذ بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتُهم بكتابِ الله ويتخيَّروا مما أنزلَ اللهُ إلا جعلَ اللهُ بأسهم بينهم**»[1].

عباد الله: إن للمعاصي شؤمَها، وللذنوبِ آثارَها، فكم أهلكت من أمة، وكم دمَّرتْ من شعوبٍ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١] ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٩].

بالمعاصي تزولُ النعمُ، وتحلُّ النقمُ، وتتوالى المحنُ، وتتداعىٰ الفتنُ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٣٢ - ح٤٠١٩)، والحاكم (٤/ ٥٤٠) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

أيها الإخوة: لقد اقتضتْ حكمةُ اللهِ ومشيئته أن يبتلي في هذه الدارِ عبادَه، يبتليهم بالخيرِ والشرِ، يبلوهم بالحسناتِ والسيئاتِ. وفي هذه البلايا ألطافٌ يستشعرُها من صدقَ أيمانُه وأخلصَ للهِ قلبُه. بالبلاءِ يكونُ تحقيقُ التوحيدِ واليقينِ، وإذا اشتدَّ الكربُ وعَظُمَ الخطبُ يكونُ قربُ الفرجِ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

البلاءُ يقطعُ قلبَ المؤمنِ عن الالتفاتِ إلى المخلوقينَ، ويوجبُ الإقبالَ على البرِّ الرحيمِ.

وفي كتابِ الله قومٌ مذمومون لم يستكينوا عندَ البلاءِ ولم يرجعوا إلى ربِّهم في البأساءِ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦].

ألا فاتقوا الله ربَّكم وتوجهوا إليه بقلوبِكم، وأحسنوا به الظنَّ في نفوسِكم. ارجعوا على أنفسِكم بالمحاسبةِ. ومن صدقَ في اللجوءِ صحتْ عنده التوبةُ. جانبوا أهلَ الفحشِ والتفحشِ، ومجالسةَ ذوي الردىٰ، ومماراةَ السفهاءِ احفظوا للناس حقوقَهم، ولا تبخسوهم أشياءَهم، صلوا الأرحامَ، واسوا الأراملَ واليتامىٰ، وتصدقُّوا بالدرهمِ والدينارِ والمدَّ والصاعِ، اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٦].

واحذروا تقلباتِ الزمنِ، فما الدنيا ألا أملٌ مُخترَمٌ، سرورُها بالحُزنِ مشوبٌ، وصفوُها بالكدرِ مصحوبٌ، زواها الله عن الصالحين اختياراً، وبُسطتْ لغيرِهم اغتراراً.

تعجَّلوا الإنابة، وبادروا بالتوبة، وألحوُّا في المسألة، فبالتوبة النصُوح تُغْسَلُ الخطايا بطهور الاستغفارِ، وتُستَمْطَرُ السماءُ وتُستدرُّ الخيراتُ وتستنزلُ البركاتُ.

وها أنتم عبادَ اللهِ قد حضرتُم في هذا المكانِ الطاهرِ بين يدي ربِّكم تشكون جدَب ديارِكم، وتبسطونَ إليه حاجتكم، وذلكم الجدبُ وتلكمُ الحاجةُ بلاءٌ من ربِّكم لِتُقبلوا عليه، وتتقرَّبوا بصالح العملِ لديه، فأظهروا رقَّةَ القلوبِ، وافتقارَ النفوس، والذُلِّ بين يَدَيْ العزيزِ الغفارِ، استكينُوا لربِّكم وارفعوا أكُفَّ الضَّراعةِ إليه، ابتهلوا وادعوا وتضرعوا واستغفروا، فالاستغفار مربوطٌ بما في السماءِ من استدرارِ.

اسمعوا مناشدةَ نوح عليه السلامُ لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] وقول هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

وورد عن نبيكم محمد ﷺ أنه قال: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب**»(١) أخرجه أبوداود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنه.

وأكثروا من الصلاة والسلام على المصطفى الهادي البشير إمامِنا وقدوتِنا محمدِ بنِ عبدِالله فالدعاءُ موقوف بين السماءِ والأرضِ حتى يصلَّىٰ على النبيّ ﷺ كما جاء في الأثر؛ اللهمَّ صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ اللهمَّ أنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ أنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ أنزل علينا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا اللهم أغثنا، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً هنيئاً مَريئاً طَبَقاً سحاً مُجَلِّلاً عاماً نافعاً غير ضارٍ عاجلاً غيرَ آجلٍ، اللهم تُحي به البلادَ وتغيثُ به العبادَ وتجعلُه

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٤٨)، وأبوداود (٢/ ٨٥ - ح١٥١٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤ - ح٣٨١٩)، والحاكم (٤/ ٢٦٢) وقال: صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي وقال: الحكم فيه جهالة.

بلاغاً للحاضرِ والبادِ. اللهم سُقيا رحمةٍ لا سقيا عذابٍ ولا هدم ولا بلاءٍ ولا غرقٍ اللهم اسق عبادك وبلادَك وبهائِمَك وانشرْ رحمتَك وأحيِ بلدَك الميتَ، اللهم انبتْ لنا الزرْعَ وأدرَّ لنا الضرعَ وأنزلْ علينا من بركاتِك واجعلْ ما أنزلتَه علينا قوةً لنا على طاعتِك وبلاغاً إلى حينٍ، اللهم إنَّا خلقٌ من خلقِك فلا تمنعْ بذنوبِنا فضلَك.

سبحان اللهِ على اللهِ توكلْنا، ربَّنا لا تجعلْنا فتنةً للقوم الظالمين، اللهم ارفعْ عنا من الجوع والجهدِ والعريِّ واكشفْ عنا من البلاءِ ما لا يكشفُه إلا أنتَ. اللَهم إنا نستغفرُك إنَّك كنتَ غفاراً فأرسلِ السماءَ علينا مِدرارا. اللهم اسقنا الغيثَ وآمنَّا من الخوفِ ولا تجعلنا آيسينَ ولا تهلكنا بالسنين، اللهم ارحم الأطفالَ الرضعَ والبهائِمَ الرُّتَّعَ والشيوخَ الركَّعَ وارحم الخلائق أجمعين ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

اللهم انصر دينَكَ وكتابكَ وسنةَ نبيِّك وعبادَك الصالحين. اللهم أصلِح لنا دينَنا الذي هو عصمةُ أمرِنا وأصلح لنا دنيَانا التى فيها معاشُنا وأصلح لنا آخرتَنا التى إليها معادُنا واجعلْ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ والموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍ. اللهم ادفعْ عنا الغلاءَ والبلاءَ والوباءَ والرِّبا والزنا والزلازلَ والمحنَ وسوءَ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ عن بلدنا وعن سائرِ بلادِ المسلمين. اللهم من أرادنا واراد بلادَنا ومقدساتِنا بسوءٍ فأشغله بنفسِه واجعلْ كيدَه في نحرِه واجعلْ تدبيرَه تدميرَه اللهم إنا ندرءُ بكَ في نحورِهم ونعوذُ بك من

شرورِهم، اللهم ردَّ عنا كيدَ الكائدين وعدوانَ المعتدينَ واقطعْ دابرَ الفسادِ والمفسدين، اللهم آمنَّا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاةَ أمورِنا وأيد بالحقِّ أمامَنا وولي أمرنا وأعزَّه بطاعتك وأعز به دينَك وارزقْه البطانةَ الصالحةَ التى تدلُّه على الخيرِ وتُعينه عليه. ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عبادَ اللهِ اقلبوا أرديَتكم تأسياً بنبيِّكم محمدٍ ﷺ واجتهدوا في الدعاءِ وألحوُّا في المسألةِ. ادعوا اللهَ وأنتُم موقِنون بالإجابةِ وأكثروا من الاستغفارِ والصدقةِ وصلة الأرحامِ واحفظوا الحقوقَ ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم عسى ربُّكم أن يرحَمكم فيغيثَ القلوبَ بالرجوع إليه والبلدَ بإنزالِ الغيثِ عليه. ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

وصلِّ اللهم على عبدِك ورسولِك محمد وآله وصحبه وسلم.

محاسبة ومعالجة

الخطبة الأولى

الحمدُ لله ربِّنا تعاظمَ ملكوتُهُ فاقتدرَ، وتعالىٰ جبروتُهُ فقهرَ، كتبَ العزَّ لمن أطاعه واتَّبعَ هداه فارتقى مقامُه وانتصرَ، وجعلَ الذلَّ والصغارَ لمن عصاه وخالف أمره، فكان المدحورَ الأصغرَ، أحمده سبحانه واشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الخبيرُ بما بطنَ وبما ظهرَ، وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمداً عبدهُ ورسولهُ المصطفى من البشرِ، والمؤيدُ بالمعجزاتِ والآياتِ والسورِ، صلى الله وسلَّمَ وبارك عليه وعلى آله وصحبه السادةِ القادةِ الغُررِ، والتابعينَ ومن تبعهم، بإحسان إلى يوم المحشرِ.

أما بعد: فاتقوا اللهَ عبادَالله، فتقوىٰ اللهِ عروةٌ مالها انفصامٌ، ونورٌ تستضيءُ بها القلوبُ والأفهام.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨].

أيها المسلمون: في الأيام العصيبةِ، والمحنِ القاسيةِ، وتَقَلُّباتِ الزمنِ ـ والزمن قُلَّبٌ ـ تحتاجُ الأمةُ إلى مراجعةٍ دقيقةٍ لحساباتها، ومعالجاتٍ جادةٍ لجراحاتِها، وسعيٍ حثيثٍ للتخفيفِ من مصابها.

إن كثيراً من المسلمينَ عامةً، والعربُ منهم خاصةً، فتنهم غزوُ الكفارِ الثقافيِّ، ورانَ علي قلوبِهم تيارُهُم الفكريُّ، فحسِبوا أن

الوطنياتِ المعاصرةَ، والقومياتِ الحديثةَ تَخلَّت عن عقائدِها الأولى. فتزحزحَ هؤلاء البائسون من المسلمين عن قواعدِهم العقائديةِ، وفرَّطوا في دينِهم الربانيِّ، على حينِ بقيَ خصومُهم مصرُّون على عقائدهم الباطلةِ والباطنة.

فياتُرىٰ أما زالت هذه الفئاتُ من الأمة لم تَسْتَبِنْ أن هذه القومياتِ والوطنياتِ والنَّعراتِ طريقٌ استعماريٌ ومسلكٌ ضلاليٌ؟ انزلق إليه المسلمون في غمرةٍ من محنِهم النفسيةِ والسياسيةِ العسكريةِ، فلم ينالوا من ورائه إلا الخسارَ والتبارَ، والفرقةَ والعارَ.

الصِّربُ نصارى حاقدون، والهندوسُ وثنيون مُجْرمون، واليهودُ توراتيونَ لباطِلهم مخلصون. اليهود يدَّعون الحقَّ في فلسطينَ باسمِ اللهِ وباسم الدينِ وباسم التوراةِ. يقول قائلهم: (إن اهتمامنا منصبٌ على عودة الشعبِ اليهوديِّ للإقامةِ بأرضهِ، وإذا كان العربُ لا يرونَ في نصوصِ التوراةِ سبباً كافياً لحقِّ الملكيةِ فليستْ هذه مشكلتَنا).

ويقولُ يهوديٌّ آخرُ: (إنني أمتلك ما لديَّ باسم التوراةِ، واحتجاجُ العربِ لا وزنَ له عندي).

ورئيسُ الصربِ المنتخبُ يقولُ: (لا تقفُ الحربُ في البوسنةِ والهرسكِ إلى أن لا يبقىٰ على أرضِنا مسلمٌ واحدٌ).

أما المخذولون من العرب فنسوا محمداً ﷺ ونسوا نهجَ محمدٍ وتاريخَ محمدٍ ليقولوا: إنهم ينتسبون إلى كنعانَ، فالكنعانيون هم الملاَّكُ الأصليون، وهم أبناؤهُ فهم أحقُّ بميراثه. ألا بعداً لكنعان كما بعدت عادٌ وثمودُ.

الله أكبرُ ـ أيها المسلمون ـ والموقف موقفُ محاسبةٍ ومعالجةٍ يتخلىٰ هؤلاءِ العربُ عن دينِهم وتنكشفُ سواءتُهم بينما يتسربلُ اليهودُ ويصرخون بحماس هائلٍ في كل محفلٍ دولي وإقليمي، وفي كلِّ لقاءٍ إعلاميٍ بأَنهم أَبناءُ التوراة وأبناء إسرائيلَ وأرضُ الميعاد لهم.

يقال ذلك أيها الإخوة. وإخوة لنا من فلسطين مبعدونَ[1] عن ديارِهم في العراء في الزمهريرِ القارس والجوعِ القاتلِ.

يقالُ ذلكَ وكثيرٌ من بلادِ المسلمين تُنْتَقَصُ، وحرماتُ أقلياتِهم تُنْتهكُ، وقضاياهم لا يُؤبَهُ لها.

يقال ذلك: وبعضُ المسلمين يزعمُ أنه يحي ذكرى الإسراءِ والمعراجِ. ناهيكَ بمنْ يحتفلون بأعيادِ الكفارِ[2].

أيها المسلمون: كيف دخلَ المسلمونَ بيتَ المقدس؟ لقد دخلوه حين كانوا في موكبِ أمير المؤمنينَ عمرَ بن الخطابَ رضي الله عنه، لقد أقبل هذا الموكبُ العمريُّ المتواضعُ من أعماق الصحراءِ يتألَّقُ جبينُهُ من آثارِ شعاعِ الوحيِ الخاتمِ، وتمشيْ في خطاه راياتُ التوحيدُ ومعالمُ الشريعةِ.

نعم لقد كان التواضعُ المذهلُ يكسو هذا الموكبَ المهيبَ المستكينَ للهِ ربِّ العالمين. هذا الرجلُ دخلَ بيت المقدسِ بعد أن

---

(١) هؤلاء مجموعة من الفلسطينين النشطين أبعدتهم إسرائيل إلى مرج الزهور في الشهر السادس من عام ١٤١٣هـ الموافق الشهر الثاني عشر من عام ١٩٩٢م. واستمر الابعاد حوالي سنتين.

(٢) صادف ذكرىٰ الإسراء عيد ميلاد المسيح عليه السلام.

قوَّضَ صرحَ الدولتينِ العظيمتينِ في العالمِ فارسَ والروم. يتحركُ بخَطَواته المؤمنةِ مطرقَ الطَّرْفِ، خاشعاً لله، في رحلٍ رثٍّ، لسانُ حالِه يقولُ: (نحن العربَ كنا أذلَّ الناسِ فأعزنا اللهُ بالإسلامِ، فمهما ابتغينا العزَّ في غيرِه أذلنا اللهُ).

ما واجهوا الدنيا إلا بالقرآنِ، وما دانت لهم العروشُ إلا بالقرآنِ وما سُمِعَتْ كلمتُهم، ولا خَضَعتْ الرقابُ لهم إلا حين استمسكوا بالوحيِ، وما صحَّ لهم الذكرُ وما صدقتْ لهم الذِّكرىٰ إلا بالقرآن: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

ولما تخلوا عن ذكرِهم، وكانوا عن ذكرِهم معرضين أنكرتْهُم الأرضُ وتنكَّرَ لهم البشرُ، واستصغرتْهم الدُّنيا، وقذَفَتْ بهم في ذيلِ القائمة.

أيُّ ذِكرىٰ يفهمُها هؤلاءِ الخلفُ من الإسراءِ والمعراجِ؟؟ ومن نبيِّ الإسراءِ والمعراجِ، وموطنِ الإسراءِ والمعراجِ.

عظماءُ الدنيا والشخصياتُ اللامعةُ في التاريخِ حين يذكرُها أصحابُها والمعجبون بها فإنما يذكرون تاريخ ميلادِها وتاريخَ وفاتِها كما قد يذكرون شواهدَ لعبقرياتها، ودلائلَ على مواهبها، إما بطولةٌ في معركة، وإما موقفُ نُبْلٍ في مجتمع، أو نصرٌ سياسيٌّ في ميدانٍ، ولا تعدو هذه الذكرى عندهم كلماتٍ تُحبَّرُ وعباراتٍ تُسطَّرُ، حفظاً لبعضِ الوفاءِ لهذه الشخصيةِ أو تلكَ.

وإنه لمن المحزن ـ والموقفُ موقفُ محاسبةٍ ومعالجةٍ ـ بل من الأسىٰ أن يَفْهَمَ المسلمون من سيرة نبيِّهم محمدٍ ﷺ وأيامهِ ومغازيهِ هذا الفهمَ.

بهذا الفم المحدودِ لن يَجَنوْا إلا كما يجني أهل الدنيا من أمجادِ أصحابِهم ومُعَظِّميْهم.

ذكرُ محمدٍ ﷺ قد تولىٰ رفعَه ربُّه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

ذكرُ محمدٍ ﷺ عقيدةٌ في القلبِ وطمأنينةٌ في الصدرِ وعملٌ شاهدٌ حيٌّ. محمدٌ عليه الصلاة والسلام وسيرتُه غطّتْ شُعَبَ الحياةِ كلَّها، في شجاعتها وسياستِها، وخُلُقِها ومنهجِها، هو القدوةُ في كلِّ شأنٍ، وهو الأُسوةُ في كلِّ حينٍ. تُسْتَمدُّ مِنهُ طهارةُ القلبِ من الإثمِ، وطهارةُ العقلِ من الخرافةِ، وطهارةُ العاطفةِ من الرِّجسِ.

ماذا في النفوسِ من دينِ محمدٍ ﷺ ؟ وماذا في الأخلاقِ من أخلاقه؟ وماذا في الأيدي من تراثهِ؟.

أما كانوا قبلَه أشتاتاً من غيرِ جامعٍ؟ وهملاً من غير رابطٍ؟ وأحياءً على هامشِ الحياةِ من غير هدفٍ؟.

ذكرُ محمدٍ ﷺ لا يكون إلا باليقينِ التامِّ الجازمِ بأنه قرآنٌ يتلىٰ، وسنةٌ تقتفىٰ، ونهجٌ صالحٌ به يهتدى.

ذكرُ محمدٍ ﷺ مرفوعٌ في الأولينَ والآخِرين، مأخوذٌ له الميثاقُ من جميعِ النَّبيِّنَ. مقرونٌ اسمُهُ باسم ربِّ العالمين، يعلو ذكرُه على المنابرِ والمنائر، في المحافلِ والمشاهدِ، والجوامع والمساجدِ. ليس خطيبٌ ولا مُتشِّهدٌ[1]، ولا صاحبُ صلاةٍ ولاَ

---

(١) هو من يتلفظ بالشهادتين.

أذانٍ إلا ويلهجُ بذكره الشريفِ عليه الصلاة والسلام.

طاعتُهُ مرتبطةٌ بطاعةِ اللهِ. صلى عليه ربُّه وملائكتُهُ، وبشَّرَ به النبيون من قبلِهِ. المؤمنونَ مأمورون بالصلاةِ والسلام عليه كلما ذُكِرَ اسمُه. خاطبهَ ربُّه بألفاظِ التكريم والتبجيلِ: (يا أَيُّها المدثر، يا أيُّها المزملُ، يا أيها النبيُ، يا أيهَا الرسولُ). مرفوعٌ في الملأِ الأعلىٰ، ومرفوعٌ في الأرضِ في جميعِ الأرجاءِ. يُذكرُ حين يُكبَّرُ الله ويُعظَّمُ، ويُذْكرُ لِئلا يطغىٰ على النَاس مشاغلُ العيشِ وشهواتِ الدنيا. ومن زعم أنه يَذْكُرُ رسولَ الله ﷺ في غيرِ المقامات التي ذكرها فيه ربُّه فقد أتى بِدْعاً من الأمر.

ويَضْعفُ فقهُ بعضُ الناسِ حينَ يريدُ أن يُقارِنُ شخصَ رسول الله ﷺ بغيرِهِ من شخصياتِ التاريخ، أو يريدُ أن يحيَ ذكراها كما يحي أهل الدنيا شخصياتِهم. الله سبحانه تولىٰ رفعةَ ذكرِهِ، فهل يتطاول أحدٌ ليزيدَ على هذه الرفعة.

يقول الإمام الشافعيُّ رحمه الله: (لم تمْس بنا نعمةٌ ظهرتْ ولا بطنتْ، نلنا بها حظاً في دينٍ أو دنيا، أو رُفِعَ عنا بها مكروهٌ في الدينِ أو في الدنيا إلا محمدٌ ﷺ سببُها).

أيها الإخوة: هذا نوعٌ من الذِّكرِ والذكرىٰ ولوْنٌ من الحسابِ والمراجعةِ.

وبقي ذكرٌ آخرُ يرتبطُ بهذا الذكرِ ومقرونٌ به في كتابِ اللهِ، كما يرتبطُ به لونٌ آخرُ من الحسابِ والمراجعةِ، إنه ذكرُ الأمة المحمدية: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

نعم أيها المسلمون ـ إن الأمةَ في أيام محنتِها يجبُ عليها مراجعةُ نفسِها: ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، فيه شرفُكم وصيتُكم وعلوُّ منزلتِكم، تَشْرُفون بشرفِه، وتشتهرون بشهرته، فأنتم حملتهُ والحاكمون به، حملتم رسالته فشرَّقْتم بها وغرَّبْتم، جاهدتُم به فانتصرْتم، وغلبتُم به فرَحمْتم، وحكمتُم فعدلتُم وسُسْتم به فأحكمتم، وتفجَّرت به لكم ينابيعُ العلومِ الصحيحةِ، والمعارفِ الحقةِ.

تعلَّمتْ به الأمةُ الصبرَ فهان العسيرُ، وتشرَّبتْ الشجاعةَ فضعف أمامها الخطيرُ، دَلَّها على الكرم فبذلت كلَّ نفيس، وترقَّت في العزةِ فسمتْ كلَّ مقامٍ مجيد. وتواضعتْ فتألَّفتْ كلَّ قلبٍ سليم.

ولما تخلوا عنه تخلت عنهم البشرية، فانحطَّ ذِكرُهم وصاروا شيعاً يتخطَّفُهم الناس، بينما كانوا ـ قبلاً ـ آمنين ويُتَخَطَّفُ الناسُ من حولهم.

وبعد أيها الإخوة: فإن ذكرَ الأمةِ وشرفَها، وإحياء ذكرى نبيِّها وأيامِه ومغازِيه، واستعادة الحقوقِ، واسترجاعَ الكرامةِ لا يكونُ إلا برفع السلاحِ المحمديِّ، فسلاحُ محمدٍ ﷺ هو الذي دكَّ حصون اليهودِ، وحطم قواهم، وهو الذي حققَ العدالة على وجه الأرض وبسطَ الأمنَ وأقامَ الحقَّ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٨ ـ ٧١].

محاسبة ومعالجة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ وفي كلِّ حالٍ، حمداً يليقُ بذي العَظَمةِ والجلالِ، ويستدعي مزيدَالإحسانِ والإِفْضالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبيرُ المتعالُ، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه كريمُ المحْتَدِ وشريفُ الخِصال، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خيرِ صحبٍ وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المآل.

أما بعدُ: فهل يعلمُ المسلمون وأبناءُ المسلمين أن معركتَهم مع أعدائهم معركةُ دينٍ وعقيدةٍ، معركةُ قيمٍ وأخلاقٍ. لقد سترَ الأعداءُ وجوهَهُم الكاسرةَ بالنقابِ الخادع، وغطَّوْا أنيابَهم الكاشرةَ بمعاهداتِ الصداقةِ، وصاغوا الغصبَ والنهبَ بألفاظِ القانونِ ومصطلحاتِ الحقوقِ، سَمُّوا الاستعمارَ تَمَدُّناً والاغتصابَ انتداباً، وأنكروا بيعَ الرقيقِ وأحلوا بيعَ الشعوبِ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

ألا فاتقوا الله عباد الله وراجعوا دينكم واستمسكوا بهدي نبيكم محمد ﷺ ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة الأسوة العظمى والقدوة العليا نبيكم محمد رسول الله فقد أمركم بذلك ربكم فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ اللهم صل وسلم وبارك على عبدك. . . .

محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ يبدئُ ويُعيدُ، خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ يكورُ الليلَ على النهارِ ويكورُ النهارَ على الليلِ، أحصىٰ على الخلقِ أعمالَهم فهو بكلِّ شيءٍ محيط وعلى كلِّ شيءٍ شهيدٌ، أحمده سبحانه وأشكره وأسأله من فضلهِ المزيدَ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الوليُّ الحميدُ. وأشهد أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولهُ دعا إلى اللهِ وهاجرَ في سبيلِ اللهِ وجاهدَ وصابرَ حتى أقامَ الملةَ ورفعَ رايةَ التوحيدِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ الهجرةِ والنُّصرةِ والتأييدِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فاتقوا اللهَ أيها المسلمون حقَّ التقوىٰ، فالأعمارُ تُطوىٰ والأجيالُ تُفنىٰ والآجالُ تُقضىٰ، والمؤمِّلُ يقعدُ به أمله، والمسوِّفُ يعاجُلُه أجلُه. فاتقوا اللهَ وأحسنوا إن اللهَ يحبُّ المحسنين.

أيها الإخوةُ المسلمون: تتعاقبُ أمواجُ السنينَ على ساحلِ الحياةِ فتنفيْ الخبثَ، وتطرحُ الغثاءَ، وتركمُ الأحداثَ، ويزدادُ سجلُّ التاريخِ صفحةً بعدَ صفحةٍ، وابنُ آدمَ بأمرِ اللهِ محمولٌ على هذه الأمواجِ تتقاذفهُ من هنا وهناكَ. والفلكُ الدائرُ يتحركُ بإذن اللهِ فيلفظُ القشرَ ويُصفِّي الأكدارَ، ويحفظُ اللُّبابَ.

في استقبالِ عامٍ وتوديعِ آخرَ تأملوا وتدبرَّوا، اقرأوا ما خطَّ

التاريخُ في صفحتِهِ التى طواها الدهرُ بالأمس. هل انْجلَتْ غواشي الغفلةِ عن العيونِ السَّادرةِ؟ هل ارتفعَ الذُلُّ عن النفوسِ العزيزةِ؟ هل اجتمعتْ القلوبِ المتنافرةُ؟ هل ملَّت النفوسُ الحديثَ عن الآمالِ والبشائرِ؟ هل لم تستفدْ من زمنِها وتقلُّبِ أيامِها إلا الجدلَ العقيمَ في تأييدِ رأيٍ وتفنيدِ آخر؟ هل هي خططٌ بالكلامِ وانتصاراتٌ بالأمانيْ والأحلامِ؟.

أيها الإخوةُ: من أجلِ إجاباتٍ شافيةٍ ونظراتٍ صادقةٍ أمام هذه التساؤلاتِ لابدَّ من وقفةِ محاسبةٍ جادةٍ، ومراجعةٍ دقيقةٍ، فلقد تفجَّرتْ في وجوهِ الأمةِ الأهوالُ واغبرَّتْ في عيونِها الآمالُ، بين أنَّاتِ الشاكي، ودموعِ الباكيْ وانكسارِ الجناح المهيضِ.

أيُّها الإخوةُ: إن وقفةَ الصدقِ مع النفسِ تقتضيْ المصارحةَ في المحاسبةِ ولو بغليظٍ من القولِ فإن الدواءِ مرٌ. هل للأمةِ أن ترجعَ في تاريخِها عشرين سنةً ماضيةً أو ثلاثين؟؟ ماذا جنتْ من نضالِها القوميِّ؟ وماذا كسَبَتْ من كفاحِها الوطني؟ وأين هي من تطلُّعِها التقدمي؟ ألفاظٌ ومصطلحاتٌ لاكتها الصحافةُ ولفظَ بها المفكرونَ والساسةُ؟؟؟ قبل ثلاثين سنةَ كان للأمةِ عدوٌ واحدٌ من خارجِها هُزِمتْ أمامَه في حربِ النكسةِ[1] كما اصطلحوا وها هي بعدَ ذلك أصبحتْ عدوةَ نفسِها، ارتدَّ سلاحُها إلى صدورِ أبنائِها، كانت هزيمتُها أمام عدوِّها بسببِ خلافاتها، وها هي أمام نفسها يزدادُ خلافُها وتتشعبُ أهواؤُها وتتلونُ مصالُحها إنها الهزيمةُ الشنيعةُ

---

(١) هي الهزيمة التي لحقت بالعرب في حربهم مع اليهود في شهر صفر عام ١٣٨٧هـ الموافق يونيو ١٩٦٧م.

أمامَ التاريخِ والأجيالِ.

هل غَلُظَتْ الحجبُ أمامَ أمةِ القرآنِ فلم تَعُدْ تعرفُ سننَ اللهِ في التغييرِ والتمكينِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

كانت الأمةُ حين النكسةِ تقول إنها ستتعلمُ الدرسَ وستفقَهُ من الحياةِ مالم تفقَهْ من الكتبِ، تقول في حينِهِ إن الأممَ الكبيرةَ هي التي تحولُ هزيمتَها إلى نصرٍ إنها التي تستلهِمُ من هزيمتِها المنكرةِ وسائلَ النصرِ واستعادة الكرامةِ، هكذا قال الكتابُ والساسةُ وبثت وسائلُ الإعلام في حينهِ؟؟؟ لقد كانت الأمةُ تعرف أن سببَ نكستِها لأنها الأضعفُ في قواها، والأشدُّ في خلافاتِها، والأكثرُ هزالاً في تربيتِها. كانت تحدِّثُ نفسَها أن تعملَ ما في وسعِها لامتلاكِ عناصرِ القوةِ والوحدةِ في الصفِّ والهدفِ، في البناءِ والعلمِ والإصلاحِ. ولكن تمرُّ العشرون عاماً والثلاثون ولم تتعلمْ الأمةُ شيئاً، لم تزدد إلا تخلُّفاً، ولم تجنِ إلا تفرقاً ولم تحققِّ إلا هزائماً. بل جاءتْ الحروبُ التي تعرفونها، وهي حروبٌ بين أبنائها وليست حروباً مع أعدائها. حروبٌ شمطاءٌ لاهدفَ لها ولا غايةً، زادتْ النكساتِ وعمَّقتْ الانشقاقاتِ، فرجعتْ الأمةُ لتحطِّمَ نفسَها من داخلِها رافعةً شعاراتِها المتهالكةَ ومقولاتِها الكاذبةَ الخاطئةَ، فاجتمعَ عليها هزيمةُ الميدان وهزيمةُ الفكرِ والوجدانِ. وها هي صورٌ من المآسي ماثلةٌ في اليمنِ[1] وأفغانستانَ، واسمعوا

---

(١) الحرب التي بين جنوب اليمن وشماله في فترة إلقاء هذه الخطبة.

إلى الشعاراتِ التي يرفعُها هؤلاءِ وهؤلاءِ من الأطرافِ المتحاربةِ. وتحت هذه الشعاراتِ والراياتِ، يسقطُ الآلافُ من الأبرياءِ وينهدمُ الشامخُ من البناءِ، زيادةٌ في الخسائِر، وتهدمٌ من الداخلِ، وتراكمٌ في الديونِ، وتراكبٌ في الجهالةِ. وبلادٌ أخرىٰ من الصومالِ، والبوسنةِ تتضاءلُ أكثرُ فأكثرُ تحتَ سُحُبِ الخوفِ ووابلِ الجوعِ والفقرِ. وإن استمرَّ الحالَ كذلكَ فإن دياراً أخرىٰ سوفَ ينالُها ما ينالُها. والأشدُّ والأنكىٰ في حال التأملِّ هذا أن يتحولَ العدوُّ صديقاً وينقلبَ القريبُ الصديقُ عدواً لدوداً هذا هو نضالُهم، وذلكم هو تقدُّمُهم، ولا يزالون يردِّدون عاشتْ الوطنيةُ. وما تمزقت الأوطانُ إلا بأيديْهم.

أيُّها الإخوةُ: ومع هذه النظرةِ القاتمةِ والمحاسبةِ العنيفةِ فلتعلموا أنَّ الأمةَ بدينِها باقيةٌ وبذورُ الخيرِ فيها محفوظةٌ وعواملُ القوةِ فيها مستكنَّةٌ.

وإن الفجرَ الصادقَ قريبٌ بإذن اللهِ فجرُ صدقٍ ونصرٍ إذا أحسنت الأمةُ الاستفادةَ من دروسِها. كيفَ ذلك؟؟.

عشراتُ الملايينِ من المسلمين في الجمهوريات الإسلامية نفضتْ الغبارَ عن نفسِها حالَ ما تحطمَّ جدارُ الشيوعيةِ، أظهروا دينَ اللهِ متعالياً من تحتِ الركامِ.

لقد سُجنتْ تلك الشعوبُ وطُمرتْ تحت الأطباقِ سبعين عاماً من أجلِ ألا يقولوا ربُّنا اللهُ.

وأفغانستانُ على الرغم مما نحملُ في قلوبِنا نحوهَم من لوم وعتَبٍ فإن تجربتَهم الجهاديةَ في هزيمةِ أعداءِ الإسلامِ قابلةٌ

للإعادةِ. ومسلموا ألبانيا وبلادِ البلقان وأوروبَّا الشرقيةِ زالتْ عنهم الحجبُ فتعالىٰ إسلامُهم، وثمتْ شعوبٌ أخرىٰ اضطُهِدتْ في دينِها فهي في حالِ تململٍ وضجرٍ.

يجبُ أن نعيَ أن هذه أحداثٌ وانتصاراتٌ حقيقيةٌ، وطريقٌ في التأمّلِ والتصحيح صحيحٌ. إن الأمةَ مصرةٌ على التمسكِ بهويتِها، والعضِّ على انتمائِها إلى عقيدتِها.
لقد أثبتتْ حنينَها لأصولِها، وتمسُّكَها بجذورِها.

إن المدَّ الإسلاميَّ يتجذَّرُ في البلادِ الإسلاميةِ ويتعمقُ في شعوبِها، ويستشرفُ لتصحيح الكثيرِ من أوضاعِها من خلالِ الإسلامِ وتعاليمِه وتطبيقِه، وذلك جليٌّ فيما تعيشُهُ تلكَ الشعوبُ من مظاهرِ الحياةِ في الدينِ وحسنِ السلوكِ.

موقفُ المحاسبةِ ونظرُ التأملِ يؤكدُ أن المسلمينَ الصادقينَ لا تتزعزعُ فيهم الثقةُ بأن المستقبلَ لهذه الدعوةِ التي آمنوا بها، وما عليهم إلا أن يَنْهضوا بحقوقِ هذا الدينِ، ويثبتوا على صراطِهِ المستقيمِ مهما تكاثرتْ المحنُ أو ترادفتْ الفتنُ، يقينٌ جازمٌ بأن نصرَ اللهِ للمؤمنينَ حقٌ ولو كان الواقعُ المشاهدُ يستبعدُها، والظرفُ الراهنُ يرتابُ فيها: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم: ٤٧]. نعم يؤمنون بنصرِ اللهِ لهم ولو طالَ الأمدُ وامتدَّ السُّرىٰ.

المسيرةُ الصحيحةُ والسَّيرُ على الجادةِ يقتضي أن يؤديَ المؤمنُ واجبَهُ في دينِ اللهِ من غيرِ تعجُّلٍ للنصرِ، فليس الأمرُ متعلقاً بفوزهِ الشخصيِّ، أو اندحارِ عدوِّهِ الحاضرِ، فمن يدريْ فلربَّما تحولَ

هذا الخصمُ إلى صديقٍ مؤمنٍ يعتزُّ به دينُ اللهِ.

المؤمنون يعملون ويغرسون، وإنهم ليرقبونَ ثمارَ غرسِهم في المستقبلِ القريبِ أو البعيدِ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

المؤمنونَ يدعونَ إلى اللهِ، ويعملونَ من أجلِ دينه من غيرِ أن يخُامرَهم قنوطٌ أو يُداخلُهم شكٌّ، ولن يسأمُوا تكاليفَ الجهادِ ومعاناةَ الصبرِ والمصابرةِ ولو كلَّفهم ذلك الهجرةَ والاستشهادَ والتضحيةَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤١ ـ ٤٤].

محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ أجزلَ لنا النعمَ ظاهراً وباطناً، أحمده سبحانه واشكره لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، وأشهد ألا إله إلا الله لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أوضحَ السبيلَ وأنارَ الطريقَ ودلَّ على الخير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أعلامِ الهدىٰ ومصابيحِ الدجىٰ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فاتقوا الله أيها المسلمون:

ولئن كانت الهجرةُ نصراً وعزاً فقد وقعَ في هذا الشهرِ نصرٌ آخرُ لنبي من أنبياءِ اللهِ أمَرنا نبيُّنا محمدٌ ﷺ أن نشكرَ اللهَ عليهِ ونفرحُ بهذا النصرِ، فحينما قدمَ صلى الله عليه وسلم المدينةَ رأىٰ اليهودَ تصومُ يومَ عاشوراء فقال: ما هذا اليومُ الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم ظهرَ فيه موسىٰ على فرعونَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**أنتم أحق بموسىٰ منهم فصوموا**»[1].

ومن لطيفِ المعنىٰ أيها المسلمون: أن نبيَّنا محمداً ﷺ حين قال لصاحبِه في مُهاجرِه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس
أخرجه البخاري (٨/ ١٩٨ ـ ح٤٦٨٠) واللفظ له، ومسلم (٢/ ٧٩٥ ـ ح١١٣٠).

كان كليم اللهِ موسىٰ عليه السلامُ قد أجابَ قومَه حين قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢] قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ [الشعراء: ٦٣ ـ ٦٧].

فهو يومُ نصرٍ للحقِّ أُمرنا بصيامِهِ فنحن أحقُّ بموسىٰ من بني إسرائيلَ. يقولُ ابن عباس رضي الله عنهما كما في صحيح مسلم: «**ما علمتَ أنَّ رسول اللهِ ﷺ صامَ يوماً يطلبُ فضلَه على الأيامِ إلا هذا اليومَ يعني يومَ عاشوراء... الحديث**»[1] .

وفي الصحيح أيضاً عن أبي قتادةَ رضي الله عنهُ أن النبي ﷺ قال: «**صومُ يومَ عاشوراءَ يكفرُ السنةَ الماضيةَ**»[2] ، فبادروا إلى صيامِهِ رحمكمُ اللهُ، ومن كان صائماً فليصمْ يوماً قبلَه أو يوماً بعدَهُ مخالفةً لليهودِ كما أرشدَ إلى ذلك المصطفىٰ ﷺ.

وإن من أحاديثِ التأملِ وعبرِ الدروسِ حديثَ الهجرةِ هجرةِ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم وصحبِه، هجرةٌ لم تكن هروباً ولا يأساً، ولم تكن ذُلاً ولا ضعفاً، ولكن إذنٌ من اللهِ وتدبيرٌ أعقبهُ نصرٌ وفتحٌ مبينٌ، وصاحبَه تحملٌ وصبرٌ، وتضحيةٌ بالأموالِ والأوطانِ.

أيُّها الإخوةُ: ليس المقامُ مقامَ سردٍ ولا طولَ وقوفٍ، ولكنه

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٩٧ ـ ح١١٣٢)، وأحمد ١/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٨١٩ ـ ح١١٦٢)، وأحمد (٥/ ٣٠٨)، والترمذي (٣/ ١٢٦ ـ ح٧٥٢)، وابن ماجه (١/ ٥٥٣ ـ ح١٧٣٨).

أمرٌ واحدٌ يحسُنُ الوقوفُ عندَه وتدبُّرُهُ؛ لقد قال الله سبحانه مخاطباً الأمة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠]. هل تعلمون متى نزلتْ هذه الآيةُ على رسولِ اللهِ ﷺ ؟؟ إنها لم تنزلْ وقتَ الهجرةِ، ولم تنزلْ بعدها مباشرةً، ولكنها نزلتْ بعد مضيٍّ تسعِ سنين، نزلتْ تخاطبُ المؤمنينَ حين دعاهم نبيُّهم لقتالِ الرومِ فكأن بعضهم وجدَ في نفسِه تثاقلاً.

إن الهجرةَ درسٌ للمتثاقلين والمُبطِّئين ليعملوا أن النصرَ من عندِ اللهِ فليس هو بالقلةِ ولا بالكثرةِ، وإن كان الاستعدادُ مطلوباً، لقد كان عزاءُ النبيِّ المهاجرِ لصاحبِه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وعبرةُ الهجرة تقول: من فرَّطَ في جنبِ اللهِ كيف يستنزلُ نصر الله؟؟؟.

سلعة الله الغالية

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ جعلَ جنةَ الفردوس لعبادِهِ المؤمنينَ نُزُلاً، ويسَّرَ المكلفينَ للأعمالِ وهداهم النجدينِ ليبلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً.

أحمدُه سبحانهُ وأشكرهُ وأتوبُ إليه وأستغفرُهُ، أرسلَ الرسلَ وأنزلَ الكتبَ وأقامَ الحجةَ على خلقهِ فهو لم يخلقْهُم عبثاً ولا سدىً ولم يتركهم هملاً. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدُه لا شريكَ لهُ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه دعا إلى الحقِّ وأوضحَ المحجةَ فلا نَبْغِي عن مَحَجتِهِ بَدَلاً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزوجه وذريته وصحبِه والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ اتقوا اللهَ حقَّ تقاتِهِ، وسارِعوا إلى مغفرةِ ربّكم ومرضاتِه، وأجيبوا الداعيَ إلى دارِ كرامتِه وجناتِه، والعمرُ سريعُ الذهابِ بساعاتِه وأوقاتِهِ.

أيها المسلمون: الحديثُ عن النعيم المقيم، والإيمانُ الراسخُ بالنُّزُلِ الكريم من الغفورِ الرحيم هو سَلوةُ الأحزانِ وحياةُ القلوبِ وحادْي النفوسِ ومهيجُّها إلى ابتغاءِ القربِ من ربِّها ومولاها. الحديثُ عن النَعيمِ والرضوانِ لا يسأمُهُ الجليسُ ولا يملُّه الأنيسُ.

عزَّتْ دارُ الفردوس من دارٍ، وجلَّ فيها المُبْتغىٰ والمرامُ، دارٌ وجنانٌ تبلغُ النفوسُ فيها منيتَها ومُناها. غرفٌ مبنيةٌ طابتْ للأبرارِ

منازلُها وسكناها. جلَّ وتقدَّسَ من سَوَّاها وبناها، غرسها الرحمنُ بيدِه، وجعلها مستقراً لأهله وخاصتِه، وملأها برضوانِه ورحمتِه، فيها الفوزُ العظيمُ والملكُ الكبيرُ والنعيمُ المقيمُ. ولَمَوْضِعُ سوطٍ فيها خيرٌ من الدنيا وما فيها: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أيها الإخوةُ: وهذا حديثُ ذكرىٰ وتذكيرٍ من آيِ الكتابِ وخبرِ سيِّدِ الأخيارِ والأحبابِ نبيِّنا محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ عما أعدَّه ربُّنا جلَّ وتقدَّسَ لعبادِه المتقينَ من جناتٍ وعيونٍ ومقامٍ كريمٍ.

أيها الإخوة: يحشرُ المتقون إلى الرحمنِ وفداً، ويساقون إلى الجنة زمراً. لقد وجدوا ما وعدَهم ربُّهم حقاً، رضي عنهم ورضوا عنه. ناداهم عزَّ جلالُه: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٦٨ ـ ٧٠].

أولُ زمرةٍ منهم يدخلونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ثم الذين يلونُهم على أشدِّ كوكبٍ دريٍّ على خَلْقِ رجلٍ واحدٍ على صورةِ أبيهم آدمَ لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ، قلوبُهم على قلبٍ واحدٍ يسبحون اللهَ بكرةً وعشياً ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

يناديهم المناديْ: لكم النعيمُ سرمداً، تحيون ولا تموتون أبداً، وتَصِحُّون ولا تَمْرَضُونَ أبداً، تَشِبُّون ولا تهرمون أبداً، وتَنْعَمُونَ ولا تبأسونَ أبداً، يَحِلُّ عليكم رضوانُ ربِّكم فلا يسخطُ أبداً.

جناتُ عدنٍ يدخلونها، غُرُفَاتُها من أصنافِ الجوهرِ كلِّه، يُرَىٰ

باطنُها من ظاهرِها وظاهرُها من باطنِها، فيها من النعيم واللذائذِ ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ. اقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزخرف: ٧١]، ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾ [محمد: ٣٤].

رياضُها مَجْمَعُ المتحابِّين، وحدائِقُها نزهةُ المشتاقينَ، وخيامُها اللؤلؤية على شواطىءِ أنهارِها بَهجةٌ للناظرين، عرشُ الرحمنُ سقفُها، والمسكُ والزعفرانُ تربتُها، اللؤلؤُ والياقوتُ والجوهرُ حصباؤها، والذهبُ والفضةُ لبناتُها: ﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ [الزمر: ٢٠]. عالياتُ الدرجاتِ في عالياتِ المقاماتِ، بهيجةُ المتاعِ، قصرٌ مشيدٌ وأنوارٌ تتلألأُ، وسندسٌ واستبرقٌ، وفاكهةٌ كثيرةٌ لا مقطوعةٌ ولا ممنوعةٌ، وفرشٌ مرفوعةٌ، هم فيها على الأرائكِ متكؤُنَ. ظلُّها ممدودٌ، وطيرُها غير محدودٍ، فاكهةٌ مما يتخيرون، ولحم طيرٍ مما يشتهون. قطوفُها دانيةٌ للآكلينَ، وطعمُها لذةٌ للطاعمين. قد ذُلِّلَتْ قطوفُها تذليلاً.

نعيمُ البدنِ بالجنانِ والأنهارِ والثمارِ. ونعيمُ النفسِ بالأزواجِ المطهرةِ، ونعيمُ القلبِ وقرةُ العينِ بالخلودِ والدوامِ، عيشٌ ونعيمٌ أبدَ الآبادِ، عطاءٌ من ربِّك غيرُ مجذوذٍ.

فيها أزواجٌ مطهرةٌ، خيراتٌ حسانٌ الوجوهِ، جمعنَ الجمالَ الباطنَ والظاهرَ من جميعِ الوجوهِ. في الخيامِ مقصوراتٌ، وللطرفِ قاصراتٌ، تَقْصُرُ عن حسنِهنَّ عيونُ الواصفينَ: ﴿ عُرُبًا

﴿ أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ﴾ [الواقعة: ٣٧،٣٨]، لا يفنىٰ شبابُها، ولا يبلىٰ جمالُها: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ ﴾ [الرحمن: ٥٦] لو اطلعتْ احداهُنَّ على الدنيا لملأَتْ ما بينَ الأرضِ والسماءِ ريحاً وعِطراً وشذىً، ولطمستْ ضوءَ الشمس كما تطمسُ الشمسُ ما في النجوم من ضياءٍ. حورٌ عينٌ راضياتٌ لا يسخطْنَ أبداً، ناعماتٌ لا يبأسْنَ أبداً، وخالداتٌ لا يزُلنَ أبداً.

أصحابُ الجنةِ يلبسون من سندس واستبرقٍ متقابلين، ويُحَلَّون من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤا، ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ ﴾ [الدهر: ٢١]، ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ [الزخرف: ٧١]، ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝٢٤ ﴾ [الطور: ٢٤]. يجتمعون في ظلِّها الظليلِ يتنازعون فيها كؤسَ الرحيقِ المختوم والتسنيم والسلسبيلِ، تتوالىٰ عليهم المسراتُ والخيراتُ والإحسانُ والمكرماتُ.

نُزِعَ من قلوبهم الغلُّ وطُردَ عنهم الحزنُ والهمُّ: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥ ﴾ [فاطر: ٣٤،٣٥]، ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦ ﴾ [الواقعة: ٢٥،٢٦].

هدوءٌ ورضا يغمرُه السلامُ والاطمئنانُ، والودُّ والأمانُ، يبلِّغُهم ربُّهم السلامَ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ ﴾ [يس: ٥٨]، والملائكةُ يدخلونَ عليهم من كلِّ بابٍ بالسلام: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤ ﴾ [الرعد: ٢٤]. وخزنةُ الجنةِ يحيُّونَهم بالسلامِ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣ ﴾ [الزمر: ٧٣].

في جناتِ عدنٍ يأتلفُ شملُهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتِهم: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]. وفي جوِّ التجمع والتلاقي تُناديْ الملائكةُ بالتكريم والترحيب: ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].

وهل ترى نعيماً ـ يا عبدالله ـ فوقَ هذا النعيم؟؟؟.

نَعمْ لقد بقيَ بعد الحسنىٰ الزيادةُ؛ فهذا هو يومُ المزيدِ فاستمعْ يومَ ينادي المنادي: ياأهلَ الجنةِ إن ربّكم تبارك وتعالىٰ يستزيرُكم: (أي يطلبُ زيارتكم) فحيَّ على الزيارةِ فينهضونَ إلى الزيارةِ مبادرين؛ فإذا بالنجائبِ قد أُعدَّتْ لهم حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفْيَح نُصِبْت لهم منابرُ من نورٍ ولؤلؤٍ وزبرجدٍ وجلسوا على كثبانِ المسكِ؛ ثم يناديْ المناديْ: ياأهل الجنةِ: سلام عليكم ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

يا أهلَ الجنةِ هذا يومُ المزيدِ؛ ثم يكشفُ الربُّ الحُجُبَ ويتجلّىٰ لهم فيغشاهم من النورِ ما يغشاهم.

فيا قرة عيونِ الأبرارِ بالنظرِ إلى الوجهِ الكريم في الدارِ الآخرةِ، ويا ذلَّةَ الراجعينَ بالصفقةِ الخاسرةِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٥].

أيها الإخوة: هؤلاء هم أصحاب الحسنىٰ وزيادةٍ: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٩]، يصلون بالليلِ والناسُ نيامٌ،

ويصومون وغيرهم يأكلُ، وينفقون وغيرهم يبخلُ، ويقاتلون وغيرُهم يتقاعسُ ويجبنُ.

أولئك هم عبادُ اللهِ حفظوا وصيةَ اللهِ، ورعوا عهدَه، بربِّهم يؤمنون، وبربِّهم لا يشركون، وهم من خشيتِهِ مشفقون، استجابوا لربِّهم وأقاموا الصلاةَ وأنفقوا سراً وعلانيةً في السراءِ والضراءِ، يؤتون ماآتوا وقلوبُهم وجِلَةٌ، يجتنبون كبائِر الإثم والفواحشَ، إذا ذُكرَ اللهُ وجِلَت قلوبُهم وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادَتهمْ إيماناً وعلى ربِّهم يتوكلون، عن اللغوِ معرضون، وللزكاةِ فاعلون، ولفروجِهم حافظون، إلا على أزواجِهم أو ماملكت أيمانُهم فإنهم غيرُ ملومين. لأماناتهم وعهدِهم راعون. طالما تعبتْ أجسادُهم من الجوعِ والسهرِ، واستعدوا من الزادِ بما يكفي لطويلِ السفرِ، عَثَراتُهم تَجريْ وفي قلوبِهم مُعتبرٌ، كَثُرَ استغفارُهم فحُطَّتْ خطاياهم، وكلَّ ما طلبوا من ربِهم أعطاهم، فسبحان من اختارهم واصطفاهم، (إنهم عبادُ اللهِ المخلَصون)، فيهم الشهيدُ المحتسبُ والعفيفُ المتعففُ، والسلطانُ المقسطُ، والضعيفُ المتضعفُ المتواضعُ ذو الطمرين مدفوعٌ بالأبواب لو أقسمَ على اللهِ لأَبرَّه[1]. أقوام يقطرون نزاهةً، أفئدتُهم مثلُ أفئدةِ الطيرِ، فيهم الذين لا يرقون ولا يسترقونَ ولا يتطيرونَ وعلى ربهم يتوكلونَ، متحابُّون في جلالِ اللهِ، فيهم صاحبُ القرآنِ يقرأُ ويرتلُ ويرتقيْ، فيهم تاركُ المراءِ ولو كان مُحقاً، وتاركُ الكذبِ ولو كان مازحاً، وبيتٌ في

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١١/ ٥٥٠ ـ ح٦٦٥٧)، ومسلم (٤/ ٢١٩٠ ـ ح٢٨٥٣، ٢٨٥٤).

الجنةِ لمن حَسُنَ خلُقُهُ يكظمُ الغيظَ ويعفوُ عن الناسِ واللهُ يحبُّ المحسنينَ. فيهم من أطعمَ الطعامَ وأفشى السلامَ وَصلىٰ بالليلِ والناسُ نيامٌ، خافَ مقامَ ربِّه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ. جنةُ ربِّي لكلِّ أوابٍ حفيظٍ من خشي الرحمٰن بَالغيبِ وجاءَ بكلِّ قلبٍ منيبٍ. عيونٌ تبكيْ من خشيةِ اللهِ، وعيونٌ تحرِسُ في سبيلِ اللهِ، يخافونَ من ربِّهم يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم اللهُ شرَّ ذلك اليومِ ولقَّاهُم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً.

الله أكبر أهل الجنانُ والغُرفاتِ أقوامٌ آمنوا بالله وصدَّقُوا المرسَلين: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

ألا هلْ من مشمرٌ إلى الجنةِ ـ ياعبادَ اللهِ ـ قولوا كما قالَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ: نحنُ المشمِّرون إن شاءَ اللهُ.

اللهم إنا نسألكُ رضاكَ والجنةَ ونعوذ بكَ من سخطكَ والنارِ، اللهم إنا نسأَلُك الجنةَ وما يقرِّب إليه من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بكَ من النارِ وما يقرِّبُ إليها من قولٍ وعملٍ.

اللهم إنا نسألك نعيماً لا ينفدُ وقرةَ عينٍ لا تنقطعُ، ولذة النظرِ إلى وجهكِ الكريم والشوقِ إلى لقائكَ في غيرِ ضراءَ مضرةٍ ولا فتنةٍ مضلةٍ، استجبْ اللهم ياربَّ العالمين.

سلعة الله الغالية

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ رضيَ من عبادهِ اليسيرَ من العملِ، وتجاوزَ لهم عن الكثيرِ من الزللِ، وخصَّ من شاءَ بهدايتهِ وتوفيقهِ نعمةً منه وفضلاً. أحمدهُ سبحانهُ وأشكرهُ، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ شهادةَ مؤمنٍ بها آخذٍ بمقتضاها قولاً وعملاً. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ رحمةُ العالمين، وقدوةُ السامعين وحجةُ السالكينَ لا نبتغي إلى السعادةِ بغيرِ طريقهِ أملاً.

صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فقد سألَ الصحابيُّ الكريمُ الفقيهُ بالحلالِ والحرامِ ومبعوثُ رسولِ الله ﷺ في التعليمِ والقضاءِ والفتيا معاذُ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: «قلت يارسول الله أخبرني بعملٍ يدخلُني الجنةَ ويباعدُني عن النارِ؟ قال: **لقد سألتَ عن عظيمٍ وإنه يسيرٌ على من يسرُه اللهُ عليه؛ تعبدُ اللهَ ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ وتؤْتي الزكاةِ وتصومُ رمضانَ وتحجُّ البيتَ، ثم قالَ: ألا أدلُّك على أبوابِ الخيرِ؟ الصومَ جنةٌ والصدقةُ تطفيءُ الخطيئةَ كما يطفيءُ الماءُ النارِ، وصلاةُ الرجلِ في جوفِ الليلِ** ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]، ثم قال: **ألا أخبرُكَ برأسِ الأمرِ وعمودِه وذُروةِ سنامِه؟** قلتُ: بلىٰ

يارسولَ اللهِ. قال: **رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ في سبيلِ اللهِ. ثم قال: ألا أخبرُك بملاكِ ذلكَ كلِّه؟** قلتُ: بلىٰ يانبيَّ اللهِ فأخذَ بلسانه وقال: **كُفَّ عليكَ هذا.** قلتُ: يانبيَّ اللهِ وإنا لمؤاخذون بما نتكلَّمُ به فقال: **ثكلتكَ أمُّكَ يامعاذُ؛ وهل يُكبُّ الناسَ في النارِ على وجوهِهِم أو قال على مناخرِهِم إلا حصائدُ ألسنتِهم**»[1].

أيها الإخوةُ: هذه هي الجنةُ وهذا هو سبيلُها فهل رأيتُمْ أشدَّ غبناً ممن يبيعُ الجنانَ العاليةَ بحياةٍ أشبهَ بأضغاثِ أحلامٍ، يبيعُ الفردوسَ بدنيا قصيرةٍ وأحوالٍ زهيدةٍ مشوبةٍ بالنقصِ ممزوجةٍ بالغصصِ. حياةٍ حقيرةٍ إنْ اضحكَتْ قليلاً أبكتْ كثيراً، وإن سرَّتْ أياماً أحزنتْ دهوراً، أيُّ سفهٍ وأيُّ عتهٍ ممن يبيعُ مساكنَ طيبةً في جناتِ عدنٍ بأعطانٍ ضيقةٍ وخرابٍ بورٍ؟؟؟ فياحسرةَ هذا المتخلفِ حين يعاينُ كرامةَ اللهِ لأوليائِه وما أخفىٰ لهم من قرةِ أَعين فلسوفَ يعلمُ أيَّ بضاعةٍ أضاعَ؟؟؟.

فاتقوا الله رحمكُم الله وبادرُوا وشمِّروا، واعملوا وأحسِنُوا وأبشروا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٣ ـ ح٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ـ ح٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١).

النار أهلها وأهوالها

الخطبة الأولى

الحمد لله وكفىٰ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأسبحُه وأقدسُه، لم يَزَلْ بنعوت الجلالِ والكمالِ متصفاً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له مُقراً بواحدنيته ومعترفاً، وأشهد أن سيدِّنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المجتبىٰ والرسولُ المصطفىٰ، أكرمُ البريةِ أصلا ومحتداً، وأزكاها فضلاً وشرفاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه السادةِ الحنفاءِ، أهل البرِّ والصدقِ والوفا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفىٰ.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسيْ بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللهِ، اتقوا يوماً الوقوفُ فيه طويلٌ، والحسابُ فيه ثقيلٌ.

أيها الإخوةُ المسلمون: كلُّ نفس لاتحملُ إلا حِمْلَها، ولا تكسبُ إلا عليها، ولا تزِرُ وازرةٌ وزِّرَ أخرىٰ، ولسوفَ تأتي كلُّ نفسٍ تجادلُ عن نفسها.

أهلكتْ كثيراً من الناس الأمانيُّ، إيمانٌ بلا أثرٍ، وقولٌ بلا عملٍ، ترى فيهم رجالاً ولَا ترىٰ عقولاً، وتسمعُ حسيساً ولا ترىٰ أنيساً، عرفوا ثم أنكروا، وحرَّموا ثم استحَلُّوا. يقولُ الحسنُ البصريُّ رحمه الله: أمؤمنٌ بيومِ الحسابِ هؤلاءِ؟ كلَّا، كذبوا ومالكِ يومِ الدين؟؟؟.

لا يدخلُ الجنةَ إلا من يرجوها، ولا يسلمُ من النارِ إلا من يخافُها، ورودُ النار متيقنٌ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١] ولكن هل الخروج منها متيقنٌ؟؟.

أين الخوفُ من هولِ ذلكَ الموردِ؟ ومن تُرىٰ بالنجاةِ والفَكاكِ يَحْظى ويَسْعَد؟؟ يقول موسىٰ بن سعدٍ: «كنا إذا جلسنا إلى سفيانَ كأنَّ النارَ قد أحاطت بنا لما نرىٰ من خوفِهِ وجَزَعِهِ». من خاف أدْلجَ ومن أدلجَ بلغَ المنزلَ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٦ ـ ٢٨] حقاً وصدقاً إن هُدىٰ الله ورحمته للذين هم لربِّهم يرهبون.

أيُّها الإخوةُ في اللهِ: وهذا حديثُ ذكرىٰ وتذكيرٍ، وإنذارٍ وتخويفٍ عما أخبر به الكتابُ وصحَّتْ به الأخبارُ عن رسولِنا محمدٍ ﷺ من الوعيدِ للمكذبينَ، والخوفِ على المقصرين، حديثٌ عن النارِ وأهلِها وأهوالِها أعاذنا الله منها بمنِّه وكرمه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

يقولُ الحسنُ البصري رحمه الله: «واللهِ ما صدَّقَ عبدٌ بالنارِ إلا ضاقتْ عليه الأرضُ بما رحبُتْ، وإنَّ المنافقَ لو كانتْ النارُ خلفَ ظهرِهِ ما صدَّق بها حتىٰ يَتَجَّهمَ[1] في دَرَكِها. واللهِ ما أُنذِرَ العبادُ

---

(١) يتجهم: أي يقع.

بشيءٍ أدهىٰ منها»: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٤ ـ ١٦]. إنها نارُ السعيرِ، لا ينامُ هاربُها، وجنةُ الفردوسِ لا ينامُ طالبُها.

الخوفُ من النارِ فَلَذَ أكبادَ الصالحين: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣٥ ـ ٣٧].

ألم تعلموا أن التخويفَ من النارِ نالَ الملائكةَ المقربين والأنبياءَ المرسلين، اقرؤا في شأن الملائكة: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٩]، واقرؤا في حقِّ الأنبياءِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩].

أيها الناس: اتقوا النارَ، اتقوا النارَ، اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ اتقوا النارَ بكلمةٍ طيبةٍ. أكثرُوا من ذكرِها، واعملوا للنجاةِ منها: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦]. النارُ شرُّ دارٍ، وعذابُها شرُّ عذابٍ، حرها شديدٌ، وقعرُها بعيدٌ، ومقامِعُها حديدٌ، يهوي الحجرُ من شفيرِها سبعين خريفاً ما يُدْرِكُ قعرَها. مسالكُها ضيقةٌ، ومواردُها مُهلِكةٌ، يُوقَدُ فيها السعيرُ، ويعلو فيها الشهيقُ والزفيرُ، أبوابها مؤصدةٌ، وعَمَدُها ممدَّدَةٌ، يرجعُ إليها غمُّها، ويزدادُ فيها حرُّها، هي غضبُ الجبارِ ورِجْزُه، وسَخَطُهُ ونِقْمَتُهُ.

جثَتْ الأممُ على الرُّكبِ، وتبيَّن للظالمين سوءُ المُنقلبِ، انطلق المكذبون إلى ظلٍّ ذي ثلاثِ شعبٍ، لا ظليلٍ ولا يغني من اللهبِ، وأحاطتْ بهم نارٌ ذاتُ لهبٍ، سمعوا الزفيرَ والجرجرَةَ، وعاينوا التغيُّظَ والزمجرةَ، ونادتهم الزبانيةُ: ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل: ٢٩]، الهاوية تجمعُهم، والزبانيةُ تقمعُهم، في مضايقِها يتجلجلونَ، وفي دركاتِها يتحطمون. ترىٰ المجرمينَ مقرَّنينَ في الاصفادِ، سرابيلُهم من قطرانٍ، وتغشىٰ وجوهَهُم النارُ. الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلُ يسحبون، وبالنواصي والأقدامِ يؤخذونَ، وفي الحميمِ ثم في النارِ يُسجَرون.

يُصبُّ من فوقِ رؤوسَهم الحميمُ، يُصهرُ به ما في بطونِهم والجلودُ ولهم مقامعُ من حديدٍ. مقامعُ فوق رؤوسِهم. تُكوىٰ جباهُهم وجنوبُهم وظهورُهم. ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٨] طعامُهم الزقومُ والضريعُ، لا يسمنُ ولا يغني من جوعٍ. شرابُهم الحميمُ والغساقُ والماءُ الصديدُ، يَشوْي الوجوهَ ويُقطّعُ الأمعاءَ، ويملأُ البطونَ: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٧] ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧] ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦].

يتمنون الموتَ والهلاكَ، ولكن أين المفر؟ ومتى الفكَاك؟.
﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨].

ثم يعلو شهيقُهم، ويزدادُ زفيرُهم، وقد حيلَ بينهم وبين ما يشتهونَ، فيعظمُ يأسُهم، ويرجعون إلى أنفسهم ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١]. نعوذ بالله ربّنا من غضبهِ وأليم عقابِه وعذابِه.

أيها الإخوةُ: هذه أخبارُ صدقٍ عن جهنمَ ولظىٰ، وأنباءُ حقٍ عن السعيرِ والحُطمةِ، والله لتملأنَّ والله لتملأنَّ ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

فويلٌ لكلِّ مشركٍ ومشركةٍ، وويلٌ لكل خبيثٍ وخبيثةٍ ممنْ طغىٰ وبغىٰ وآثر الحياةَ الدنيا، ولم يؤمنْ بيوم الحسابِ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١]﴿حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٣]، لا يؤمنُ بالله العظيم ولا يحضُّ على طعام المسكينِ، لم يكُ من المصلينَ، ولم يكُ يُطعم المسكينَ، يخوضُ مع الخائضين، ويكذبُ بيومِ الدين. هؤلاء هم أصحابُ الجحيمِ عياذاً بالله.

عبادَ الله: النارُ موعودٌ بها مدمنُ الخمرِ وقاطعُ الرحمِ والمصدِّقُ بالسحر والمنَّانُ والنمامُ،وما أسفل الكعبينِ من الإزارِ ففي النارِ[1]، موعود بها الذين يكنزون الذهبَ والفضةَ ولا ينفقونها في سبيل اللهِ، ومن أشدِ الناس عذاباً طائفتانِ المصورونَ الذين يضاهؤن خلقَ اللهِ[2] ، والذينَ يعذبون الناسَ في الدنيا.

يا ترىٰ ما حال المرائين من القراءِ والعلماءِ والمجاهدين؟ يأمرون بالمعروفِ ولا يأتونه، وينهون عن المنكرِ ويأتونه، يقولون ما لا يفعلون إذا وَعَظوا عنَّفوا وإذا وُعِظوا أَنِفُوا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٦٨ ـ ح٥٧٨٧)، وابن ماجه (٢/ ١١٨٣ ـ ح٣٥٧٣)، وأحمد (٢/ ٤٦١)، (٥/ ٩).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري (١٠/ ٤٠٠ ـ ح٥٩٥٤)، ومسلم (٣/ ١٦٦٨ ـ ح٢١٠٧).

وأصنافٌ من القضاةِ في النارِ، ومن غَشَّ رعيتَهُ فهو في النار[1]، ومن بايعَ إمامَه لا يبايعُه إلا لدنيا فإن أعطاهُ منها وفَىٰ وإن لم يعطَ لم يفِ[2] ، ومن اقتطع مالَ أخيه بيمينٍ فاجرةٍ فليتبوأْ مقعَدَه من النارِ[3] . والذي يشربُ في آنيةِ الذهبِ والفضةِ فإنما يُجَرْجِرُ في بطنِهِ نارَ جهنَّم[4] . والذين يأكلون أموالَ اليتامىٰ ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

وويلٌ لأكَلَةِ الرِّبا ثم ويلٌ لأكلةِ الرِّبا، وكلُّ جسدٍ نبتَ من سحتٍ فالنارُ أولى بهِ[5] .

وصنفانِ من أهل النارِ، قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربون بها الناسَ، والكاسياتُ العارياتُ المائلاتُ المميلاتُ على رؤوسِهنَّ كأسْنِمَةِ البختِ لا يدخلْن الجنةَ ولا يجدْنَ ريحَها[6] . والنائحةُ إذا لم تتبْ تقامُ يومَ القيامةِ وعليها سربالٌ من قطرانٍ ودرعٌ من جربٍ[7] . والمكرُ والخداعُ في

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١٣/ ١٣٦ ـ ح٧١٥١)، ومسلم (١/ ١٢٥ ـ ح١٤٢).
(٢) متفق عليه من حديث أبي بكر أخرجه البخاري (٥/ ٤٢ ـ ح٢٣٥٨)، ومسلم (١/ ١٠٣ ـ ح١٠٨) واللفظ له.
(٣) متفق عليه أخرجه البخاري (٥/ ٨٨ ـ ح٢٤١٦، ٢٤١٧)، ومسلم (١/ ١٢٢ ـ ح١٣٧، ١٣٨).
(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٣٥ ـ ح٢٠٦٥) واللفظ له والبخاري (١٠/ ٩٨ ـ ح٥٦٣٣) [دون قوله الذهب].
(٥) سبق تخريجه في خطبة الرشوة ص١٢٠.
(٦) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٢ ـ ح٢١٢٨)، وأحمد (٢/ ٣٥٦، ٤٤٠).
(٧) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري (٢/ ٦٤٤ ـ ح٩٣٤)، وأحمد (٥/ ٣٤٣، ٣٤٤).

النارِ[1] ، والفجورُ يهدي إلى النارِ[2] ، وشرُّ الناس منزلةً عند اللهِ من تركهُ الناسَ اتقاءَ فحشهِ[3] ، وويلٌ للذين يحبون أن تشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرةِ.

أيُّها الأحبةُ: رحمني الله وإياكم ووقانا عذابَ السَّمُومِ: هذه ألوانٌ من أهوالِ النارِ وصنوفٌ من أهلِها؛ فاتقوا اللهَ واتقوا النارَ اتقوا النارَ بالبكاءِ من خشية اللهِ؛ فلن يلجَ النارَ رجلٌ بكىٰ من خشيةِ اللهِ حتىٰ يعودَ اللبنُ في الضرعِ، وعينان لا تمسُّهما النارُ؛ عينٌ بكتْ من خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتتْ تحرسُ في سبيلِ اللهِ. ومن صامَ يوماً في سبيلِ اللهِ زحزحُه اللهُ عن النارِ سبعينَ خريفاً.

تعوذوا باللهِ من النارِ فهذا دأْبُ الصالحينَ الذاكرين.

ملائكةُ اللهِ السياحون يمرون بمجالس الذكرِ ثم يسألُهم ربُّهم عن أحوال الذاكرين فيقولُ لهم وهو أعلمُ بهم مِمَّ يتعوذونَ؟ فيقولونَ: من النارِ. فيقولُ وهلْ رأوها؟ قالوا: لا. واللهِ ما

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: لولا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المكر والخديعة في النار» لكنت أمكر الناس، وإسناده لا بأس له، وأخرجه الطبراني في الصغير من حديث ابن مسعود، والحاكم في المستدرك من حديث أنس وإسحاق بن راهويه في مسنده من حديث أبي هريرة وفي إسناد كل منها مقال، لكن مجموعها يدل على أن للمتن أصلاً وقد رواه ابن المبارك في (البر والصلة) عن عوف عن الحسن قال: «بلغني أن رسول الله ﷺ قال» فذكره انظر الفتح (٤/ ٤١٧).

(٢) جزء من حديث متفق عليه عن عبدالله بن مسعود وأخرجه البخاري (١٠/ ٥٢٣ ـ ح٦٠٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٢ ـ ح٢٦٠٧).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري (١٠/ ٤٨٦ ـ ح٦٠٥٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٠٢ ـ ح٢٥٩١).

رأوها. فيقولُ كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد فراراً وأشدَّ منها مخافةً؟قال فيقولُ: إني أشهدُكم أني قد غفرتُ لهم[1] .

وجاء في خبر آخر: «**ما سأل رجل مسلم الجنة ثلاثا، إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ولا استجار رجل مسلم من النار ثلاثا، إلا قالت النار: اللهم أجره مني**»[2] .

اللهم أجرنا من النارِ، اللهم أجرنا من النارِ، اللهم أجرنا من النارِ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦] ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٦،٦٧].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١١/ ٢١٢ ـ ح٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٠٦٩ ـ ح٢٦٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١١٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٣ ـ ح٤٣٤٠)، والحاكم عن أنس (١/ ٥٣٥) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والترمذي (٤/ ٦٠٣ ـ ح٢٥٧٢)، والنسائي (٨/ ٢٧٩). وصححه الألباني.

النار أهلها وأهوالها

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدىءِ المعيدِ، ذي البطشِ الشديدِ، الفعالِ لما يريدُ، أحمده سبحانه وأشكره فبالشكرِ تدومُ النعمُ وتزيدُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أنذرَ القريبَ والبعيدَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجِه وأصحابِه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ: أزعجَ ذكرُ النارِ قلوبَ الخائفين وأطار النومَ من عيونِ المتعبدين.

أيها الإخوةُ: شاهدوا موقِفَ القيامةِ بقلوبِكم، وانظروا في مُنْصَرَفِ الفريقين إلى الجنةِ والنارِ بهممكم.

أشْعِرُوا أفئدَتكم وأبدانكم ذكرَ النارِ ومقامعَها، وأطباقَها ودركَاتِها ووَقُودَها وحجارتَها، السلاسلُ والأغلالُ، والسعيرُ والحميمُ، والغساقُ والغسلينُ، وسقرُ والهاويةُ.

اذكروا بُعْد القعرِ، واشتدادَ الحرِّ. ابْكوا وتباكَوْا، اعرِضُوا على قلوبكم تقلبَ الظالمينَ بين أطباق النيرانِ ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧]﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢]﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا

بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٢ ـ ٤٤].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله: اللهمَّ إنا نعوذُ بكَ من النارِ وما قرَّبَ إليها من قول وعمل.

واتقوا النارَ التي أعدت للكافرين.

كفى بالموت واعظا
الخطبة الأولى

الحمد لله المتفردِ بالعزةِ الجبروتِ والبقاءِ، أذل أصنافِ الخلقِ بما كتبَ عليهم من الفناءِ فإذا هم مردودون في الحافرةِ. أحمدُه سبحانه جعلَ الموتَ مَخْلصاً للأتقياءِ وسوءَ منقلبٍ للأشقياءِ إذا ذُكِرَ الموتُ فإذا قلوبُهم نافرةٌ. وأشكره وأُثني عليه فله الإنعامُ بالنعمِ المتظاهرةِ. وله الانتقامُ بالنقمِ القاهرةِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له له الحمدُ في الأولى والآخرةِ. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ، أرسلَه لانفاذ أمرِه وانهاءِ عُذرِه وتقديم نُذُرِه فأيده بالحججِ الباهرةِ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيها الناسُ: أوصيكمْ ونفسي بتقوى الله فمن لا يتقي الله تشابهتْ عليه السبلُ: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

عبادَ اللهِ: من خافَ الوعيدَ قصرُ عليه البعيدُ، ومن طال أمله ضَعُفَ عمَلهُ، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ.

إن ربّكم لم يخلقْكم عبثاً ولم يترُكْكم سداً، فتزودا من دنياكم ما تُحْرِزُون به أنفسَكُم غداً. فالأجلُ مستورٌ، والأملُ خادعٌ.

تمرُّ الجنائزُ بالناسِ يُجهزِّونها ويصلُّون عليها ويسيرون خَلْفَها يُشيِّعونَها محمولةً إلىَ مثواها الأخيرِ. فتراهمُ يلقونُ عليها نَظَراتٍ

عابرةً، وربما طاف بهم طائفٌ من الحزنِ يسيرٌ. أو أظلَّهم ظِلالٌ من الكآبة خفيفٌ. ثم سرعان ما يغلبُ على الناسِ نشوةُ الحياةِ وغفلةُ المعاشِ.

أيها الإخوةُ: أهل الغفلة أعمارُهم عليهم حجةٌ، وأيامُهم تقودهم إلى شِقْوةٍ. كيف تُرجىٰ الآخرةُ بغيرِ عملٍ؟ أم كيف تُرجىٰ التوبةُ مع الغفلةِ والتقصيرِ وطولِ الأملِ؟؟.

ويلٌ لأهلِ الغفلةِ: إن أُعطوُا لم يشبعوا، وإن مُنِعوا لم يقنعُوا، يأمرون بما لا يفعلون، وينهون وهم لا ينتهون، هم للناس لوامون ولأنفسهم مداهنون.

يا أهل الغفلةِ: هذه الدنيا كم من واثقٍ فيها فجعتْهُ؟؟؟ وكم من مطمئنٍ إليها صرعته؟؟ وكم من محتالٍ فيها خدعته؟؟ وكم من مختالٍ أصبح حقيراً؟؟ وذي نخوةٍ أردتْه ذليلاً؟؟ سلطانُها دُولٌ[1]، وحلوها مرٌ، وعذبُها أُجاجٌ، وعزيزُها مغلوبٌ، العمرُ فيها قصيرٌ، والعظيمُ فيها يسيرٌ، وجودُها إلى عدمٍ، وسرورُها إلى حزنٍ، وكثرتُها إلى قِلَّةٍ، وعافيتُها إلى سَقَمٍ، وغناها إلى فقرٍ. دارُها مكَّارةٌ، وأيامُّها غرَّارةٌ، ولأصحابِها بالسوءِ أمَّارةً. الأحوالُ فيها إما نعمٌ زائلةٌ وإما بلايا نازلةٌ وإما منايا قاضيةٌ. عمارتُها خرابٌ، واجتماعُها فراقٌ، وكلُّ ما فوقَ الترابِ ترابٌ.

أهلُ الغفلةِ لا يشبعون مهما جَمعوا، ولا يدركون كلَّ ما أمَّلوا. ولا يُحسنون الزادَ لما عليه قد أقدَموا، يجمعون ولا يَنتفعُون،

(١) أي متداول لا يبقى على حال ولا يختص به أحد دون أحد.

ويبنون ما لا يسكنون. ويأملون ما لا يدركون: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٣].

طويلُ الأملِ: يبني ويهدمُ، وينقضُ ويبرمُ، ويقدرُ فيخطىءُ التقديرَ. يقولُ ويفعلُ، ويخططُ ويدبرُ، وتأتي الأمور مخالفةً للتدبير. يسيء في الاكتسابِ ويسوِّفُ في المتابِ ثم هاهو قد تمَّ أجَلُه وانقطعَ عملُه وأسلمهُ أهلهُ وانقطعتْ عنه المعاذير: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧﴾ [الشعراء: ٢٠٥، ٢٠٧].

يا أهلَ الغفلةِ أيها المسلمون أيها المسلمات: «**أكثروا من هاذم اللذاتِ**»(١) بهذا أوصىٰ نبيُّكم محمدٌ ﷺ. كلامٌ مختصرٌ وجيزٌ، قد جمعَ التذكرةَ وأبلغَ في الموعظةِ؛ فمن ذكرَ الموتَ حقَ ذكْرِه حاسبَ نفسهَ في عملِه وأمانِيه ولكن النفوسَ الراكدةَ والقلوبَ الغافلةَ ـ كما يقولُ القرطبيُّ رحمه الله ـ تحتاجُ إلى تطويلِ الوعاظِ وتزويقِ الألفاظِ.

أكثروا من ذكرِ هاذمِ اللذاتِ ومفرقِ الجماعاتِ، «**فما ذكره أحدٌ في ضيقٍ من العيشِ إلاَ وسَّعَه، ولا في سعةٍ إلا ضيَّقَها**»(٢).

وايمْ اللهِ ليوشكَّن الباقي منا ومنكم أن يَبْلى، والحيُّ منا ومنكم

---

(١) أخرجه النسائي (٤/٤)، والترمذي (٤/٤٧٩ ـ ح٢٣٠٧) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٤٢٢ ـ ح٤٢٥٨) وأحمد (٢/٢٩٣)، والحاكم (٤/٣٢١) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني.

(٢) رواه البزار والطبراني وإسنادهما حسن انظر مجمع الزوائد (١٠/٣٠٨)، وانظر الترغيب والترهيب (٤/٢٣٦).

أن يموت وأنْ تُدالَ الأرضُ منا كما أُدِلْنا منها، فتأكلُ لحومَنا وتشربُ دماءَنا، كما مشينا على ظهرِها وأكلنا من ثمارِها وشربنا من مائِها ثم تكون كما قال الله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

لقد وقف نبيُّكم محمدٌ ﷺ علي شفيرِ قبرٍ فبكىٰ حتى بلَّ الثرىٰ ثم قال: «**ياأخواني لمثل هذا فأعدُّوا**»[١]، وسأله عليه الصلاة والسلام رجلٌ فقال: من أكيس الناس يارسول الله؟ فقال: «**أكثرُهم ذكراً للموتِ وأشدُّهم استعداداً له. أولئك هم الأكياسُ ذهبوا بشرفِ الدنيا وكرامةِ الآخرة**»[٢]. الكيِّسُ من دان نفسَه وعمل لما بعد الموت.

يقول الحسنُ رحمه الله: إن الموت قد فضحَ الدنيا فلم يدَعْ لذي لبٍّ بها فَرَحاً.

ويقول يونسُ بنُ عُبيدٍ: ما ترك ذكرُ الموتِ لنا قرةَ عينٍ في أهلٍ ولا مالٍ.

ويقول مطرِّفٌ: إن هذا الموتَ قد أفسد على أهل النعيم نعيمَهم، فالتمسوا نعيماً لا موتَ فيه. لقد أمِنَ أهلُ الجنةِ الموتَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٣ ـ ح٤١٩٥) وقال محققه: (في الزوائد: اسناده ضعيف. قال ابن حبان في الثقات: محمد بن مالك لم يسمع من البراء ثم ذكره في الضعفاء)، وأخرجه أحمد ٤/ ٢٩٤)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٣ ـ ح٤٢٥٩)، والطبراني في الصغير وإسناده حسن واللفظ له انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٩).

فطابَ لهم عيشُهم وأمِنُوا الأسقامَ فهنيئاً لهم طولُ مقامِهم.

أيها المسلمونَ: اذكروا الموتَ والسكراتِ، وحشرجةَ الروح والزفراتِ، اذكروا هولَ المطَّلعَ. من أكثرَ ذكرَ الموتِ أكرمهُ اللهُ بثلاثٍ: تعجيلِ التوبةِ، وقناعةِ القلبِ، ونشاطِ العبادةِ. ومن نسيَ الموتَ ابتُليَ بثلاثٍ: تسويفِ التوبةِ، وتركِ الرضىٰ بالكفافِ، والتكاسلِ في العبادةِ.

كفى بالموتِ للقلوبِ مقطِّعاً، وللعيونِ مُبْكياً، وللَّذاتِ هادماً. وللجماعاتِ مفرقاً. وللأمانيِّ قاطعاً.

استبدلَ الأمواتُ بظهرِ الأرضِ بطناً، وبالسعةِ ضيقاً، وبالأهلِ غربةً، وبالنورِ ظلمةً، جاءوها حُفاةً عُراةً فُراداً.

اللحودُ مساكنُهم، والترابُ أكفانُهم، والرفاتُ جيرانُهم لا يجيبونَ داعياً، ولا يسمعون منادياً. كانوا أطولَ أعماراً وأكثر آثاراً، فما أغناهم ذلك من شيءٍ لما جاءَ أمرُ ربِّك، فأصبحتْ بيوتُهم قبوراً، وما جمعوا بوراً، وصارت أموالُهم للوارثين، وأزواجُهم لقومٍ آخرين. حلَّ بهم ريبُ المنون، وجاءهم ما كانوا يوعدون ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

هل تفكَّرتَ يا عبدَاللهِ يومَ المصرعِ، يومٌ ليس لدفعهِ حيلةٌ، ولا ينفعُ عند نزولهِ ندمٌ. أَزِلْ عن قلبكَ غشاوةَ الغافلينَ، فإنك واقفٌ بين يدي من يعلمُ وسواسَ الصدورِ، ومن يسألُ لحظاتِ العيونِ، ويحاسبُ على إصغاءِ الأسماعِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

تَذَكُّرُ الموتِ يردَعُ عن المعاصيْ، ويُلينُ القلبَ القاسِيَ، ويمنعُ الركونَ إلى الدِّنيا، ويهوِّن المصائبَ.

تذكَّرُوا الموتَ لعلكم تَسلمون من حسرةِ الفوتِ.

يقولُ الحسنُ رحمه الله: اتق الله يابن آدمَ، لا يجتمعْ عليكَ خصلتان: سكرةُ الموتِ وحسرةُ الفوتِ.

احذر السكرةَ والحسرةَ يفجأُك الموتَ وأنت على غِرةٍ فلا يصفُ واصفٌ قدرَ ماتلقىٰ ولا قدرَ ما ترىٰ.

احذرْ لا يأخذْك الله على ذنبٍ فتلقاه ولا حجةَ لك.

أيها الإخوةُ: أين الخائفُ من قلةِ الزاد؟ وأين المتخفِّفُ من أثقالِ الدنيا؟ أين الوَجلُ من بُعدِ السفرِ ووحشةِ الطريقِ؟ اكتفى من الدنيا بِطمْريه[1]، ومن طعامه بقُرصيه. استعان على دنياه بالعفةِ والسدادِ فكفاه في دنياه القليلُ من الزادِ. لقد استحيا من ربِّه حقَّ الحياءِ تذكَّر الموتَ والبلىٰ فحفِظَ الرأسَ وما وعىٰ والبطنَ وما حوىٰ أرادَ الآخرةَ فتركَ زينةَ الحياةِ الدنيا. آثر ما يبقىٰ على ما يفنىٰ ذلكم هو كيِّسُ الأكياسِ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واحفظوا اللهَ ما استحفظكم وكونوا أمناءَ على ما استودعكم، فإنكم عند ربكم موقفون، وعلى أعمالِكم مجزيُّون وعلى تفريطِكم نادمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا

---

(١) الطِّمر: بالكسر الثوب الخَلَق البالي.

تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

كفى بالموت واعظا

الخطبة الثانية

الحمد لله غيرَ مقنوطٍ من رحمتِه، ولا مأيوسٍ من مغفرتِه، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغِ نعمتِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، ومصطفاه من رسله، وخيرتُه من بريتِه. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سار على نهجه واستمسك بسنتهِ وحافظَ على شريعته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون: توبوا إلى اللهِ قبلَ أن تموتوا، **«وبادروا بالأعمالِ قبل أن تُشغَلوا، فهل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً أو غنىً مُطغياً أو مرضاً مُفسداً أو هرماً مُفْنداً أو موتاً مُجهزاً أو الدجالَ فشرُّ غائبٍ يُنتظرُ أو الساعةَ فالساعةُ أدهىٰ وأمَرُّ»**[1].

لا تكونوا ـ رحمكم الله ـ ممن يرجو الآخرةَ بغيرِ عملٍ ويؤخرُ التوبةَ لطولِ الأملِ. وقد علمتم أن الموتَ يأتي بغتةً.

أكثروا من زيارةِ القبورِ فإنها تذكرُ الآخرةَ. اعتبروا بمن صارَ تحتَ الترابِ وانقطعَ عن أهلهِ والأحبابِ، جاءه الموتُ في وقت لم يحتسبْهُ وهولٍ لم يرتقبْهُ.

وليتأملْ الزائرُ حالَ من مضىٰ من أقرانِه، أكثَرُوا الآمالَ وجمعوا

---

(١) رواه الترمذي (٤/٤٧٨ ـ ح٢٣٠٦) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة.

الأموالَ انقطعتْ آمالُهم ولم تغْنِ عنهم أموالُهم، محا الترابُ محاسنَ وجوهِهم، وتفرقتْ في القبورِ أشلاؤُهم، وترمَّلتْ من بعدهم نساؤُهم وقُسمتْ أموالهم ومساكنُهم. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

اتقوا الله رحمكم الله وارجوا الدارَ الآخرةَ فتلكَ دارٌ لا يموتُ سكانُها، ولا يخربُ بنيانُها، ولا يهرِم شبابُها، ولا يبلىٰ نعيمُها، ولا يتغيَّرُ حُسنُها وإحسانُها وحِسانُها يتقلَّبُ أهلُها في رحمةِ أرحم الراحمين ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: ١٠].

الفهـرس

الموضوع	الصفحة